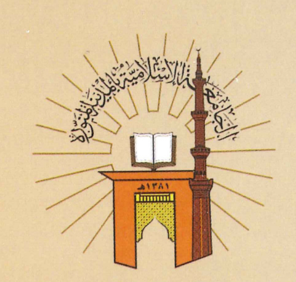
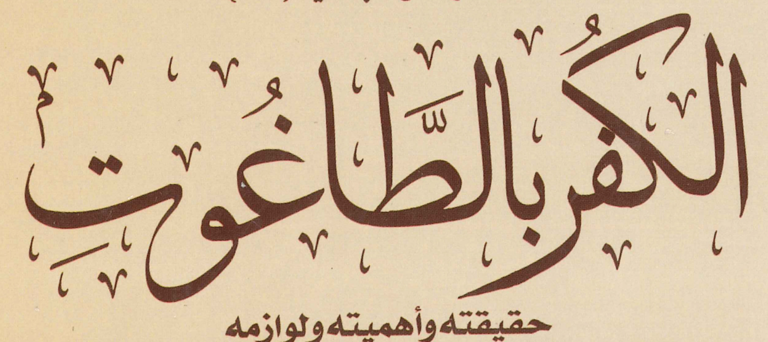


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار «١٩١»

«سلسلة الرسائل الجامعية (١٥٤)»



حقيقته وأهميته ولوازمه

تأليف

الدكتور / فهد بن عبد الهادي بن حمد العرجاني

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المملكة العربية السعودية

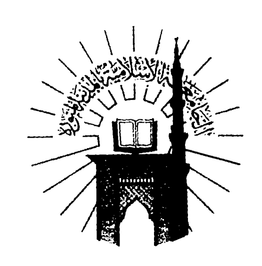
وزارة التعليم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عمادة البحث العلمي

قسم العقيدة

رقم الإصدار: (١٩١)



الكفر بالطاغوت
حقيقته وأهميّته ولوازمه

تأليف

الدكتور/ فهد بن عبد الهادي بن حمد العرجاني

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٤م

ⓗ الجامعة الإسلاميّة ١٤٣٦هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

العرجاني، فهد بن عبد الهادي

الكفر بالطاغوت حقيقته وأهميته ولوازمه. /فهد بن عبد الهادي العرجاني- المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ

ص، سم

ردمك: ٦ ٨٩٧ ٠٢ ٩٩٦٠

١- الإلحاد والملحدون ٢- الشرك بالله ٣- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٤٦٣

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٤٦٣

ردمك: ٦ ٨٩٧ ٠٢ ٩٩٦٠

أصل هذا الكتاب رسالة الماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وحصلت على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن العلم أشرف ما رَغِب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب؛ لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله يَنْمى عند طالبه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم، ومن هنا رغب الشرع وأكد على أهمية طلبه، ومما يدل على فضل العلم أن الله أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يسأله مزيداً من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»(١)، وقال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢).

فالعلم من أعظم منن الله تعالى على عباده، ومن أعظم العبادات التي يتعبد العبدُ بها ربَّه تبارك وتعالى، وهو من أعظم ما ينفق العبد فيها وقته.

ولذلك كان نشر العلم المستمد من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح وبذله هو الهدف الأسمى لمؤسس هذه الدولة المباركة الملك عبد العزيز -رحمه

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر(٤/٢٠٧٤) رقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (١/١٦٤) رقم (٧١)، ومسلم في الزكاة، باب: النهي عن المسألة(٢/٧١٨) رقم (١٠٣٧).

الله- ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز -حفظه الله- شهد التعليم المزيد من المنجزات والقفزات العملاقة على امتداد الوطن بوصف التعليم ركيزة مهمة من الركائز التي تعتمد عليها الدولة في تحقيق التقدم ومواكبة التطورات العلمية في العالم، فازدهر التعليم العالي وارتقت الجامعات، وزادت أعدادها، ومن هذه الجامعات العملاقة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فهي صرح شامخ، يشرف بأن يكون إحدى المؤسسات العلمية والثقافية والدعوية الرائدة، التي تعمل على هدي الشريعة الإسلامية السمحة، فقامت بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

ومن هنا فعمادة البحث العلمي بالجامعة تهتم بالبحوث العلمية نشراً وجمعاً وترجمة وتحكيماً داخل الجامعة وخارجها؛ من أجل النهوض بالبحث العلمي، والتشجيع والحث على التأليف والنَّشر، ومن ذلك: [**الكفر بالطاغوت حقيقته وأهميته ولوازمه**] تأليف: د. فهد بن عبد الهادي بن حمد العرجاني

نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مدير الجامعة الإسلاميَّة المكلّف

أ.د/إبراهيم بن علي العُبيد

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

«أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[١].

فإن الله خلق الخلق لحكمة عظيمة، وغاية جليلة، ألا وهي إفراده بالعبادة، وحده لا شريك له، والكفر بكل معبود سواه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢)، كتاب الجمعة باب: تخفيف الصلاة والخطبة، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٤/٣)، وقد وردت أجزاؤها متفرقة في كتب السنة، وهي تعرف بخطبة الحاجة وتشرع بين يدي كل خطبة، وللشيخ ناصر الدين الألباني رسالة مستقلة فيها.

(٢) سورة الذاريات [٥٦].

وهذه الحكمة العظيمة والغاية الجليلة التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وما من نبي يبعثه الله إلى قومه إلا وهو يأمره بدعوة قومه إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله، فاتفقت دعوة الأنبياء جميعاً على هذه الغاية العظيمة كما دل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1] فكل الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- يدعون إلى إفراد الله بالعبادة، والكفر بكل طاغوت كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

فالكفر بالطاغوت وعبادة الله هما دعوة الأنبياء من أولهم إلى آخرهم؛ لأنه لا يتم الإيمان بالله إلا بهما، وهذا هو معنى لا إله إلا الله الذي أمر الله ﷻ نبينا محمداً ﷺ كما أمر سائر الأنبياء من قبله بالدعوة إلى هذه الكلمة التي قامت بها السموات والأرض، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّست المِلَّةُ، ونُصِبتِ القِبْلَة، ولأجلها جُرِّدت سُيُوف الجهاد، وبها أمر الله سبحانه جميع العباد، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسن رسله إليها، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام[3]. فقام بذلك خير قيام، فدعا الناس إلى هذه الكلمة العظيمة التي مَن تمسك بها وكفر بالطاغوت عصم ماله ودمه، كما قال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله

---

(١) سورة الأنبياء [٢٥].

(٢) سورة النحل [٣٦].

(٣) من مقدمة إعلام الموقعين.

وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله»[١].

وهي تقوم على النفي والإثبات، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فمن آمن بالله فلا بد له من الكفر بالطاغوت الذي هو اعتقاد بطلان ألوهية كل معبود من دون الله.

قال الإمام ابن القيم: «والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة لا إله إلا الله»[٢].

فالكفر بالطاغوت هو أحد ركني التوحيد والنفي في لا إله إلا الله، وبه وبلوازمه- التي هي البراءة من الطواغيت ومن أهلها، ومنابذتهم وعداوتهم، والتحذير منهم والتصدي لهم- يقوم الدين، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة التي صَرَّحت وتضمَّنت الكفر بالطاغوت والبراءة منه، مما يوضح مكانته ويبين منزلته من الدين، فلا بد إذاً من معرفة أهميته وحقيقته ولوازمه، ولهذا استخرت الله عز وجل، ثم استشرت مشايخي الفضلاء في أن يكون موضوع رسالتي الكفر بالطاغوت فأشاروا بذلك، وشرح الله صدري لاختياره، فعزمت على ذلك متوكلاً على الله، في تسجيل موضوع رسالة العالمية «الماجستير» بعنوان: «**الكفر بالطاغوت، حقيقته، أهميته، لوازمه**»

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس .... (٥٣/١).

(٢) بدائع الفوائد (١٢٢/١).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١- ما ذكره الإمام محمد عبد الوهاب: بأن هذا الموضوع يحتاج إلى بحث طويل واجتهاد حيث قال: «ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله، من جني، أو إنسي، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر، والضلال، وتبغضه، ولو كان أنه أبوك أو أخوك، فأما من قال أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض للسادة والقباب على القبور، وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت.

وهذا: كلام يسير، يحتاج إلى بحث طويل، واجتهاد في معرفة دين الإسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله ﷺ والبحث عما قال العلماء، في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١). ويجتهد في تعلم ما علمه الله رسوله، وما علمه الرسول أمته، من التوحيد؛ ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه، وآثر الدنيا على الدين، لم يعذره الله بالجهالة والله أعلم» (٢).

٢- اتفاق جميع الرسل في الدعوة إلى التوحيد والكفر بما يعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

---

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

(٢) الدرر السّنية في الأجوبة النّجدية (٢/١٢١-١٢٢).

ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[١].

٣- إن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله عزّ وجلّ، وهذا يدل على ما لهما من الأهمية، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «اعلم -رحمك الله تعالى- أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢]»[٣].

٤- إن الكفر بالطاغوت أساس في صحة إيمان العبد، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: «واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤]»[٥].

٥- إن الكفر بالطاغوت هو معنى النفي الذي جاء في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وحاصله (أي التوحيد) هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله والإقبال بالقلب والعبادة على الله، وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وهو معنى لا إله إلا الله»[٦].

---

(١) سورة النحل [٣٦].

(٢) سورة النحل [٣٦].

(٣) مجموعة التوحيد (ص/١٠).

(٤) سورة البقرة [٢٥٦].

(٥) مجموعة التوحيد (ص/١١).

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص/١٣٩).

٦- إن عصمة الدم والمال لا تتم للعبد إلا إذا جمع إلى إيمانه بالله كفره بما يعبد من دون الله، فإن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت لم ينفعه إيمانه، فدمه وماله حلال، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في سياق كلامه على حديث (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله)[١]: «فيه دليل على أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدَمه ومالُه حَلَال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به، ولم ينفه كما نفته لا إله إلا الله ، فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع»[٢].

٧- وردت العديد من النصوص بتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله عزّ وجلّ مما يدل على أهميته العظيمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[٣].

٨- الجهل بحقيقة الكفر بالطاغوت عند بعض الناس مما يستدعي بذل الجهد في تقريره على ضوء الأدلة، ومنهج السلف الصالح.

٩- أنه على أهمية هذا الموضوع لم أقف عليه مفرداً في رسالة علمية.

وهذه الأهمية التي ذكرتها هي من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع.

---

(١) سبق تخريجه ص ٩.

(٢) قرة عيون الموحدين، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله (ص/٥٠).

(٣) سورة الزمر [١٧].

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على الفهارس المتعلقة بالرسائل الجامعية في علم العقيدة، والاتصال بالجهات المختصة التي تعنى بالرسائل الجامعية، مثل مركز الملك فيصل- رحمه الله- للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، لم أقف-حسب اطلاعي- على رسالة علمية خدمت هذا الموضوع بمختلف جوانبه التي سيتضح عرضها في الخطة، وإنما جاءت الإشارة إلى بعض جزئياته في بعض الرسائل الجامعية التي تتعلق بعلم العقيدة.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة:

المقدمة:

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.
- شكر وتقدير.

الباب الأول: حقيقة الكفر بالطاغوت، وأهميته في الدين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريف الكفر وأقسامه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الكفر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الكفر في اللغة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أصل الكلمة.

المسألة الثانية: تصريف الكلمة.

المسألة الثالثة: معنى الكلمة.

المطلب الثاني: تعريف الكفر الأكبر شرعاً.

المبحث الثاني: أقسام الكفر، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: الكفر المشروع، وهو الكفر بالطاغوت.

المطلب الثاني: الكفر الممنوع، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفر المخرج من الملة.

المسألة الثانية: الكفر الذي لا يخرج من الملة.

المسألة الثالثة: الفرق بينهما.

الفصل الثاني: تعريف الطاغوت لغة وشرعاً، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الطاغوت في اللغة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أصل الكلمة.

المطلب الثاني: تصريف الكلمة.

المطلب الثاني: اجتناب مسائل الجاهلية التي تتعلق بالطاغوت

الفصل الثاني: وجوب التحذير من الطواغيت ومقاومتها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التصدي للطواغيت وإزالتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة على أهمية مقاومة الطواغيت وإزالتها

المطلب الثاني: العِبَر من هدي الأنبياء والعلماء في التصدي للطواغيت

المبحث الثاني: وجوب التحذير من الطواغيت، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: هدي الأنبياء في التحذير من الطواغيت

المطلب الثاني: جهود علماء السنة في مقاومة الطواغيت والتحذير منها في القديم والحديث

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام المترجمين في البحث
- فهرس الأماكن
- فهرس الغريب
- ثبت المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

منهج البحث:

سرت في كتابة هذا البحث مستعيناً بالله - وفق المنهج الآتي:

١- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها من المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٢- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بالإحالة إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما، ذكرت من أخرجه دون استقصاء، مع بيان حكم أهل العلم المتخصصين عليه صحة وضعفاً.

٣- وثقت المادة العلمية من مصادرها الأصيلة.

٤- الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم في البحث، ما عدا الأنبياء.

٥- ذيلت البحث بفهارس علمية تسهل على القارئ الرجوع إلى مادته.

كلمة شكر وتقدير:

أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، حيث وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث، فله الفضل والمنة، وأثني بالشكر لوالدي الكريمين غفر الله لهما ولجميع المسلمين وأسأل الله أن يعلي منزلتهما في الجنة إنه جواد كريم.

ومن باب قول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[1].
أتقدم بالشكر للقائمين على الجامعة الإسلامية على ما يقدمونه من خدمة للعلم وطلابه، وأسأل الله أن يضاعف لهم الأجر والمثوبة.

والشكر موصول لمشايخي والإخوة والزملاء، وأسأل الله أن ينفع بها إنه جواد كريم.

وكتبه

الدكتور فهد بن عبد الهادي بن حمد العرجاني

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر، باب: ما جاء في الشكر (٤/٣٣٩). وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤١٧).

الباب الأول: حقيقة الكفر بالطاغوت وأهميته في الدين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريف الكفر وأقسامه.

الفصل الثاني: تعريف الطاغوت لغة وشرعا.

الفصل الثالث: أهمية الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين.

الفصل الأول: تعريف الكفر وأقسامه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الكفر.

المبحث الثاني: أقسام الكفر.

المبحث الأول: تعريف الكفر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الكفر في اللغة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أصل الكلمة.

المسألة الثانية: تصريف الكلمة.

المسألة الثالثة: معنى الكلمة.

المطلب الثاني: تعريف الكفر شرعاً.

المطلب الأول: تعريف الكفر في اللغة

لقد أولى أهل العلم -رحمهم الله- اهتمامهم بتعريف الأسماء الشرعية من جهة اللغة والشرع والربط فيما بينهما، فمن جهة اللغة يتكلمون على أصل الكلمة وتصريفها ومعناها مما يزيد تعريف الاسم -من جهة الشرع- وضوحاً وبياناً، وهذا ما سنذكره في هذا المطلب حول تعريفهم للكفر في اللغة من حيث أصله، وتصريفه، ومعناه فيكون الكلام بإذن الله في ثلاث مسائل:

أصل الكلمة: الكُفْرُ: مشتق من أصل لغويّ ثلاثيّ هو (كَفَرَ).[١]

تصريف الكلمة: الكُفْرُ: على وزن (فُعْل)، مصدر كَفَرَ يَكْفُرُ، ومن مصادره كَفْرًا وكُفُورا وكُفْرانا[٢].

معنى الكلمة: ترجع كلمة الكفر إلى أصل واحد، وهو الستر والتغطية فكل شيء غطى شيئاً تغطية تستهلكه فقد كفره.

قال الخليل[٣]: «وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره»[٤].

---

(١) مقاييس اللغة (١٩١/٥) .

(٢) جمهرة اللغة (٤٠١/٢)، تهذيب اللغة (١٩٣/١٠)، الصحاح (٨٠٧/٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٥/٧)، لسان العرب (١١٩/١٢).

(٣) العلامة اللغوي الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن. من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، ولد عام ١٠٠هـ بالبصرة، له مؤلفات منها العين في اللغة ومعاني الحروف وكتاب العروض. وتوفي عام ١٧٠هـ بالبصرة. انظر: وفيات الأعيان (١٧٢/١)، إنباء الرواة للقفطي (٣٤١/١)، الأعلام للزركلي (٣١٤/٢).

(٤) العين (٣٥٦/٥) .

وجاء في جمهرة اللغة: «وكل مغطٍ كافر»[١].

قال ابن الأثير[٢]: «وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه»[٣].

فإطلاق الكفر في اللغة يكون بمعنى التغطية الكاملة.

ومما يدل على هذا ما ورد في لغة العرب من إطلاق كلمة الكفر على عدة أشياء كلها تدل على معنى واحد.

فمن هذه الإطلاقات ما يلي:

١- الجحود:

وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه وهو نقيض الشكر، يقال: كفر نعمة الله أي جحدها[٤].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[٥].

---

(١) جمهرة اللغة (٢/٤٠١).

(٢) هو القاضي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي المعروف بالكاتب ابن الأثير، ولد بجزيرة ابن عمر عام ٥٤٤هـ، له من المؤلفات الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف وجامع الأصول وغريب الحديث، توفي -رحمه الله- عام ٦٠٦هـ بالموصل. [انظر: طبقات السبكي (٥/١٥٣-١٥٤)، سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٨-٤٩١)، برقم (٢٥٢)].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (ص/٨٠٧).

(٤) العين للخليل (٥/٣٥٦)، تهذيب اللغة (١٠/١٩٣)، الصحاح (٢/٨٠٧)، مقاييس اللغة (٥/١٩١)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (ص/٨٠٧)، لسان العرب (١٢/١١٩)، المصباح المنير (٢/٥٣٥).

(٥) سورة البقرة [٨٩].

٢- **البراءة** [(١)]: وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾[(٢)].

قال ابن جرير الطبري[(٣)] : «يتبرأ بعضكم من بعض»[(٤)].

وجاء في تهذيب اللغة: «ويكون الكفر بمعنى البراءة كقول الله ﷻ حكاية عن الشيطان في خطيئته إذا دخل النار: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾[(٥)] أي تبرأت»[(٦)].

٣- **الامتناع**: يقال لأهل دار الحرب قد كفروا أي عصوا وامتنعوا[(٧)].

٤- **الليل**: ووجه إطلاقه لأن الليل يستر ويغطي بظلامه كل شيء[(٨)].

---

(١) تهذيب اللغة (١٠/١٩٣)، لسان العرب (١٢/١١٩)، المصباح المنير (٢/٥٣٥).

(٢) سورة العنكبوت [٢٥].

(٣) العالم المفسر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، ولد عام ٢٢٤هـ بآمل طبرستان، له من المؤلفات جامع البيان وتهذيب الآثار والتاريخ. توفي -رحمه الله- ليومين بقيا من شوال عام ٣١٠هـ. [تاريخ بغداد (٢/١٦٢-١٦٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧-٢٨٢)، برقم (١٧٥)].

(٤) جامع البيان (٢٠/١٤٢).

(٥) سورة إبراهيم [٢٢].

(٦) تهذيب اللغة (١٠/١٩٣).

(٧) العين للخليل (٥/٣٥٦)، تهذيب اللغة (١٠/١٩٣)، لسان العرب (١٢/١١٩).

(٨) العين للخليل (٥/٣٥٦)، تهذيب اللغة (١٠/١٩٣)، الصحاح (٢/٨٠٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/٥)، لسان العرب (١٢/١١٩).

جاء في تهذيب اللغة: ((وقيل لليل كافر لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطاه)).[١]

٥- **السّحاب**: ووجه إطلاقه كون السحاب يغطي السماء والنجوم[٢].

جاء في جمهرة اللغة: ((كفر السحابُ السماءَ إذا غطاها))[٣].

قال الشاعر:

يعلو طريقة مَتْنِهَا متواتراً ... في ليلة كفر النُّجُومَ غمامُهَا

٦- **البحر**: ووجه إطلاقه لأنه يستر ما فيه[٤].

قال الشاعر:

حتى إذا ألقت يداً في كَافرٍ ... وأجنّ عورات الثغور ظلامُها

٧- **الزارِع**: ووجه إطلاقه لأنه يستر البذر ويغطيه بالتراب[٥].

---

(١) تهذيب اللغة (١٠/١٩٣).

(٢) جمهرة اللغة (٢/٤٠١)، المحكم والمحيط (٧/٥)، لسان العرب (١٢/١٩١)، القاموس المحيط (ص/٦٠٥)، تاج العروس (١٤/٥٥).

(٣) جمهرة اللغة (٢/٤٠١).

(٤) العين للخليل (٥/٣٥٦)، تهذيب اللغة (١٠/١٩٣)، الصحاح (٢/٨٠٧)، مقاييس اللغة (٥/١٩١)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/٥)، لسان العرب (١٢/١١٩)، القاموس المحيط (ص/٦٠٥).

(٥) تهذيب اللغة (١٠/١٩٣)، الصحاح (٢/٨٠٧)، مقاييس اللغة (٥/١٩١)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/٥)، لسان العرب (١٢/١١٩)، المصباح المنير (٢/٥٣٥)، القاموس المحيط (ص/٦٠٥).

جاء في تهذيب اللغة: ((والعرب تقول للزارع كافر لأنه يَكْفُرُ البذْرَ في الأرض بتراب الأرض))[١].

وبه فسِّر قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[٢].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((أي يعجب الزّراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث))[٣].

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((أي كمثل مطر أعجب الزّراع النبات الحاصل به، والمراد بالكفار هنا الزّراع؛ لأنهم يَكْفُرون البذر، أي يغطونه بالتراب))[٤].

---

(١) تهذيب اللغة (١٠/١٩٣).

(٢) سورة الحديد [٢٠].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٣٥).

(٤) فتح القدير (٥/٢١٠).

المطلب الثاني: تعريف الكفر الأكبر شرعاً

لقد اعتنى أهل العلم -رحمهم الله- قديماً وحديثاً بتعريف المصطلحات الشرعية فلا تجد في الغالب مصطلحاً شرعياً إلا وله أكثر من تعريف، وهذه التعريفات بينها اختلاف تنوع واختلاف تضاد؛ فمنهم من يعرِّف الشيء بضده، ومنهم من يعرِّف الشيء بذكر بعض أنواعه، ومنهم من يعرِّف الشيء تعريفاً جامعاً لأفراده وأنواعه، ومن هذه المصطلحات التي تنوعت فيها عبارات أهل العلم: مصطلح الكفر، وسأذكر بإذن الله بعض تعريفات أهل العلم لهذا المصطلح.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «وأما معنى الكفر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [1] فإنه الجحود» [2].

وقال رحمه الله: «ويعني بالكفر: الجحود بالله وبآياته» [3].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «والكفر هو الجحود» [4].

وقال الإمام أحمد بن عمر القرطبي رحمه الله: «وأما الكفر الواقع في الشرع فهو جحد المعلوم منه ضرورة شرعية» [5].

---

(١) سورة البقرة [٦].

(٢) جامع البيان (١/ ١١٠).

(٣) جامع البيان (١/ ٤٨٥).

(٤) معالم التنزيل (١/ ٦٤).

(٥) المفهم (١/ ٢٥٣).

وقال الإمام محمد بن أحمد القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكفر ضد الإيمان»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكفر عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكفر عدم الإيمان بالله ورُسُلِهِ، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتِّباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة»[(٣)].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكفر جحد ما علم أن الرسول جاء به سواء كان من المسائل التي يسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دِقِّ الدين وجِلِّه»[(٤)].

وقال تقي الدين السبكي[(٥)]: «التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية، أو الوحدانية، أو الرسالة، أو قول أو فِعْل حكم الشارع بأنه كفر، وإن لم يكن جحداً»[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٦٣٩).

(٣) المرجع السابق (١٢/٣٣٥).

(٤) مختصر الصواعق (٢/٥٦٩).

(٥) شيخ الشافعية عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر، الملقب تاج الدين، ولد عام ٧٢٨هـ ، له من المصنفات شرح منهاج البيضاوي وشرح مختصر ابن الحاجب، وطبقات الشافعية، توفي -رحمه الله- عام ٧٧١هـ [الدرر الكامنة (٢/٤٢٥-٤٢٨)، برقم (٢٥٤٧)،].

(٦) فتاوى السبكي (٢/٥٨٦) .

قلت: مراده والله أعلم بقوله «أو قول أو فِعْل حكم الشارع..»: مثل سب الله أو الرسول ﷺ، أو السجود للصنم، أو إلقاء المصحف في القاذورات[1].

لأن هناك أقوالاً وأفعالاً أطلق عليها الشارع الكفر، وهي من الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة، وهذا معلوم عند أهل السنة والجماعة[2].

وقال العلامة ابن سعدي[3] رحمه الله: «وحد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو جحد بعضه»[4].

وقال رحمه الله أيضاً: «فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ، أو بعضه بلا تأويل فهو كافر»[5].

---

(١) انظر الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية / (٣/٩٥٥) .

(٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح [ك/الإيمان، باب: كفران العشير وكفر دون كفر (١/١١٣)]، وصحيح مسلم بشرح النووي [ك/الإيمان، باب/نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله (١/٢٥٣)].

(٣) هو العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، ولد -رحمه الله- في محرم عام ١٣٠٧هـ بعنيزة من أعمال القصيم، له مصنفات منها: تيسير الكريم الرحمن في التفسير، والقول السديد حاشية على كتاب التوحيد، وغيرها، توفي -رحمه الله- عام ١٣٧٦هـ [مقدمة تيسير الكريم الرحمن (١/٦-٧)].

(٤) الإرشاد ضمن مجوعة ابن سعدي (٤/٥٥٦).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (١/٤١).

وقال العلامة حافظ الحكمي[١] رَحِمَهُ اللهُ: ((فالكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعصيان))[٢].

فهذه بعض تعريفات أهل العلم -رحمهم الله- فمنهم من عرَّفه بالجحود فقط، ومنهم من عرَّفه بضده، ومنهم من عرَّفه بذكر بعض أنواعه.

ويترجّح لي من هذه التعريفات تعريف السبكي لأنه أشمل من غيره حيث اشتمل على القول والفعل والاعتقاد الذي ينافي أصل الإيمان أو كماله.

ومعلوم أن الإيمان يقوم على هذه الأقسام الثلاثة، فدل على أن الكفر الذي هو ضد الإيمان يتعلق بكل قسم من أقسامه، وهذا ما تضمنه التعريف السابق، فدل على شموله ورجحانه.

وبعد ذكر التعريف اللغوي والشرعي للكفر تتضح قوة العلاقة بينهما لأن الكافر بكفره قد غَطَّى على قلبه وسَتَرَه عن الحق مما يجعله يجحد الحق وينكره، كما جاء في تهذيب اللغة: ((سمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبَه كُلَّه))[٣].

---

(١) هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ولد عام ١٣٤٢هـ من شيوخه الشيخ القرعاوي -رحمه الله- له من المؤلفات: معارج القبول بشرح سلم الوصول، وأعلام السنة المنشورة، وغيرها، توفي -رحمه الله- عام ١٣٧٧هـ بمكة المكرمة ودفن بها، [مقدمة كتاب دليل أرباب الفلاح بقلم الأخ خالد بن قاسم الردادي (ص/١١-٢٩)].

(٢) أعلام السنة المنشورة (ص/١٧٥).

(٣) تهذيب اللغة (١٩٣/١٠).

المبحث الثاني: أقسام الكفر، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: الكفر المشروع وهو الكفر بالطاغوت.

المطلب الثاني: الكفر الممنوع وهو الكفر بالله، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفر المخرج من الملة.

المسألة الثانية: الكفر الذي لا يخرج من الملة.

المسألة الثالثة: الفرق بينهما.

المطلب الأول: الكفر المشروع وهو الكفر بالطاغوت

لقد أرسل الله رسله بالهدى ودين الحق، وجعل دعوتهم قائمة على أساس واحد من أولهم إلى آخرهم، وهذا الأساس العظيم الذي ما من نبي إلا ودعا قومه إليه هو توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، وهذا التوحيد يشتمل على كلمة الإخلاص، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وهى تتضمن أمرين لابد منهما، ولا يغني أحدهما عن الآخر، وهما النفي والإثبات ، إثبات الألوهية لله تعالى، ونفي جميع ما يعبد من دون الله والكفر به، فلا يقبل التوحيد إلا بهذا الكفر الذي سماه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكفر بالطاغوت، وهو فرض على كل عبد، وشَرْط في صحة إيمانه، فلا قبول للإيمان بالله إلا به، وهذا ما اشتمل عليه النفي في كلمة التوحيد، وعليه مدار البحث كله، من حيث حقيقته وأهميته ولوازمه.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعية الكفر بالطاغوت بل بوجوبه، وهذا ما سيتضح من خلال عرض الأدلة وأقوال أهل العلم- رحمهم الله-.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «ومعنى الكلام: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع

(١) سورة البقرة: [٢٥٦].

اعتصامه خذلانه إياه وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة؛ كالتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها»[١].

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: «والله سميعٌ إيمانَ المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله، وَتَبرُّئِهِ من الأنداد ، والأوثان التي تعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر، ولا يخفى عليه أمر»[٢].

ومن السنة ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله، وَكَفَرَ بما يُعبد من دون الله، حَرُمَ مالُه ودَمُه وحِسابه على الله عز وجل»[٣].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: « وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله)، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من

---

(١) جامع البيان (٣/٢٠).

(٢) جامع البيان (٣/٢١).

(٣) سبق تخريجه (ص/٩).

مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع»[(١)].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن[(٢)] رحمه الله: «اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث:

الأول: قول لا إله إلا الله عن علم ويقين، كما هو قيد في قولها في غير ما حديث.

الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، لكن ذكر في هذا الحديث (وَكَفَر) تأكيداً لما دلت عليه؛ لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد.

وفيه دليل على أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال: لا إله إلا الله، وَكَفَرَ بما يُعبد من دون الله، فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به، ولم ينفه كما نفته لا إله إلا الله، فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع»[(٣)].

---

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله (ص/٣٥).

(٢) العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، ولد الشيخ -رحمه الله- عام ١١٩٦هـ بالدرعية، قرأ على جده مجدد الإسلام كتاب التوحيد، وآداب المشي إلى الصلاة وحضر عليه مجالس كثيرة، له مصنفات منها: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين، وكتاب الرد على داود بن جرجيس، توفي -رحمه الله- عام ١٢٨٥هـ، [مقدمة فتح المجيد بقلم الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله-].

(٣) فتح المجيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله (ص/٩٥)، قرة عيون الموحدين (ص/٤٩-٥٠).

وقال رحمه الله: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (وكَفَر بما يعبد من دون الله) فهذا شرط عظيم، لا يصح قول: لا إله إلا الله إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا إله إلا الله، معصومَ الدم، والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى، الذي دلت عليه من ترك الشرك، والبراءة منه، وممن فعله؛ فإذا أنكر عبادة كل ما يُعبد من دون الله، وتبرأ منه، وعادى مَنْ فَعَل ذلك صار مسلماً، معصوم الدم والمال، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [1]» [2].

فقد بيَّن أهل العلم -رحمهم الله- في شروحهم للنصوص السابقة منزلة الكفر بالطاغوت من الدين، فلا يصح الدين إلا به. وسوف نذكر من أقوالهم ما يبين ذلك ويوضحه:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله، إلا بالكفر بالطاغوت» [3].

وقال أيضاً: «المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت» [4].

---

(١) سورة البقرة : [٢٥٦].

(٢) الدرر السنية (٢/٢٤٣).

(٣) الدرر السنية (١/١٦٣).

(٤) فتح المجيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ =

وقال أيضاً: ((وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله))[١].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: ((إن لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأت به، وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك، والكفر بالطاغوت))[٢].

وقال رحمه الله: ((فالتوحيد هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله))[٣].

وقال الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٤] رحمه الله: ((وأعظم حق الإسلام وأصله الأصيل هو: عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص))[٥].

= (ص/٢٩).

(١) الدرر السنية (١/١٣٦).

(٢) الدرر السنية (٢/٢٠٧).

(٣) فتح المجيد (ص/٣٤٤).

(٤) الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي أبو عبد الله، الفقيه العلامة حاوي علوم الفروع والأصول، ولد -رحمه الله- في بلدة الدرعية عام ١٢٢٥هـ، له من المصنفات: البراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية وعيون الرسائل، مصباح الظلام وغيرها من الكتب النافعة، توفي -رحمه الله- عام ١٢٩٣هـ، [علماء نجد (١/٦٣)،].

(٥) الدرر السنية (١٢/٢٧٥).

ومن خلال ما سبق ذكره من الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم في مشروعية الكفر بالطاغوت وأنه محبوب عند الله، وقد أمر به سبحانه وتعالى وفرضه على خلقه، بل جعله أصلاً في الإيمان لا يصح الإيمان إلا بالكفر بما يُعبد من دون الله من الأنداد والطواغيت التي اتخذها المشركون.

المطلب الثاني: الكفر الممنوع، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفر المخرج من المِلَّة.

المسألة الثانية: الكفر الذي لا يخرج من المِلَّة.

المسألة الثالثة: الفرق بينهما.

توطئة:

بعد ما ذكرنا في المطلب السابق الكفر المشروع وهو الكفر بالطاغوت الذي أوجبه الله على عباده وبينا ذلك بالأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة وأتبعناهما بأقوال أهل العلم -رحمهم الله تعالى- فيقابله الكفر الممنوع وهو الكفر بالله الذي لا يحبه الله ولا يرضاه لعباده. بل إنه سبحانه وتعالى كره لعباده الكفر والفسوق والعصيان كما قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[1].

بل إنه سبحانه لا يرضى بكفر الكافر وإن كان بإرادته الكونية ومشيئته، وهذا الذي عليه سلف الأمة كما نقله عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: حيث قال: «وأما سلف الأمة وأئمتها وأكابر أهل الفقه والحديث والتصوف، وكثير من طوائف النظار كالكلابية والكرامية وغيرهم فيفرقون بين هذا وهذا ويقولون: إن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ويرضى به، كما لا يأمر ولا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان، ولا يحبه كما لا يأمر به، وإن كان قد شاءه»[2].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: «وأما أئمة أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وعامة أصحاب أبي حنيفة فإنهم لا يقولون بقول هؤلاء، بل يقولون بما اتفق عليه السلف من أنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم

(١) سورة الحجرات (٦).

(٢) الفتاوى (٨/٤٧٥).

يكن، ويثبتون الفرق بين مشيئته وبين محبته ورضاه، فيقولون إن الكفر والفسوق والعصيان وإن وقع بمشيئته فهو لا يحبه ولا يرضاه بل يسخطه ويبغضه» [١] .

وهذا الكفر الممنوع وهو الكفر بالله جاءت النصوص الصريحة مبينة له ولحكمه كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [٢] .

قال الإمام ابن جرير –رحمه الله –: «والصواب من القول في ذلك ما قال الله جلَّ وعز: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن الله غني عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر يعني: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به» [٣].

وقال الإمام البغوي –رحمه الله–: «ومعنى الآية: لا يرضى لعباده أن يكفروا به يروى ذلك عن قتادة [٤]، وهو قول السلف. قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل وإن كان بإرادته» [٥].

---

(١) الفتاوى (٨/٤٧٦).

(٢) سورة الزمر: (٧).

(٣) جامع البيان (٢٣/١٩٨).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، مولده سنة ٦٠هـ، كان رأساً في العربية والغريب وأيام العرب وأنسابها، توفي –رحمه الله– عام ١١٨هـ [تهذيب التهذيب (٣/٤٢٨-٤٣٠)، تقريب التهذيب (ص/٧٩٨)، برقم (٥٥٥٣)].

(٥) معالم التنزيل (٧/١٠٩).

وقال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: ((ولا يرضى لعباده الكفر): أي لا يحبه ولا يأمر به))[١].

ولقد قسَّم أهل العلم -رحمهم الله- الكفر إلى قسمين: كفر مخرج من الملة، وهو ما يسمى بالكفر الأكبر، وكفر غير مخرج من الملة وهو ما يسمى بالكفر الأصغر وممن ذكر ذلك منهم:

قال الإمام محمد بن نصر المروزي [٢] -رحمه الله -: ((إلا أن الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبما قال فذلك ضده الإقرار بالله والتصديق به وبما قال، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل))[٣] .

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: ((فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود)) [٤].

وقال الإمام ابن رجب [٥] -رحمه الله-: ((وقد ذكرنا في كتاب الإيمان

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥١).

(٢) شيخ الإسلام محمد بن نصر المروزي أبو عبد الله، مولده ببغداد عام ٢٠٢هـ ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، وأعلم الأئمة باختلاف العلماء، له مصنفات منها: كتاب القسامة وتعظيم قدر الصلاة، والسنة توفي عام ٢٩٤هـ، [تاريخ بغداد (٣/٣١٥-٣١٨)، البداية والنهاية (١١/١٠٢-١٠٣)].

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/٥١٧- ٥١٨).

(٤) مدارج السالكين (١/٣٦٤).

(٥) الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ولد ببغداد عام ٧٣٦هـ، من =

أن الكفر كفران كفر ينقل عن الملة، وكفر دون ذلك لا ينقل عن الملة»[١].

وبعد ذكر أقوال العلماء -رحمهم الله- في أقسام الكفر سوف أذكر بإذن الله كل قسم منها على حدة في مسألة مستقلة ثم أعقب ذلك بمسألة الفرق بينهما فيكون الكلام في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفر المخرج من الملة وهو الكفر الأكبر

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار»[٢].

وقال العلامة حافظ الحكمي-رحمه الله-: « وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما»[٣].

ولقد تنوعت تقسيمات العلماء للكفر الأكبر؛ فمنهم من قسَّمه إلى أربعة أقسام، ومنهم من قسَّمه إلى خمسة أقسام ، ومنهم من قسَّمه إلى ستة أقسام، وهذا التنوع لا مشاحة فيه فمرجعه إما إلى التفصيل أو الإجمال، فما

= مصنفاته: فتح الباري في شرح صحيح البخاري وشرح الأربعين النووية وطبقات الحنابلة، توفي عام ٧٩٥هـ، [إنباء الغمر لابن حجر (٣/١٧٥-١٧٦)، ومقدمة فتح الباري بقلم طارق عوض (١/١٠-١٢)].

(١) فتح الباري لابن رجب، ك/الاستسقاء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ الواقعة: ٨٢ (٦/٣٣٧) .

(٢) مدارج السالكين (١/٣٦٤).

(٣) أعلام السنة المنشورة (ص/١٧٦).

يجمله البعض يفصل فيه غيره، فتنوعت التقسيمات بحسب ذلك. وممن ذكر هذه التقسيمات من العلماء -رحمهم الله-:

الإمام البغوي -رحمه الله- حيث قال: «والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق»[1].

والإمام ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: «وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق»[2].

وإليك هذه الأنواع بشيء من التفصيل:

النوع الأول : كفر التكذيب

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[3].

قال ابن جرير -رحمه الله-: «أو كَذَّب بما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة، والأنداد لما جاءه هذا الحق من عند الله. (أليس في جهنم مثوى للكافرين)، يقول: أليس في النار مثوى، ومسكن لمن كفر بالله، وجحد توحيده، وكذب رسوله ﷺ»[4].

---

(١) معالم التنزيل (٦٤/١).

(٢) مدارج السالكين (٣٦٦/١).

(٣) سورة العنكبوت: (٦٨).

(٤) جامع البيان (١٤/٢١).

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(١)].

قال العلامة ابن سعدي -رحمه الله-: «وامتنع عن السجود واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[(٢)] وهذا الإباء والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه، فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره»[(٣)].

النوع الثالث: كفر الشك والظن

ويدل عليه قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[(٤)].

قال ابن جرير -رحمه الله-: «وظلمه نفسه كفره بالبعث، وشكه في قيام الساعة ونسيانه المعاد إلى الله تعالى»[(٥)].

---

(١) سورة البقرة: (٣٤).

(٢) سورة الإسراء: (٦١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص/٤٩).

(٤) سورة الكهف: [٣٥-٣٨].

(٥) جامع البيان (١٥/٢٤٧).

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد))[١].

النوع الرابع : كفر الإعراض

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾[٢].

قال ابن جرير -رحمه الله-: ((يقول تعالى ذكره والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون لا يتعظون به ولا يتفكرون فيعتبرون))[٣].

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((أي لاهون عما يراد بهم وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً، وأرسل إليهم رسولاً، وهم معرضون عن ذلك كله، وسيعلمون غب ذلك))[٤].

النوع الخامس: كفر النفاق

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾[٥].

قال ابن جرير -رحمه الله-: ((يقول تعالى ذكره إنهم ساء ما كانوا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٨٨).

(٢) سورة الأحقاف: [٣].

(٣) جامع البيان (٢٦/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٦٦).

(٥) سورة المنافقون: [٣].

يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جُنّة من أجل أنهم صدقوا الله ورسوله ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به. وقوله (فطبع على قلوبهم) يقول: فجعل الله على قلوبهم ختماً بالكفر عن الإيمان»[١].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى»[٢].

النوع السادس: كفر الجحود

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٣].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: «أي في ظاهر أمرهم (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها»[٤].

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «أي كفروا بآيات الله جاحدين لها»[٥][٦].

---

(١) جامع البيان (٢٨/١٠٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٣).

(٣) سورة النمل: [١٤].

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٣٧٠).

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص/٦٠٢).

(٦) انظر أنواع الكفر الأكبر: معالم التنزيل (١/٦٤)، مدارج السالكين (١/٣٦٦)، أعلام السنة المنشورة (ص/١٧٧)، كتاب التوحيد للفوزان (ص/١٣)، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص/١٨٢-١٨٥).

المسألة الثانية: الكفر الذي لا يخرج من الملة وهو الكفر الأصغر

لقد جاءت النصوص الصحيحة بذكر بعض أنواع الكفر الأصغر، ولقد بَيَّن العلماء -رحمهم الله- ضابطه الذي يفرق بينه وبين الكفر الأكبر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والكفر الأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود»[1].

وعرَّفه العلامة السعدي رحمه الله بقوله: «ومنه كفر وشرك أصغر كالاقتتال بين المسلمين والنياحة، والتبرؤ من النسب والرياء ونحو ذلك مما أطلق الشارع عليه الكفر أو الشرك، وهو لا يخرج من الدين»[2].

وعرَّفه العلامة حافظ الحكمي رحمه الله بقوله: «وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان، ولا ينافي مطلقه، وهو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب ولا عمله، ولا يستلزم ذلك»[3].

وقال بعض أهل العلم: « هو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر»[4].

وبعد ذكر تعاريف العلماء- رحمهم الله - للكفر الأصغر نود الإشارة إلى بعض أنواعه التي ورد في السنة المطهرة فمنها:

---

(١) مدارج السالكين (١/٣٦٤).

(٢) مجموعة الشيخ السعدي (٧/٦٧).

(٣) أعلام السنة المنشورة (ص/١٧٦).

(٤) عقيدة التوحيد (ص/١٠١-١٠٢).

ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللفظ للبخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أريت النار فرأيت أكثر أهلها النساء بكفرهن » قيل: أيكفرن بالله، قال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهرَ ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»[(١)].

قال ابن رجب رحمه الله: « والكفر قد يطلق ويراد به الكفر الذي لا ينقل عن الملة، مثل كفران العشير ونحوه، وهذا عند إطلاق الكفر، فأما إن ورد الكفر مقيّداً بشيء فلا إشكال في ذلك كقوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]، وإنما المراد هاهنا: أنه قد يرد إطلاق الكفر ثم يفسّر بكفر غير ناقل من الملة»[(٣)].

قال الإمام النووي[(٤)] رحمه الله: «وفيه إطلاق الكفر على غير الكفر بالله

---

(١) أخرجه البخاري في ك/الإيمان، باب: كفران العشير وكفر دون كفر (١/٢٦) رقم (٢٩)، فتح الباري لابن رجب (١/١٢٦). وفتح الباري لابن حجر(١/١١٣)، ومسلم في ك/ الإيمان، باب: نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله (١/٢٥٣) رقم (٢٣٩) .

(٢) سورة النحل: [١١٢].

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/١٢٦).

(٤) الإمام يحيى بن شرف أبو زكريا محي الدين الدمشقي الشافعي ولد في شهر محرم عام ٦٣١هـ، له من المصنفات: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج والمجموع شرح المهذب، وروضة الطالبين، توفي -رحمه الله- عام ٦٧٦هـ [تذكرة الحفاظ للذهبي =

تعالى، ككفر العشير والإحسان ، والنعمة والحق»[١].

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفر، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافراً الكفرَ المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً، حتى يقوم به أصل الإيمان»[٣].

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كُفْر.

قال ابن بَطَّال[٤] ﵀: «قيل: ليس معناه الكفر الذي يستحق عليه

= (١٤٧٠/٤)، البداية والنهاية (٢٧٨/١٣)].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٥٤/١) .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي، ك/الإيمان، باب: إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة (٢٤٥/١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢١١/١) بتصرف.

(٤) الشيخ أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي، يعرف بابن اللجام، من مصنفاته شرح صحيح البخاري، وكتاب في الزهد والرقائق، توفي عام ٤٤٩هـ [ترتيب المدارك (٨٢٧/٤)، سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨-٤٨) برقم (٢٠)].

التخليد في النار وإنما هو كفر لحق أبيه ولحق مواليه كقوله في النساء (يَكْفُرْن العشير)، والكفر في لغة العرب: التغطية للشيء والستر له فكأنه تغطية منه على حق الله ﷻ فيمن جعل له ولداً، لا أن من فعل ذلك كافرٌ بالله حلالُ الدَّمِ»[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وأما قوله ﷺ فيمن ادعى لغير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه كفر، فقيل فيه تأويلان:

أحدهما: أنه في حق المستحلِّ.

والثاني: أنه كفر النعمة والإحسان، وحق الله تعالى، وحق أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرجه من ملة الإسلام، وهذا كما قال ﷺ (يَكْفُرْن)، ثم فسَّره بكفرانهن الإحسان وكفران العشير»[(٢)].

فهذه بعض المعاصي التي أطلق عليها النبي ﷺ اسم الكفر، وهي من الكفر الأصغر كما سبق بيانه من أقوال أهل العلم -رحمهم الله-.

المسألة الثالثة: الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر

لقد اعتنى أهل العلم -رحمهم الله- بالفروق التي بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، والسبب في ذلك هو ما يترتب على كل واحد منهما من أحكام دنيوية، وأحكام أخروية، فصاحب الكفر الأكبر يختص بأحكام معينة في الدنيا والآخرة، وكذلك صاحب الكفر الأصغر له أحكام تخصه،

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/٣٨٤) .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١/٢٣٧).

فإذا لم تحصل الفروق بينهما حصل اللبس بإعطاء كل منهما حكم الآخر، فمن هذه الفروق ما يأتي:

١- الكفر الأكبر يُخْرِج صاحبه من الملة، والكفر الأصغر: لا يُخْرِج صاحبه من الملة[1].

٢- الكفر الأكبر محبط للأعمال كلها، والكفر الأصغر لا يحبط الأعمال لكنه ينقصها [2].

٣- الكفر الأكبر يوجب الخلود في النار، والكفر الأصغر لا يوجب الخلود في النار إن دخلها[3].

٤- الكفر الأكبر يبيح الدم والمال والنفس، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال و النفس[4].

٥- الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة، والبراءة الكاملة من صاحبه،

---

(١) كتاب التوحيد للفوزان (ص/١٥)، المدخل لدراسة العقيدة (ص/١٨٢)، سبيل الهدى والرشاد (ص/٤٥١).

(٢) كتاب التوحيد للفوزان (ص/١٥)، المدخل لدراسة العقيدة (ص/١٨٢)، سبيل الهدى والرشاد (ص/٤٥١).

(٣) كتاب التوحيد للفوزان (ص/١٥)، المدخل لدراسة العقيدة (ص/١٨٢)، سبيل الهدى والرشاد (ص/٤٥١).

(٤) كتاب التوحيد للفوزان (ص/١٥)، المدخل لدراسة العقيدة (ص/١٨٢)، سبيل الهدى والرشاد (ص/٤٥١) .

والكفر الأصغر: صاحبه يُحَب ويُوالَى على قدر ما فيه من إيمان، ويبغض بقدر ما فيه من عصيان[(١)].

٦- الكفر الأكبر يوجب الدخول في النار، والكفر الأصغر لا يوجب الدخول في النار، بل هو تحت المشيئة[(٢)].

٧- الكفر الأكبر إذا مات العبد عليه لم يغفر له، والكفر الأصغر إذا مات العبد عليه فهو تحت المشيئة[(٣)].

٨- الكفر الأكبر يكون بالقول والفعل والاعتقاد، وأما الكفر الأصغر يكون بالجوارح فقط وهو الكفر العَمَلي.

ومما يظهر من الفروق أيضاً:

٩- الكفر الأكبر لا يجتمع مع الإسلام البتة، والكفر الأصغر يجتمع مع الإسلام.

---

(١) كتاب التوحيد للفوزان (ص/١٥)، سبيل الهدى والرشاد (ص/٤٥١).

(٢) المدخل لدراسة العقيدة (ص/١٨٢).

(٣) المدخل لدراسة العقيدة (ص/١٨٣).

الفصل الثاني: تعريف الطاغوت لغة وشرعاً، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الطاغوت في اللغة.

المبحث الثاني: تعريف الطاغوت شرعاً.

المبحث الثالث: كيفية الكفر بالطاغوت، والإيمان به وعبادته.

المبحث الأول: تعريف الطاغوت في اللغة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أصل الكلمة.

المطلب الثاني: تصريف الكلمة.

المطلب الثالث: معنى الكلمة.

المطلب الأول: أصل الكلمة

لقد اعتنى أهل العلم -رحمهم الله- بتعريف الأسماء الشرعية من جهة اللغة والشرع وبيان العلاقة بينهما فمن جهة التعريف اللغوي يتكلمون على أصل الكلمة وتصريفها ومعناها مما يزيد هذا الاسم من جهة الشرع وضوحاً وبياناً، وتتضح قوة العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي التي بإيضاحها وبيانها يتضح المعنى المقصود من الدلالة الشرعية لهذا الاسم، وهذا ما سأذكره بإذن الله في تعريف الطاغوت.

فالطاغوت: لفظ لغوي مشتق من (طغى) الثلاثي.

وهو يحتمل أن يكون يائياً نحو (طَغَي)، أو واوياً نحو (طَغَوَ).

قال الخليل -رحمه الله-: «الطغيان والطغوان لغة والفعل منه طغيت وطغوت»[1].

وذكر السيوطي[2] في الأفعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء نظم ابن مالك[3] حيث قال:

---

(١) ينظر مقاييس اللغة (٤١٢/٣).

(٢) هو الشيخ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي ولد عام ٨٤٩هـ، له مصنفات كثيرة منها: الدر المنثور، والتوشيح شرح البخاري، توفي عام ٩١١هـ. [حسن المحاضرة (٣٣٥/١-٣٤٤)، والضوء اللامع للسخاوي (٦٥/٤-٧١)، والتاج المكلل (ص/٣٤٩-٣٥١)].

(٣) العلامة النحوي محمد بن عبد الله بن مالك أحد أئمة اللغة العربية، ولد في عام ٦٠٠هـ، اشتهرت مصنفاته وسارت بها الركبان، منها تسهيل الفوائد، وعدة الحافظ، توفي عام ٦٧٢هـ، [نفح الطيب (٤٣٤/١)، وبغية الوعاة للسيوطي (١٣٠/١-١٣٧)].

«وطغوت في معنى طغيت ومن قنى شيئاً يقول قنوته وقنيته»[1].

وأصلها (طَغَيُوت) أو (طَغَوُوت) وفي الأصلين هي على وزن (فَعَلُوت) وقيل أصلها (طَاغُوّ) ومما يوضح ما قيل في أصلها قول ابن الأنباري[2] حيث قال -رحمه الله- «وأصل طاغوت طَغَيُوت على وزن فَعَلُوت من الطغيان وهو بمعناه مثل رَغَبوت ورهبوت بمعنى الرغبة والرهبة إلا أنهم قلبوا الياء التي هي لام إلى موضع العين فصار (طَيَغُوتا) فانقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار (طاغوتا) ووزنه بعد القلب (فلعُوت) ويجوز أن تكون لامه واواً فيكون أصله (طَغَووت) لقولهم طغا يطغو وقيل أصله (طَاغُوّ) على فاعُول فأبدلت من الواو الثانية تاء فصار طاغوت»[3].

فالحاصل من هذا الأصل المعتل سواء كان يائياً أو واوياً فهو أصل واحد في الدلالة والمعنى كما يدل عليه قول ابن فارس[4] حيث قال: «الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس وهو مجاوزة الحد في العصيان»[5].

---

(١) المزهر في علوم اللغة (٢/٢٧٩).

(٢) أبو بكر محمد بن قاسم بن محمد المعروف بابن الأنباري، كان من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، من مصنفاته: عجائب علوم القرآن، وشرح القصائد السبع الطوال، توفي سنة ٣٢٨هـ، [انظر: وفيات الأعيان (١/٥٠٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/٥٧)].

(٣) البيان في إعراب غريب القرآن (١/١٦٩) بتصرف يسير.

(٤) هو العلامة اللغوي أحمد بن فارس بن زكريا القزويني إمام من أئمة اللغة والأدب، ولد عام ٣٢٩هـ له مصنفات منها: معجم مقاييس اللغة، والمجمل، توفي عام ٣٩٥هـ. [وفيات الأعيان (١/٣٥)، والأعلام (١/١٩٣)،]

(٥) مقاييس اللغة (٣/٤١٢).

المطلب الثاني: تصريف الكلمة

الطاغوت بناء للمبالغة كالجَبَرُوت والمِلَكُوت.

وهو مصدر على وزن (فعلوت) وقيل إنه اسم. ومما يدل على أنه مصدر قول ابن جني[١] حيث قال -رحمه الله- «ويدل على أنها في الأصل مصدر وقوع الطاغوت على الواحد والجماعة بلفظ واحد فجرى لذلك مجرى قومٌ عَدْلٌ ورِضاً ورجُلٌ عِدْلٌ ورِضاً ورجلان عَدْلٌ ورِضاً»[٢].

وهي مشتقة من الفعل (طَغَى يَطْغَى) إن كانت من ذوات الياء، أو مشتقة من (طَغَا يَطْغُو) إن كانت من ذوات الواو، سواء كانت من ذوات الياء أو الواو فهي على كلا الحالين على وزن (فَعَلُوت) والتاء فيها زائدة، وقيل إنها ليست زائدة وإنما هي بدل من لام الكلمة.

فالطاغوت من الأسماء التي تأتي على تقدير فَعَلُوت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه أعني لام الطغووت، فجُعِلت عيناً وحولت عينه، فجُعِلت مكان لامه، كما قيل جَذَبَ وجَبَذَ وجَابَذ وجَاذِب، وصاعقة وصاقعة، وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال[٣].

---

(١) هو الشيخ عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح، إمام في اللغة والأدب، ولد عام ٢٤٧هـ، له من المصنفات: الخصائص واللمع، والتصريف الملوكي، توفي ببغداد عام ٣٩٢هـ. [وفيات الأعيان (٣١٣/١)، والأعلام (٢٠٤/٤)،]

(٢) المحتسب لابن جني (١٣١/١).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٩/٣).

وأما سبب إيثار (طوغوتاً) في التقدير على (طيغوت) فيقول ابن سيده: «وإنما أوثرت (طوغوتاً) في التقدير على (طيغوت)؛ لأن قلب الواو عن موضعها أكثر من قلب الياء في كلامهم، نحو شجر شاك ولاث وهار»[1] [2].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٨/٦).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٨/١٦٧)، لسان العرب (٨/٤٤٤) (١٥/٨)، الدر المصون (٢/٥٤٨).

المطلب الثالث: معنى الكلمة

لكلمة الطاغوت إطلاقات عديدة ذكرها أهل العلم -رحمهم الله- وجميع هذه الإطلاقات كلها تدل على معنى واحد هو مجاوزة الحد ومما ذكره العلماء في مادة هذه الكلمة ما ذكره ابن دريد[١] في جمهرة اللغة حيث قال: «طَغَى يَطْغَى طُغْيَاناً وكل متجاوز حده فقد طَغَى؛ طَغَى السيلُ إذا جاء بماء كثير يتجاوز حدَّ ما كان يجري عليه وطَغَى البحرُ إذا هاجت أمواجه وطَغَى الدَّمُ بالإنسان إذا تَبَيَّغَ به»[٢].

وقال الأزهري[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ قال الليث: «كل شيء جاوز القدر فقد طغا»[٤].

وقال الجوهري[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل مجاوز حده في العصيان فهو طاغ»[٦].

---

(١) هو العلامة أبو بكر محمد الأزدي، البصري، كان آية من الآيات في قوة الحفظ، له مصنفات كثيرة، منها: جمهرة اللغة، والملاحن، والاشتقاق، توفي- رحمه الله - في شعبان عام ٣٢١هـ، [تاريخ بغداد (٢/١٩٥-١٩٧)، وفيات الأعيان (٤/٣٢٣-٣٢٩)]

(٢) جمهرة اللغة (٣/١٠٩).

(٣) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، كان رأساً في اللغة والفقه من مصنفاته: تهذيب اللغة وعلل القراءات، وشرح ديوان أبي تمام توفي عام ٣٧٠هـ. [وفيات الأعيان (٤/٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٣١٥-٣١٧).].

(٤) تهذيب اللغة (٨/١٦٧).

(٥) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، إمام في اللغة، له مصنفات كثيرة منها: الصحاح، توفي بنيسابور عام ٣٩٣هـ، [معجم الأدباء (٦/١٥١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٨٠-٨٢)].

(٦) الصحاح (٦/٢٤١٢).

وقال ابن فارس-رحمه الله- ((الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس وهو مجاوزة الحد في العصيان يقال هو طاغٍ))[١].

وقال ابن سيده[٢] رحمه الله: ((طغى طغياً وطغياناً): جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر))[٣].

وقال السمين الحلبي[٤] رحمه الله: ((والطغيان مصدر طَغَى يَطْغَى طغياناً... وأصل المادة مجاوزة الحد ومنه طغى الماء))[٥].

وقال الفيروز أبادي[٦] رحمه الله ((جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم))[٧].

---

(١) مقاييس اللغة (٤١٢/٣).

(٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي إمام من أئمة اللغة، له مصنفات كثيرة، منها المحكم والمحيط، والعالم في اللغة، وشواذ اللغة، توفي عام ٤٥٨هـ. [الصلة (٤١٧/٢-٤١٨)، سير أعلام النبلاء (١٤٤/١٨-١٤٦)].

(٣) المحكم (٨/٦).

(٤) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي أبو العباس، عالم باللغة مفسر، له مصنفات كثيرة، منها الدر المصون، وعمد الحفاظ، وشرح الشاطبية، توفي عام ٧٥٦هـ. [غاية النهاية (١٥٢/١)، والدرر الكامنة (٣٣٩/١)].

(٥) الدر المصون (٥٤٨/٢).

(٦) محمد بن يعقوب أبو طاهر الشيرازي، إمام في اللغة والأدب، ولد عام ٧٢٩هـ، له مصنفات كثيرة: منها القاموس المحيط، بصائر ذوي التمييز، توفي عام ٨١٧هـ، [البدر الطالع (٢٨٠/٢)، والضوء اللامع (٧٩/١٠)].

(٧) القاموس المحيط (ص/١٦٨٥).

ومن إطلاقات مادة طغى اللغوية ما يلي:-

١- الطاغوت: اللات والعزى والأصنام والكاهن والشيطان ومردة أهل الكتاب وكل رأس في الضلالة[١].

٢- الطاغية:

أ- قيل هو الجبار العنيد،

ب- وقيل هو الذي لا يبالي ما أتى؛ يأكل الناس ويقهرهم لا يثنيه تحرج ولا فرق.

ج- الأحمق المستكبر الظالم.

د- الصاعقة.

هـ- ملك الروم.

و- الجبار[٢].

٣- الطُّغْيَة المسْتَصْعَب العالي من الجبل[٣].

---

(١) تهذيب اللغة (٨/١٦٧)، والصحاح (٦/٢٤١٢-٢٤١٣)، والمحكم (٦/٨)، ولسان العرب (٨/٤٤٤) (١٥/٨)، والمصباح المنير (ص/١٤٢)، والقاموس المحيط (ص/١٦٨٥).

(٢) تهذيب اللغة (٨/١٦٧)، والصحاح (٦/٢٤١٢-٢٤١٣)، ولسان العرب (١٥/٨)، والقاموس المحيط (ص/١٦٨٥).

(٣) الصحاح (٦/٢٤١٢).

فهذه بعض الإطلاقات لمادة (طغى) وكلها تدل على معنى واحد وهو مجاوزة الحد كما ذكرنا ذلك سابقاً والذي يتعلق ببحثنا هو الإطلاق الأول وهذا ما سنوضحه في المبحث التالي.

المبحث الثاني: تعريف الطاغوت شرعاً، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقوال أهل العلم في تعريف الطاغوت.

المطلب الثاني: دراسة أقوال أهل العلم في تعريف الطاغوت.

المطلب الثالث: الضابط في تعريف الطاغوت وشرحه.

المطلب الأول: أقوال أهل العلم في تعريف الطاغوت

إن معرفة علم الحدود من أشرف العلوم لأن به يُعرف حد الأسماء الشرعية التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما هو داخل فيها وما هو خارج عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذه الحدود معرفتها من الدين في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ثم قد تكون معرفتها فرض عين، وقد تكون فرض كفاية»[1].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فمن أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود ولا سيما حدود المشروع المأمور والمنهي فأَعْلَمُ الناس أعلمهم بتلك الحدود حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ولا يخرج منها ما هو داخل فيها قال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[2] فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفة وفعلا»[3].

ومما يدل على أهمية علم الحدود اهتمام أهل العلم -رحمهم الله تعالى- على اختلاف عصورهم بتعريف الأسماء الشرعية فتجد بعض الأسماء لها أكثر من تعريف وذلك بسبب أهميتها الشرعية وما ينبني على تعريفها من

(١) مجموع الفتاوى (٩/٩٥).

(٢) سورة التوبة [٩٧].

(٣) الفوائد (ص/٢٠٦).

أحكام ومعاملات لها صلة وثيقة بتحقيق كمال التوحيد الواجب أو المستحب، ومن هذه الأسماء مسمى الطاغوت حيث تنوعت عبارات أهل العلم في تعريفهم للطاغوت ولا مشاحة في ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- «الصنف الثاني: أن يذكر كلَّ منهم من الاسم العام بعضَ أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحدّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه؛ مِثْلُ سائلٍ أعجمي سأل عن مُسَمَّى لفظ الخبز فأُرِي رغيفاً وقيل له: هذا؛ فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده.....؛ فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق، والعقل السليم يتفطن للنوع كما يتفطن إذا أشير له إلى رغيف فقيل له: هذا هو الخبز»[1].

فهذا من باب تعريف الشيء بالمثال أو بذكر بعض أفراده، ومن العلماء من عرّفه بتعريف عام يشمل أكثر أفراده، والسبب في كثرة التعريفات هو أن الطاغوت اسم جنس يصعب حصر أفراده في الخارج ، وسأذكر ما وقفت عليه من أقوال العلماء- رحمهم الله - ومنها ما يلي:

ما رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم عن عمر ﷺ قال: «الطاغوت: الشيطان»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٧-٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري (٦/٤٥)، وقال ابن حجر: «وصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبد الرحمن بن دسته في كتاب الإيمان كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي» البخاري مع الفتح (٨/٣١٨).

وروي عن الحسين بن علي[١] رضي الله عنهما وابن عباس[٢] رضي الله عنهما وأبي العالية[٣] [٤] وسعيد بن جبير[٥] ومجاهد[٦][٧] وعكرمة[٨][٩] والشعبي[١٠][١١]

(١) روح المعاني (١٤/٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩٧٥/٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٥/٢).

(٤) هو رفيع بن مهران الرياحي، أحد الأعلام الحافظ المفسر، أسلم في خلافة الصديق، وسمع من جمع من الصحابة، توفي - رحمه الله - سنة ٩٠هـ وقيل ٩٣هـ. [تذكرة الحفاظ (٥٨/١)، والتقريب (ص/٣٢٨)].

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٥/٢).

(٦) تفسير الطبري (١٨/٣).

(٧) هو التابعي الجليل مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي، شيخ القراء والمفسرين، لازم ابن عباس كثيراً، وعرض عليه القرآن مرات عديدة، وكان أعلم أصحاب ابن عباس بالتفسير، توفي عام ١٠١هـ وقيل ١٠٢هـ، [طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥)، سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤-٤٥٧)].

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (٤٩٥/٢).

(٩) هو التابعي الجليل أبو عبد الله مولى ابن عباس البربري، عالم بالتفسير، حدث عن ابن عباس، وعائشة، وغيرهم من الصحابة، توفي سنة ١٠٤هـ. [طبقات ابن سعد (٢٨٧/٥)، سير أعلام النبلاء (١٢/٤-٣٦)].

(١٠) تفسير الطبري (١٨/٣).

(١١) هو التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو، ولد في خلافة عمر بن الخطاب وسمع من كثير من الصحابة، توفي -رحمه الله- سنة (١٠٥ هـ)، وقيل غير ذلك [طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦)، سير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤-٣١٩)].

والحسن[١] وعطاء[٢][٣] وقتادة[٤] والسدي[٥][٦] والضحاك[٧][٨] وزيد بن أسلم[٩][١٠].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٧٥).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٧٥).

(٣) هو التابعي الجليل أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي، مولاهم المكي، ولد في خلافة عثمان -رضي الله عنه- روى عن جمع من الصحابة، وحدث عنه مجاهد وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم، توفي سنة ١١٤هـ. [طبقات ابن سعد (٥/٤٦٧)، سير أعلام النبلاء (٥/٧٨-٨٨)].

(٤) تفسير الطبري (٣/١٩).

(٥) تفسير الطبري (٣/١٩). ترجمة السدي.

(٦) هو الإمام المفسر أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن الحجازي ثم الكوفي، أحد موالي قريش، توفي سنة ١٢٧هـ، [طبقات ابن سعد (٦/٣٢٣)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)].

(٧) تفسير الطبري (٣/١٩).

(٨) هو أبو محمد الضحاك بن مزاحم الهلالي، أحد أوعية العلم، إمام في التفسير، توفي- رحمه الله- سنة ١٠٥هـ، وقيل ١٠٦هـ. [طبقات ابن سعد (٦/٣٠٠)، سير أعلام النبلاء (٤/٥٩٨-٦٠٠)].

(٩) تفسير الطبري (٥/١٣١).

(١٠) هو الإمام الحجة أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني الفقيه، كان له حلقة للعلم في مسجد الرسول ﷺ، وكان من العلماء العاملين وله تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي في ذي الحجة عام ١٣٦هـ. [تذكرة الحفاظ (١/١٣٢-١٣٣)، التقريب (ص/٣٥٠)].

ومقاتل[(١)][(٢)] وعبد الرحمن بن زيد[(٣)][(٤)] وابن أبي زمنين [(٥)][(٦)] وعبد الرحمن بن حسن[(٧)].

وزاد مجاهد: الطاغوت: الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم[(٨)].

ومنها ما رواه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ((كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد وفي أَسْلَم واحد وفي كل حي واحد كُهّانٌ ينزل عليهم الشيطان))[(٩)].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٢٠).

(٢) هو الإمام العالم المحدث مقاتل بن حيان أبو بسطان النبطي البلخي، كان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، توفي عام ١٥٠هـ ، [تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤)، والتقريب (ص/٩٦٨)].

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٢٠٦).

(٤) هو الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري، حدث عن أبيه وابن المنكدر، كان صاحب قرآن وتفسير، وجمع فيه مجلداً، توفي سنة ١٨٢هـ.[وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩)].

(٥) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٣٧٩).

(٦) هو الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي، شيخ قرطبة وعالمها، كان صاحب جد وإخلاص، من أشهر مصنفاته: أصول السنة ومختصر المدونة، توفي سنة ٣٩٩هـ، [سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨-١٨٩). الديباج (٢/ ٢٣٢-٢٣٤)].

(٧) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٣٢٧).

(٨) تفسير الطبري (٣/ ١٨).

(٩) البخاري مع الفتح (٨/ ٣١٧).

وروي عن أبي العالية[١] وسعيد بن جبير[٢] ومجاهد[٣] وعكرمة[٤] والشعبي[٥] وقتادة[٦] وأبي مالك غزوان الغفاري[٧][٨]والسدي[٩] وابن جريج[١٠] وزاد ابن جريج: «قال: كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم»[١١].

ومن أهل العلم -رحمهم الله- من عرَّفه بالساحر.

قال أبو العالية رحمه الله: «الطاغوت الساحر»[١٢].

---

(١) تفسير الطبري (٣/١٩) (٥/١٣٢).

(٢) تفسير الطبري (٣/١٩) (٥/١٣٢). قال ابن حجر: «أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير». فتح الباري (٨/٣١٨).

(٣) تفسير الطبري (٥/١٣١).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم عن عكرمة . البخاري مع الفتح (٨/٣١٧).

(٥) تفسير الطبري (٥/١٥٣).

(٦) تفسير الطبري (٥/١٣٢).

(٧) هو غزوان الغفاري أبو مالك الكوفي تابعي مشهور بكنيته ثقة من الثالثة. [تقريب التهذيب (ص/٤٤٢)].

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٧٦).

(٩) تفسير الطبري (٥/١٣٢).

(١٠) هو الإمام شيخ الحرم الحافظ أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي، الأموي المكي، أول من دون العلم بمكة، توفي سنة ١٥٠هـ. [تاريخ بغداد (١٠/٤٠٠)، و سير أعلام النبلاء (٦/٣٢٥-٣٣٦)].

(١١) تفسير الطبري (٣/١٩).

(١٢) المرجع السابق (٣/١٩) (٥/١٣٢).

وروي عن سعيد بن جبير[(١)] والشعبي[(٢)] ومحمد بن سيرين[(٣)(٤)] و مكحول[(٥)(٦)].

ومن أهل العلم- رحمهم الله – من عرَّفه بالصنم.

قال عكرمة رحمه الله «الطاغوت الصنم»[(٧)] .

وروي عن أبي عبيدة[(٨)(٩)] والقرطبي[(١٠)] والنووي وأبي حيان[(١١) (١٢)]

---

(١) تفسير الطبري (٥/١٣٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٧٦).

(٣) تفسير البغوي (٢/٢٣٤) .

(٤) هو الإمام أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري الأنسي البصري مولى أنس بن مالك، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، كان حسن العلم بالقضاء والفرائض والحساب، توفي –رحمه الله– سنة ١١٠هـ، [طبقات ابن سعد (٧/١٩٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦-٦٢٢)].

(٥) تفسير البغوي (٢/٢٣٤).

(٦) هو الإمام عالم أهل الشام أبو عبد الله الدمشقي الفقيه، طاف الأرض في طلب العلم، روى عن طائفة من التابعين وحدث عن الزهري، توفي – رحمه الله– سنة ١١٢هـ وقيل ١١٣هـ. [طبقات ابن سعد (٧/٤٥٣)، و سير أعلام النبلاء (٥/١٥٥-١٦٠)].

(٧) تفسير الطبري (٥/١٣١).

(٨) مجاز القرآن (١/٧٩).

(٩) أبو عبيده معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، النحوي من أئمة العلم والأدب واللغة، من مصنفاته: مجاز القرآن، وإعراب القرآن، توفي سنة ٢٠٧هـ، [انظر: وفيات الأعيان (٥/٢٣٥)].

(١٠) المفهم (١/٤١٦).

(١١) البحر المحيط (٣/٢٨٣).

(١٢) الإمام محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي، ولد في عام ٦٥٤هـ، عالم بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، من أشهر مصنفاته البحر المحيط، والتذييل والتكميل، توفي عام ٧٤٥هـ [الدرر الكامنة (٤/٣٠٢)، والأعلام =

وابن حجر[١].

ومن أهل العلم -رحمهم الله- من عرَّفه بالأوثان.

قال الضحاك والسدي: ((الطاغوت هي الأوثان))[٢].

ومن أهل العلم . رحمهم الله . من عرَّفه ببيت الصنم.

قال ابن هشام[٣] رحمه الله: ((وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينحر عندها كما ينحر عند الكعبة[٤].

وقال ابن حجر -رحمه الله- ((وقيل الطواغيت بيوت الأصنام))[٥].

وقال العظيم أبادي[٦] -رحمه الله- ((وهو بيت الصنم الذي كانوا

= (١٥٢/٧)].

(١) فتح الباري (٥٤٦/١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢١٣/١٥)، فتح القدير (٤١٠/١).

(٣) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب العلامة النحوي الأخباري أبو محمد الذهلي، السدوسي وقيل الحميري المعافري البصري نزيل مصر، هذب السيرة النبوية، وله مصنف في أنساب حمير وملوكها، توفي في ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثماني عشرة ومئتين . [سير أعلام النبلاء (٤٢٨/١٠-٤٢٩)].

(٤) سيرة ابن هشام (٢٠٩/١).

(٥) هدي الساري (ص/٢٩٩).

(٦) هو أبو الطيب محمد شمس الحق الديانوي العظيم أبادي، ولد عام ١٢٧٣هـ من أشهر مصنفاته غاية المقصود، وعون المعبود، وغيرها، توفي عام ١٣٢٩هـ [مقدمة غاية =

يتعبدون فيه لله تعالى ويتقربون إليه بالأصنام على زعمهم»[١].

ومن أهل العلم- رحمهم الله- من عرَّفه بترجمان الأصنام الذين يعبرون عنها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الطاغوت: الذي يكون بين يدي الأصنام يُعَبِّرون عنها بالكذب ليضِلُّوا الناس»[٢].

وعرَّفه الإمام مالك رحمه الله: بأكثر من تعريف حيث قال: «الطاغوت ما يُعْبَد من دون الله»[٣].

وقال رحمه الله: «الطاغوت: كل ما عُبِد من دون الله من صنم أو كاهن أو ساحر أو كيفما تصرف الشرك فيه»[٤].

وقد استدرك على التعريف الأول للإمام مالك العلامة سليمان بن عبدالله حيث قال رحمه الله: «قلت: وهو صحيح، لكن لا بد من استثناء من لا يرضى بعبادته»[٥].

= المقصود (١/١٧-٢١)].

(١) عون المعبود (٢/٧٣).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٩٥) (٣/٩٧٥) ، تفسير الطبري (٥/١٣١) ، فتح الباري (٨/٣١٨).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٩٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٣٩).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (١/٤٥٦).

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٠).

وعرَّفه ابن قتيبة[١] قال: «الطاغوت: كل معبود من حجر أو صورة أو شيطان فهو جِبْت وطاغوت»[٢].

وعرَّفه الإمام الطبري بأكثر من تعريف قال: «والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كُلُّ ذي طغيان على الله فَعُبِد من دونه إما بقهر منه لمن عَبَدَهُ وإما بطاعة ممَّن عَبَدَه له إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء»[٣]

وقال رحمه الله: معرفاً للطاغوت والجبت معاً: «وذلك أن الجِبْت والطاغوت اسمان لكل معظَّم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائناً ما كان ذلك المعظَّم من حجر أو إنسان أو شيطان»[٤].

وعرَّفه الراغب الأصفهاني[٥] رحمه الله قال: «والطاغوت: عبارة عن كل

---

(١) هو العلامة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولي قضاء دينور وكان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، من أشهر مصنفاته: غريب الحديث، ومشكل الحديث، توفي عام ٢٧٦هـ، [تاريخ بغداد (١٠/١٧٠-١٧١). سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦-٣٠٢)].

(٢) تفسير غريب القرآن (ص/١٢٨) .

(٣) تفسير الطبري (٣/١٩) .

(٤) تفسير الطبري (٥/١٣٣) .

(٥) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهاني الملقب بالراغب، من أشهر كتبه المفردات في غريب القرآن وحل متشابه القرآن، توفي عام ٥٠٢هـ [سير أعلام النبلاء (١٨/١٢٠-١٢١). وبغية الوعاة (٢/٢٩٧)].

متعد وكل معبود من دون الله... فعبارة عن كل متعدٍّ؛ ولما تقدم سُمّي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً»[١].

وعرَّفه القاضي ابن عطية الأندلسي[٢] رحمه الله بأكثر من تعريف. قال: «و كُلُّ ما عُبِد وأُطِيْع من دون الله تعالى»[٣] .

وقال -رحمه الله- «الطاغوت: كُلُّ ما عُبِد واتبع من دون الله»[٤].

وقال -رحمه الله- «الطاغوت: كُلُّ ما عُبِد من دون الله منَ وَثِنٍ أو آدمي يرضَى ذلك أو شيطان»[٥] .

وقال رحمه الله «كل ما يُعبد من دون الله والطاغوت أيضاً الشيطان»[٦].

وعرَّفه الإمام أبو العباس القرطبي قال «الطاغوت: كل معبود سوى الله تعالى»[٧].

---

(١) المفردات (ص/٥٢١) .

(٢) الإمام الحافظ أبو بكر غالب بن عبد الرحمن الأندلسي الغرناطي، ولد سنة ٤٤١هـ كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله، عارفاً بالرجال، أديباً شاعرا لغويا، من أشهر مصنفاته المحرر الوجيز، توفي سنة ٥١٨هـ [الصلة (٢/٤٥٧-٤٥٨). و سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٦-٥٨٧)].

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٨٣) .

(٤) المحرر الوجيز (٢/٢٨٣) .

(٥) المحرر الوجيز (٢/٢٨٣) .

(٦) المحرر الوجيز (٢/٢٨٣) .

(٧) المفهم (٤/٦٢٤) .

وعرَّف الإمام القرطبي الطاغوت والجِبت معاً قال: ((هما كل معبود من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن))[١] .

وعرّفه الإمام النووي قال: ((وكل ما جاوز الحد في تعظيم أو غيره فقد طغى فالطغيان المجاوزة للحد))[٢] .

وقال: ((وهو الصنم ويطلق على الشيطان)) [٣].

وعرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأكثر من تعريف قال -رحمه الله-:

((والطاغوت: وهو ما عُظِّم بالباطل من دون الله تعالى مثل رؤساء المشركين)) [٤].

وقال رحمه الله ((وهو اسم جنس[٥] يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدرهم والدينار وغير ذلك))[٦] .

وقال -رحمه الله- ((والطاغوت: كل مُعَظَّم ومتعظِّم بغير طاعة الله ورسوله من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان))[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٣٩) .

(٢) صحيح مسلم شرح النووي (١١/١١١) .

(٣) صحيح مسلم شرح النووي (١١/١١١) .

(٤) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٥٠).

(٥) اسم الجنس: ما وضع لأن يقع على شيء وعلى ما أشبهه كالرجل فإنه موضوع لكل فرد خارجي على سبيل البدل من غير اعتبار تعينه. [التعريفات للجرجاني (ص/٤١)].

(٦) الفتاوى (١٦/٥٦٥).

(٧) مجموع الرسائل (٢/٣٧٣).

وقال رحمه الله: «فإن الطاغوت: هو الطاغي من الأعيان والجِبْت هو من الأعمال والأقوال»[١].

وقال -رحمه الله-: «والطاغوت: وهو ما يُعبد من دون الله»[٢].

وقال -رحمه الله- «والطاغوت: الشيطان والأوثان»[٣].

وقال -رحمه الله- «والطاغوت: الشياطين والأصنام»[٤].

وعرَّف الإمام أبو حيان الجبت والطاغوت مَعاً قال -رحمه الله- «إن الجِبت والطاغوت الأصنام أو ما عبد من دون الله»[٥].

وعرَّفه الإمام ابن القيم قال -رحمه الله- «والطاغوت: كُلُّ ما تجاوز به العبد حَدَّه من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوتُ كلِّ قوم مَنْ يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»[٦].

وقال- رحمه الله- «والطاغوت هو اسم لكل ما عَبَدوه من دون الله فكلُّ مُشْرِك إلهُهُ طاغُوتُه»[٧].

---

(١) الفتاوى (٢٨/٢٠٠).

(٢) جاء في الأصل: «والطاغوت وهو يعبد من دون الله» -ولعل الصواب ما ذكرت والله أعلم- منهاج السنة (٣/٤٥١).

(٣) منهاج السنة (٦/٣٧٨).

(٤) الفرقان (ص/٧٢).

(٥) البحر المحيط (٣/٢٨٣).

(٦) إعلام الموقعين (١/٤٠).

(٧) مدارج السالكين (٣/٥٠٣).

وقال -رحمه الله- «والطاغوت: كل من تَعَدَّى به حده من طغيان وهو مجاوزة الحد فكلّ ما تَحَاكم إليه متنارعان غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو طاغوت إذ قد تعدَّى به حده»[1].

وعرّفه الحافظ ابن حجر رحمه الله بأكثر من تعريف قال «الطاغوت: وهو الشيطان والصنم»[2].

وقال رحمه الله «وكل من جاوز الحدَّ في تعظيم أو غيره فقد طغى»[3].

وعرّفه الإمام عمر بن علي الدمشقي[4] -رحمه الله- قال «الطاغوت: كلُّ معبود من دون الله»[5].

وعرّفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله «والطاغوت عام في كل ما عُبِد من دون الله ورَضِي بالعبادة من معبود، أو متبوع، أو مطاع، في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت»[6].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٥٥).

(٢) فتح الباري (١١/٥٤٦).

(٣) فتح الباري (١١/٦٥٣).

(٤) هو العلامة أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، عالم بالتفسير، من تصانيفه اللباب في علوم الكتاب، وحاشية على المحرر في الفقه الحنبلي، توفي بعد سنة ٨٨٠هـ، [الأعلام (٥/٥٨). معجم المؤلفين (٧/٣٠٠)].

(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٢/٥٤).

(٦) مجموعة التوحيد (ص/١٠).

وعرّفه العلامة الألوسي[1] رحمه الله بأكثر من تعريف قال: «والطاغوت: يطلق على كلِّ باطل من معبود أو غيره»[2] .

وقال -رحمه الله- «هو كل ما يدعو إلى الضلالة»[3].

وعرّفه العلامة محمد الأمين الشنقيطي بأكثر من تعريف قال -رحمه الله- «والتحقيق أن كل ما عُبِد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان»[4] .

وقال -رحمه الله- «واعلم أن كلَّ ما عُبِد من دون الله فهو طاغوت»[5].

وعرفه شيخ الإسلام الإمام ابن باز[6] بأكثر من تعريف قال -رحمه الله- «والطاغوت: اسم لكل ما عُبِد من دون الله فكلُّ معبود من دون الله

---

(١) هو أبو الثناء محمود شهاب الدين الألوسي ، ولد عام ١٢١٧هـ، وإمام المائة الثالثة عشرة الهجرية، ومؤسس المجمع العلمي والأدبي في العراق، أشهر مؤلفاته، روح المعاني، والأجوبة العراقية، ونهج السلامة، توفي عام ١٢٧٠هـ [الألوسي لمحمد بهجت البيطار (ص/٣٢-٣٦)].

(٢) روح المعاني (٣/٥٤).

(٣) روح المعاني (٧/٣٧٧).

(٤) أضواء البيان (١/١٨٠).

(٥) أضواء البيان (٣/٢٠٣).

(٦) هو العلامة الشيخ العالم القدوة المجدد، مفتي المملكة العربية السعودية، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ولد عام ١٣٣٠هـ، اجتمعت فيه خصال من الخير كثيرة، شغل عدة مناصب مهمة، له العديد من المؤلفات، منها: نقد القومية العربية، مناسك الحج والعمرة، توفي عام ١٤٢٠هـ [مقدمة كتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز لمحمد الحمد].

يسمى طاغوتاً فالأصنام والأشجار والأحجار والكواكب المعبودة من دون الله كلها طواغيت وهكذا من عبد وهو راض؛ كفرعون ونمرود وأشباههما يقال له طاغوت. وهكذا الشياطين طواغيت؛ لأنهم يدعون إلى الشرك.

وأما ما عُبِد من دون الله ولم يرض بذلك كالأنبياء والصالحين والملائكة فهؤلاء ليسوا طواغيت وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعا إلى عبادته من جن وإنس، أما الرسل والأنبياء والصالحون والملائكة فهم بُرَآءُ من ذلك وليسوا طواغيت»[(١)].

وقال -رحمه الله- «والطاغوت كل ما عُبِد من دون الله من الأنس والجن والملائكة وغير ذلك من الجمادات ما لم يكن يكره ذلك ولا يرضى به.

والمقصود أن الطاغوت كل ما عُبِد من دون الله من الجمادات وغيرها ممن يرضى بذلك أما مَنْ لا يرضى بذلك كالملائكة والأنبياء والصالحين فالطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم وزينها للناس»[(٢)].

وعرّفه العلامة محمد بن عثيمين[(٣)] رحمه الله قال: «والطاغوت مأخوذ من الطغيان فكلُّ شيء يتعدّى به الإنسان حدَّه يعتبر طاغوتاً»[(٤)].

---

(١) أركان الإسلام (ص/٤٣).

(٢) فتاوى ابن بار (٢/٤٤)، مجلة البحوث الإسلامية. عدد ٤٢ (ص/٨).

(٣) هو العالم الرباني أبو عبد الله محمد بن صالح العثيمين ولد عام ١٣٤٧هـ، في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، له مؤلفات منها القول المفيد شرح كتاب التوحيد، وشرح الواسطية، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية، توفي -رحمه الله- عام ١٤٢١هـ. [مقدمة كتاب ابن عثيمين الإمام الزاهد للدكتور ناصر الزهراني].

(٤) القول المفيد (١/٤٦٩).

وعرَّفته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ((معنى الطاغوت العام: هو كل ما عُبِد من دون الله مطلقاً تقرباً إليه بصلاة أو صيام أو نذر أو ذبيحة أو لجوء إليه فيما هو من شأن الله، لكشف ضُرٍ أو جَلْب نفع أو تحكيماً له بدلاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونحو ذلك))[1].

هذا ما وقفت عليه من أقوال العلماء -رحمهم الله- في تعريف الطاغوت والناظر فيها يجد أن منهم من عرَّفه بالمثال أو ببعض أفراده أو حده بتعريف يجمع أغلب أفراده.

قال ابن عطية الأندلسي بعد ما ذكر أقوال العلماء في تعريف الطاغوت: فقال رحمه الله ((أن هذه أمثلة في الطاغوت لأن كل واحد منها له طغيان))[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله[3] رحمه الله ((وقد فسره السلف ببعض أفراده))[4].

---

(١) فتاوى اللجنة (٧٨٣/١).

(٢) المحرر الوجيز (٢٨٣/٢).

(٣) هو العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المحدث الفقيه، ولد عام ١٢٠٠هـ وكان آية في العلم والحفظ والذكاء، برع في عدد من الفنون، له مؤلفات عديدة، منها: تيسير العزيز الحميد، توحيد الخلاق، وكتاب أوثق عرى الإيمان، قتل مظلوماً سنة ١٢٣٣هـ. [مقدمة تيسير العزيز الحميد بقلم الشيخ إبراهيم محمد آل الشيخ].

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص/٤٩).

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين[١] رَحِمَهُ اللَّهُ «فتحصل من مجموع كلامهم -رحمهم الله- أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله[٢] وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ويشمل أيضاً الكاهن والساحر وسدنة الأوثان»[٣].

وهذا الاختلاف بين أهل العلم -رحمهم الله- هو من باب اختلاف التنوع لا التضاد كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد»[٤].

وهذا ما نستعين الله على إيضاحه وبيانه من خلال دراسة أقوالهم في المبحث الآتي بإذن الله.

---

(١) هو العالم الجليل عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين من بيت علم وشرف ودين، ولد عام ١١٩٤هـ كان آية في العدالة والنزاهة مسدداً في أقضيته مشتهراً بفراسته، له من المؤلفات، مختصر بدائع الفوائد، ومختصر إغاثة اللهفان، تأسيس التقديس، توفي عام ١٢٨٢هـ، [مقدمة كتاب تأسيس التقديس].

(٢) يقيّد برضا المعبود.

(٣) مجموعة التوحيد (ص/١٠٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٣).

المطلب الثاني: دراسة أقوال أهل العلم في تعريف الطاغوت

وبعد ذكر أقوال أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في المطلب السابق حول تعريف الطاغوت نجد أن أقوالهم تنقسم قسمين؛

القسم الأول: هم الذين عرفوه بالشيطان والساحر والكاهن والصنم والأوثان وبيت الصنم وترجمان الأصنام، وهذا يُعد منهم -رحمهم الله- تعريفاً للشيء ببعض أفراده أو التعريف بالمثال لا أن الطاغوت محصورٌ فيما ذكروه، فمنهم من عرّفه بتعريف يجمع أكثر أفراده، وقد رجَّح بعض أهل العلم من التعريفات السابقة تعريف الطاغوت بالشيطان.

كما ذهب إلى هذا الإمام ابن جرير حيث رَجَّح أَنَّ الطاغوت هو الشيطان في جميع المواضع التي ذكر فيها في كتاب الله قال -رحمه الله-: «وذكرنا أنه في هذا الموضع الشيطان، وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا»[(١)].

وقال ابن عطية الأندلسي رحمه الله بعد ما ذكر أقوال العلماء في تعريف الطاغوت: «والشيطان أصل ذلك كله»[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير بعد ما ذكر تعريف عمر رضي الله عنه: « ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٣/٢٠٦).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٣٤٤). آية البقرة.

الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها»[١].

وقال العلامة أبا بطين في آخر كلامه عن الطاغوت وأنواعه -رحمه الله-: «وأكبر هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان فهو الطاغوت الأكبر والله سبحانه تعالى أعلم»[٢].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- «والطاغوت الشيطان وما زينه للمشركين من عبادة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله»[٣].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لآية البقرة: «والحظ الأكبر من ذلك للشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾[٥] إلى غير ذلك من الآيات»[٦].

وهذا الترجيح من أهل العلم -رحمهم الله- بأن الطاغوت هو الشيطان قائم على اعتبار مهم حيث إنهم رأوا أن الدافع والباعث والمحرض

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٤). آية البقرة .

(٢) مجموعة التوحيد (ص/١٠٤).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٣٢٧).

(٤) سورة يس [٦٠].

(٥) سورة النساء [١١٧].

(٦) أضواء البيان (١/١٨٠).

على كل شر والآمر به هو الشيطان فمن أجل هذا الاعتبار عَرَّفُوا الطاغوت بالشيطان لأنه سبب في كل طغيان، والله أعلم.

وأما القسم الثاني: هم الذين عَرَّفوه بكل معبود من دون الله فرأوا أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله وأن حصره في فرد من أفراده مجانب لمعناه الشرعي فرجح بعضهم تعريف الإمام مالك رحمه الله وهو كل ما عُبِد من دون الله ومن هؤلاء العلماء الإمام القرطبي رحمه الله حيث قال: «وقول مالك في هذا الباب حسن يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾»[2][3].

وقال الإمام البغوي رحمه الله «وهو كلُّ معبود من دون الله»[4].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «المسألة الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله»[5].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «والتحقيق أن كل ما عُبِد من دون الله فهوطاغوت»[6].

---

(١) سورة النحل [٣٦].

(٢) سورة الزمر [١٧].

(٣) تفسير القرطبي (٥/٢٣٩).

(٤) تفسير البغوي (٥/١٨).

(٥) فتح المجيد (ص/٢٩).

(٦) أضواء البيان (١/١٨٠).

وقال -رحمه الله-: «واعلم أن كُلُّ ما عُبِد من دون الله فهو طاغوت»[١].

وترجيح بعض أهل العلم -رحمهم الله- أن الطاغوت عام في كلِّ ما عُبِد من دون الله وجيهٌ جدّاً بسبب أن الطواغيت المعبودة من دون الله كثيرة ومتعددة ومتجددة في كل زمان ومكان لا يمكن حصرها. وهذا ما سنوضحه عند ذكر الضابط في تعريف الطاغوت.

وأما ما ذكره بعض أهل العلم من التعريفات الجامعة فبعضها أشمل من بعض وسوف نذكر التعريف الراجح للطاغوت في المطلب الآتي والله أعلم .

---

(١) أضواء البيان (٣/٢٠٢).

المطلب الثالث: الضابط في تعريف الطاغوت وشرحه

وبعد ما ذكر من دراسة لأقوال العلماء حول تعريف الطاغوت يتضح أنه عام في كل ما عُبَد من دون الله وهو راضٍ لأن الكفر بالطاغوت هو ما يقع عليه النفي في كلمة الإخلاص وهذه الكلمة نفت جميع المعبودات من دون الله بلا استثناء. قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وإن المنفي في كلمة الإخلاص كل ما يُعْبَدُ من دون الله من بشر أو ملك أو شجر أو حجر أو غير ذلك»[1].

وقال رحمه الله: «الآلهة هي الأنداد والطواغيت والشركاء وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] فذكرها مجموعة لكثرة أفرادها في الخارج وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[3] فذكرها بصيغة الجمع يدل على كثرة أفرادها وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٣٤٩).

(٢) سورة البقرة (٢٢).

(٣) سورة البقرة (١٦٥).

(٤) سورة البقرة (٢٥٦).

﴿يَعۡبُدُوهَا﴾[١] وهذه الآيات تدل على أن المعبودات التي تُعبد من دون الله كثيرة من الطواغيت وغيرها»[٢].

ومن خلال كلام الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: يتبين لنا أن كل آية أو حديث ذكر فيها الآلهة أو الأنداد أو الشركاء أو الأرباب فهذه كلها مسميات لمسمى واحد وهو الطاغوت فكل آية تحذر من الآلهة أو الأنداد أو الشركاء أو الأرباب فهي تحذر من الطاغوت فالطاغوت لا حصر لأفراده في الخارج لأنه ما من رسول إلا وحَذَّر أمته من عبادة الطاغوت قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣] فاتفاق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على عبادة الله واجتناب الطاغوت يدل دلالة واضحة على أنه كل ما عبد من دون الله.

قال العلامة أبابطين رحمه الله «والطاغوت: اسم لكلِّ معبود سوى الله»[٤].

ومما يوضح هذا المراد تعريف الإمام ابن القيم الذي بَيَّن فيه أن الطاغوت عامٌّ في كلِّ ما عبد من دون الله وهو التعريف الراجح.

قال -رحمه الله- «والطاغوت كلُّ ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوتُ كلِّ قومٍ مَنْ يتحاكمون إليه غيرُ الله ورسوله أو

---

(١) سورة الزمر (١٧).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (٣٥٩/٤).

(٣) سورة النحل (٣٦).

(٤) الدرر السنية (٣١٣/٢).

يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله»[1].

فأغلب أهل العلم -رحمهم الله- يرجحون هذا التعريف؛ قال العلامة الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: «وأما حقيقته والمراد به فقد تعددت عبارات السلف عنه وأحسن ما قيل فيه كلام ابن القيم»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- «وأجمع ما قيل فيه هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله بأنه: ما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع.

ومراده مَنْ كان راضياً بذلك أو يقال: هو طاغوت باعتبار عابده وتابعه ومطيعه؛ لأنه تجاوز به حده حيث نزّله فوق منزلته التي جعلها الله له فتكون عبادته لهذا المعبود واتباعه لمتبوعه، وطاعته لمطاعه طغياناً لمجاوزته الحد بذلك.

فالمتبوع مثل: الكهان والسحرة وعلماء السوء.

والمعبود مثل: الأصنام.

والمطاع مثل: الأمراء الخارجين عن طاعة الله فإذا اتخذهم الإنسان أرباباً يُحِلُّ ما حرم الله من أجل تحليلهم له ويحرِّم ما أحل الله من أجل تحريمهم له فهؤلاء طواغيت»[3].

فيدخل في هذا التعريف كل ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ، أو كان

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

(٢) الدرر السنية (١٠/ ٥٠٣).

(٣) القول المفيد (١/ ٢٣).

في حكم الراضي، وكلُّ من أشرك بالله في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته لأنه بشركه قد جاوز حده وطغا وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ((فكل مشرك إلهه طاغوته))[1]. فلا يخرج من هذا التعريف فرد من أفراد الطاغوت فيما يظهر لي والله تعالى أعلم.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٥٠٣) .

المبحث الثالث: كيفية الكفر بالطاغوت والإيمان به وعبادته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كيفية الكفر بالطاغوت.

المطلب الثاني: المراد من الإيمان بالطاغوت.

المطلب الثالث: المراد من عبادة الطاغوت.

المطلب الأول: كيفية الكفر بالطاغوت

لقد بيّن أهل العلم -رحمهم الله- مسألة الكفر بالطاغوت وما ذاك إلا لمنزلتها في الدين حيث لا بد لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكفر بالطاغوت لأنه شرط في صحة إسلامه وقبوله عند الله.

وكيفية الكفر به تكون بالقول والفعل والاعتقاد كما بيّن ذلك أهل العلم -رحمهم الله- ومنهم أبو حيان رحمه الله حيث قال في تفسير آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾[(١)]: «وناسب ذلك أيضاً اتصاله بلفظ الغَيِّ ولأن الكفر بالطاغوت متقدم على الإيمان بالله لأن الكفر بها هو رفضها ورفض عبادتها ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية مما كان مشتبهاً به سابقاً له قبل الإيمان لأن في النصية عليه مزيد تأكيد على تركه»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «ومعنى الكفر بالطاغوت أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو أنسي أو حجر أو غير ذلك وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ولو كان أباك وأخاك،

---

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

(٢) البحر المحيط (٢/٢٩٣).

فأما من قال: أنا لا أعبد إلا الله وأنا لا أتعرض للسادة والقباب على القبور وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله ولم يؤمن بالله ولم يكفر بالطاغوت»[١].

وقال رحمه الله: «فأما صفة الكفر بالطاغوت فهي أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفِّر أهلها وتعاديهم»[٢].

وقد بيّن رحمه الله في بعض أقواله أن بغض الطواغيت وعداوتهم بل وعداوة من يحبهم أو يجادل عنهم واجبة على كل مسلم ومن قال لم يكلفني الله بذلك فقد افترى على الله الكذب.

وقال رحمه الله: «فاللهَ اللهَ إخواني تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره أسّه ورأسه وهو شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوا من أحبَّهم أو جادل عنهم أو لم يكفِّرهم أو قال ما عَلَيَّ منهم أو قال ما كلَّفني اللهُ بهم فقد كَذَب هذا على الله وافترى بل كَلَّفه اللهُ بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده فاللهَ اللهَ تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين»[٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «وحاصله (أي التوحيد) هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله والإقبال بالقلب والعبادة على الله وذلك

---

(١) الدرر السنية (٢/١٢١)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٣٣).

(٢) الدرر السنية (١/١٦١)، مجموعة التوحيد (ص/١٠).

(٣) الدرر السنية (٢/١١٩).

هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وهو معنى لا إله إلا الله كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[١]»[٢].

وقال: «ومعنى الكفر بالطاغوت: هو خلع الأنداد والآلهة التي تُدعى من دون الله من القلب وترك الشرك بها رأساً وبغضه وعداوته»[٣].

ومما يبين لنا عناية العلماء -رحمهم الله- بكيفية الكفر بالطاغوت وصفته إجاباتهم على الأسئلة التي توضح كيف يكون العبد كافرًا بالطاغوت بفعله وقوله واعتقاده فمن هذه الأجوبة جواب العلامة أبا بطين رحمه الله عندما سئل عمن لا يعرف الإيمان بالله ولا معنى الكفر بالطاغوت.... الخ ؟.

فأجاب رحمه الله: «حكم الصنفين المسؤول عنهما الموصوفة حالهما يرجع إلى شيء واحد وهو: إن كان الرجل يقرُّ بأن هذه الأمور الشركية التي تفعل عند القبور وغيرها -من دعاء الأموات والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب إليهم بالنذور والذبائح- أن هذا شرك وضلال ومن أنكره هو المحِقُّ ومن زَيَّنه ودعا إليه فهو شرٌّ من الفاعل فهذا يحكم بإسلامه لأن هذا معنى الكفر بالطاغوت والكفر بما يُعْبَد من دون الله»[٤].

وجاء في معرض إجابته عن سؤال آخر قوله: «ولا إله إلا الله متضمنة للكفر بما يُعبد من دونه لأن معنى لا إله إلا الله إثبات العبادة لله وحده والبراءة

---

(١) سورة البقرة [١٦٣].

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/١٣٩).

(٣) المرجع السابق (ص/١٢٦).

(٤) الدرر السنية (١٠/٤٠٦-٤٠٨)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٦٨١).

من كل معبود سواه وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه، وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[1]»[2].

وقال العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله: «والمراد من اجتنابه هو بغضه وعداوته بالقلب وسبّه وتقبيحه باللسان وإزالته باليد عند القدرة ومفارقته، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق»[3].

ومن خلال عرض أقوال العلماء -رحمهم الله تعالى- يتضح لنا أن الكفر بالطاغوت فرض على كل مسلم ويكون باللسان وذلك بعداوتها وبغضها والتحذير منها، وبالقلب باعتقاد بطلانها وكرهها وبغضها، وباليد بإزالتها وتحطيمها عند القدرة على ذلك، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

(٢) مجموعة الرسائل (٥/٥٠١).

(٣) الدرر السنية (١٠/٥٠٢).

المطلب الثاني: المراد بالإيمان بالطاغوت

لقد بَيَّن أهل العلم -رحمهم الله- ما المراد بالإيمان بالطاغوت وأنه التصديق بالآلهة أو الأنداد أو الأرباب أو الشركاء أو السحرة أو الكهنة وغير ذلك من المعبودات التي تُعبد من دون الله فالتصديق بها إيمان بها فالكلام في هذا المطلب يدور حول قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[1] وما قاله أهل العلم فيها:

قال أبو حيان رحمه الله: ((فالإيمان بهما (أي الجبت والطاغوت) التصديق بأنهما آلهة يشركونهما في العبادة مع الله وإن كان حُيَيًّا وكَعْبًا أو جماعة من اليهود أو الساحر أو الكاهن أو الشيطان فالإيمان بهم عبارة عن طاعتهم وموافقتهم على ما هم عليه ويكون من باب إطلاق ثمرة الإيمان، وهي الطاعة على الإيمان))[2].

ومما يزيد الأمر إيضاحاً قول العلامة الألوسي رحمه الله حيث قال: ((معنى الإيمان بهما إما التصديق بأنهما آلهة وإشراكهما بالعبادة مع الله تعالى وإما طاعتهما وموافقتهما على ما هما عليه من الباطل وإما القدر المشترك بين المعنيين كالتعظيم مثلاً والمتبادر المعنى الأول أي أنهم يصدقون بألوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الإله الحقّ ويسجدون لهما))[3].

---

(١) سورة النساء [٥١].

(٢) البحر المحيط (٣/٢٨٣).

(٣) روح المعاني (٣/٥٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في معنى الإيمان بالطاغوت: ((أي يصدقون به ويقرونه ولا ينكرونه))(١).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ((المسألة الرابعة: وهي أهمها ما معنى الإيمان بالجِبْت والطاغوت هل هو اعتقاد قلب أو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها))(٢).

ولقد بين العلماء -رحمهم الله- مراد الشيخ في هذه المسألة عند شرحهم لها ومنهم العلامة عبد الهادي بن محمد العجلي(٣) حيث قال: ((والمقصود أن اليهود وافقوا قريشًا على السجود للصنمين مع بغضهما ومعرفة بطلانهما ويقولون أنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين وهم يعرفون كفرهم))(٤).

ومراده رحمه الله أن الله وصفهم بالإيمان بالجبت والطاغوت بمجرد موافقتهم للمشركين في الظاهر وإن كانوا في الباطن يعتقدون خلاف ذلك. وذكر أهل العلم -رحمهم الله- الخبر الذي بسببه نزلت هذه الآية.

---

(١) القول المفيد (١/٤٦٩).

(٢) كتاب التوحيد - باب: ما جاء أن هذه الأمة تعبد الأوثان.

(٣) هو الشيخ عبد الهادي بن محمد البكري العجلي ولد عام ١١٦٢هـ، كان عالماً باللغة والبلاغة والصرف والحديث له من المؤلفات: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، وشرح على الأصول الثلاثة، توفي عام ١٢٦٢هـ [مقدمة تحقيق التجريد بقلم د/حسن العواجي (١/٤٣-٦٣)].

(٤) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (٢/٢٥١-٢٥٢).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المفسرون خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشًا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأْمَن أن يكون هذا مكرًا منكم، فإن أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾»[1] [2].

وهذا الفعل من اليهود هو موافقة في الظاهر لكفار قريش وإن كانوا في الباطن يعتقدون بطلانه، كما ذكره بعض أهل العلم ومع هذا أصبحوا ممن آمن بالجبت والطاغوت.

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: «في الآية دليل على أن الموافقة في الظاهر تسمى إيماناً ولو لم يوافقهم في الباطن لأن اليهود لما قالوا لكفار قريش أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. هم في الباطن يعتقدون بطلان هذا الكلام ولكنهم وافقوهم في الظاهر ومع هذا سَمَّى الله هذا إيماناً بالجِبت والطاغوت»[3].

وفصل القول في هذه المسألة العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «أما إيمان القلب واعتقاده فهذا لا شك في دخوله في الآية.

---

(١) سورة النساء [٥١].

(٢) تفسير البغوي (٢/٢٣٥)، أسباب النزول للواحدي (ص/٤٩).

(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/٤٥٣).

وأما موافقة أصحابها في العمل مع بغضها ومعرفة بطلانها فهذا يحتاج إلى تفصيل؛ فإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة فإنه لا يكفر لكنه لا شك على خطر عظيم يخشى أن يؤدي الحال به إلى الكفر والعياذ بالله»[١].

ولأهمّيّة هذه المسألة بيّن أهل العلم -رحمهم الله- الأعمال التي هي من الإيمان بالطاغوت وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما تكلم على الأحوال الشيطانية من الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بالأموات وغير ذلك من الأمور الشركية: «وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة... إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها والإيمان بها إيمان بالجِبْت والطاغوت»[٢].

وقال أيضاً: «ومن الناس من يتقرب إلى الجن بالعدس فيطبخون عدساً ويضعونه في المراحيض أو يرسلونه ويطلبون من الشياطين بعض ما يطلب منهم كما يفعلون مثل ذلك في الحمّام وغير ذلك، وهذا من الإيمان بالجِبْت والطاغوت»[٣].

وقال في معرض كلامه على بعض أهل الزيغ والضلال: «ومن هؤلاء مَنْ يعظِّم الشرك والسحر والأحوال الشيطانية مما هو من الإيمان بالجِبْت والطاغوت»[٤].

---

(١) القول المفيد (٤٩٧/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٩/١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/٢٧).

(٤) منهاج السنة (٣٧٨/٦).

وقال عن الإمامية: «فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت»[1].

ونختم هذا المطلب بكلام العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ حول هذه الآية العظيمة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين أن أخلاقهم الرذيلة وطَبْعهم الخبيث حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجِبْت والطاغوت وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله أو حكم بغير شرع الله، فدخل في ذلك السحر والكهانة وعبادة غير الله وطاعة الشيطان كلٌّ هذا الجِبْت والطاغوت»[2].

(١) منهاج السنة (٣/٤٥١).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص/١٨٢).

المطلب الثالث: المراد من عبادة الطاغوت

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الخليقة وأمرهم بعبادته كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٢] فالمقصود هو عبادة الله وحده واجتناب الشرك الذي هو عبادة الطاغوت كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣] فكل من أشرك مع الله إلهاً آخر فقد اتخذ من دون الله طاغوتاً قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((فكل مشرك إلهُهُ طاغوتُه))[٤].

فالعبادة إذا لم تكن لله خالصة فهي للطاغوت، فعبادته هي صرف أيِّ نوع من أنواع العبادة سواء كانت قولية أم فعلية أم اعتقادية للطاغوت.

قال العلامة سليمان بن عبد الله: ((كل مَنْ عَبَد شيئًا من دون الله فإنما عَبَد الطاغوت وجاوز بمعبوده حدَّه فأعطاه العبادة التي لا تنبغي له))[٥].

فكل مَنْ عبد هواه والشيطان أو الساحر أو الكاهن أو العراف أو غير ذلك مما لا حصر له فهو عابد للطاغوت.

---

(١) سورة الذاريات [٥٦].

(٢) سورة البينة [٥].

(٣) سورة التوبة [٣١].

(٤) مدارج السالكين (٣/٥٠٣).

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما من ترك عبادته بما أُمِر به واتَّبع هواه فهو لا يعبد الله إنما يعبد الشيطان ويعبد الطاغوت»(١).

وقال رحمه الله عن السحرة وأشباههم: «وهذا كما أن لأرباب السحر والنيرجينات(٢) وعمل الكيمياء(٣) وأمثالهم ممن يدخل في الباطل الخفي الدقيق يحتاج إلى أعمال عظيمة وأفكار عميقة وأنواع من العبادات والزهادات والرياضات ومفارقة الشهوات والعادات ثم آخر أمرهم الشك بالرحمن وعبادة الطاغوت والشيطان»(٤).

وقال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله شارحاً لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾(٥): «ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضاً عما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر وهو من عبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر»(٦).

---

(١) الفتاوى (١٦/٥٦٥).

(٢) النيرجينات هي: أُخَذٌ كالسحر ويقال نورج في الكلام نمّ [المعجم الوسيط (ص/٩٦٢.٩٦٧)].

(٣) الكيمياء هي: علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية، وجلب خاصية جديدة إليها، [أبجد العلوم (٢/٤٥٦)، والتعريفات (ص/١٨٩)]. قلت علم الكيماء في وقتنا الحاضر يقوم على أساليب علمية مثل التجربة ونحوها وليس لأرباب السحر فيه علاقة، وهو يُدْرَس بالجامعات كتخصص علمي.

(٤) درء التعارض (٥/٦٢-٦٣).

(٥) سورة البقرة [١٠٢].

(٦) معارج القبول (٢/٥٥٠).

فهذه بعض الأعمال التي يطلق على فاعلها عابدُ الطاغوت وكلها تندرج تحت الشرك بالله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن اليهود- لعنهم الله- وما وقع عليهم من الخزي والعذاب: ((فإن ذلك عقوبة منه لهم على ذنوبهم وذلك خزي لهم فعابهم بلعنة الله وعوقبته بالشرك الذي فيهم وهو عبادة الطاغوت))[1].

فبهذا يتضح أن كل مَنْ عبد شيئًا من دون الله فهو عابد للطاغوت.

(١) منهاج السنة (١/٤٨٥).

الفصل الثالث: أهمية الكفر بالطاغوت، ومنزلته من الدين، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم على وجوب الكفر بالطاغوت.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة المطهرة على وجوب الكفر بالطاغوت.

المبحث الثالث: أقوال أهل العلم في بيان وجوب الكفر بالطاغوت.

المبحث الرابع: أثر الكفر بالطاغوت في الإيمان.

المبحث الخامس: الجهل بمعنى الكفر بالطاغوت وأثره في انتشار في فتنة التكفير.

المبحث الأول: الأدلة من القرآن الكريم على وجوب الكفر بالطاغوت

لقد بيّن الله ﷻ في كتابه العزيز أهمية الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين في أكثر من آية وما ذاك إلا لأنه أساس الدين وأحد ركني التوحيد والنفي في لا إله إلا الله فلا قبول للإيمان عند الله إلا بالكفر بالطاغوت، وهذا واضح جَليٌّ لمن تتبع آيات الكتاب العزيز ومما يدل على أهميته ومنزلته من الدين تنوع أدلة القرآن العظيم في بيان أهميته ؛ فتارة يقدم على الإيمان بالله، وتارة يبين أن جميع الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- أُمَرُوا أقوامهم باجتنابه، وتارة يذكر باجتناب عبادته والبراءة منه ومن عابديه والمدح والثناء مِن الله لمن فعل ذلك، وتارة يُذَمّ من والاه إلى غير ذلك من تنوع الأدلة التي تدل على وجوب الكفر به، وهذه الأدلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ورد بلفظ الطاغوت صريحًا.

والقسم الثاني: ما ورد بلفظ الأنداد أو الشركاء أو الأرباب أو الآلهة أو الأصنام أو الأوثان.

والقسم الثالث: ما تضمنته أدلة إفراد الله بالعبادة والنهي عن عبادة ما سواه من وجوب الكفر بالطاغوت وهذه الأدلة بأقسامها الثلاثة تدل على أهمية وجوب الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين.

لأنه ما من نبي إلا أمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن

عبادة ما سواه وهذا هو حقيقة الكفر بالطاغوت أن يفرد الله بالعبادة ويكفر بعبادة ما سواه.

وهذا ما سيتضح بإذن الله من خلال عرض الأدلة بأقسامها الثلاثة وما قال أهل العلم في تفسيرها:-

القسم الأول من الأدلة ما ورد بلفظ الطاغوت

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

تدل هذه الآية الكريمة على أهمية وجوب الكفر بالطاغوت حيث قُدم على الإيمان بالله وجُعِل شرطاً لقبول الإيمان وهو النفي في كلمة التوحيد حيث إنه ينفي كل معبود من دون الله وهو حقيقة الدين وأساسه والقائم به هو المستمسك بلا إله إلا الله حقيقةً وهذا ما يوضحه كلامُ أهل العلم- رحمهم الله- حول هذه الآية:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «فتأويل الكلام إذاً: فمن يجحد ربوبية كلَّ معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله، يقول: ويصدق بالله أنه إلهه وربَّه ومعبوده فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول: فقد تمسك بأوثق ما يتمسك

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه....

والعروة في هذا المكان مثل الإيمان الذي اعتصم به المؤمن فشبَّهه في تعلُّقِه به وتمسكه به بالمتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها إذ كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته، وجعل- تعالى ذكره- الإيمانَ الذي تمسك به الكافرُ بالطاغوت المؤمنُ بالله، مِن أوثق عرى الأشياء بقوله: (الوثقى)....

وجاء عن سعيد بن جبير في العروة الوثقى: ((هي لا إله إلا الله)).

ومعنى الكلام: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها....

والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تُعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى عليه أمر حتى يجازى كُلاًّ يوم القيامة بما نطق به لسانُه وأضمرته نفسُه إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فَشرًّا))(١).

وقال الإمام ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: ((ولما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حَسُن في الصفات: (سميع) من أجل

---

(١) تفسير الطبري (٣/١٩-٢١).

النطق و(عليم) من أجل المعتقد))[١]، وبنحو هذا القول قال الإمام القرطبي في تفسيره[٢].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أي من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعْبَد من دون الله ووحَّد اللهَ فعبدَه وحدَه وشهد أن لا إله إلا هو ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم))[٣].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: ((فدلت الآية على أنه لا يكون مستمسكاً بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم لأنه لم يتمسك بلا إله إلا الله، فتدبر واعتقد ما ينجيك من عذاب الله وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً))[٤].

ويتضح من كلامه أن الكفر بالطاغوت هو النفي في لا إله إلا الله.

وقال العلامة سليمان بن سحمان[٥] رحمه الله: ((فبيَّن تعالى أن

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٨٣).

(٢) تفسير القرطبي (٣/٢٧٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣١٩).

(٤) الدرر السنية (١١/٢٦٣).

(٥) هو العلامة سليمان بن مصلح بن حمدان الخثعمي، مولاهم التبالي العسيري أصلاً، والنجدي مولداً ومستقراً، ولد في عام ١٢٦٦هـ، وهو اللسان المدافع عن الدعوة السلفية النجدية، من أشهر مصنفاته الضياء الشارق وإرشاد الطالب، توفي- رحمه الله - عام ١٣٤٩هـ [علماء نجد (١/٢٧٩)].

المستمسك بالعروة الوثقى هو الذي يكفر بالطاغوت وقَدَّم الكفر به على الإيمان بالله لأنه قد يدعي المدعي أنه يؤمن بالله وهو لا يجتنب الطاغوت وتكون دعواه كاذبة»[١].

وهذا يدل على عظم الأمر لأن الإيمان بالله لا يكون مقبولاً عند الله إلا إذا كَفَر بالطاغوت.

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان ويؤمن بالله إيماناً تاماً أوجب له عبادة ربه وطاعته ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه وكان المتمسك به على ثقة من أمره لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ وأما مَنْ عَكَسَ القضية فكفر بالله وآمن بالطاغوت فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة واستمسك بكل باطل مآله إلى الجحيم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيجازي كُلاًّ منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى ولمن لم يستمسك بها»[٢].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي[٣] رحمه الله: «وأشار إلى أنه لا يؤمن

---

(١) الدرر السنية (١٠/٥٠٢).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص/١١١).

(٣) هو العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار، يرجع نسبه إلى حمير، ولد عام ١٣٢٥هـ، من أشهر مصنفاته أضواء البيان ونظم في الفرائض، توفي عام ١٣٩٣هـ [مقدمة كتاب ترجمة الشيخ عبد الرحمن السديس للشيخ الشنقيطي].

أحد حتى يكفر بالطاغوت.... ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو كذلك، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزلٍ عن الإيمان لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقى و الإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله لأن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله أو ركن منه كما هو صريح قوله ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾»[1].

وبعد نقل كلام العلماء -رحمهم الله- حول هذه الآية نجد أن كلامهم يتلخص في النقاط التالية:

١- أن تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله دليل واضح على أهميته ومنزلته في الدين.

٢- أنه شرط في الإيمان بالله، فلا يقبل الإيمان ولا يصح إلا به.

٣- أن الكفر بالطاغوت هو النفي في (لا إله إلا الله) لأنه ينفي كلَّ معبود من دون الله وهذا ما تنفيه (لا إله إلا الله).

٤- أن الكافر بالطاغوت هو المستمسك بلا إله إلا الله حقيقةً.

٥- أن الكفر بالطاغوت يكون بالقول والفعل والاعتقاد.

هذا والله أعلم.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

---

(١) أضواء البيان (١/٢٦١).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١].

تدل هذه الآية الكريمة على أهمية الكفر بالطاغوت لأن ولاية الله حاصلة ومتحققة لمن كَفَر بالطاغوت، لأن من كَفَر به أصبح من أولياء الله الصالحين وحزبه المفلحين الذين خرجوا من الظلمات إلى النور، وأما من تولَّ الطاغوتَ فقد خَرَجَ من نور الفطرة إلى ظلمات الشرك والكفر ومصيره إلى النار، وهذا أوان الشروع في ذكر أقوال العلماء ـ رحمهم الله ـ حول هذه الآية.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به فقال ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني الجاحدين وحدانيته (أولياؤهم) يعني نُصَرَاءَهم وظُهَرَاءَهم الذين يتولونهم (الطاغوت) يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعني بالنور: الإيمان على نحو ما بينا إلى الظلمات ويعني بالظلمات: ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون إبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسُبله»[٢].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ قال مقاتل: يعني كعب بن الأشرف وحُيَي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فوحَّد (وليَّ) الذين آمنوا وهو الله الواحد

---

(١) سورة البقرة [٢٥٧].

(٢) تفسير الطبري (٣/٢١).

(٣) تفسير البغوي (١/٣١٥).

الأحد، وجمع (وليّ) الذين كفروا لتعددهم وكثرتهم. وجمع (الظلمات) وهي طرق الضلال والغي لكثرتها واختلافها ووحد (النور) وهو دينه وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه»[١].

وقال: «وهذا يتضمن إخراج الشياطين لهم من نور الفطرة إلى ظلمة الكفر والشرك، ومن النور الذي جاءت به الرسل من الهدى والعلم إلى ظلمات الجهل والضلال»[٢].

وقال: «فأولياؤهم يعيدونهم إلى ما خُلِقُوا فيه من ظلمة طبائعهم وجهلهم وأهوائهم، وكُلَّما أشرق لهم نورُ النبوة والوحي وكادوا أن يدخلوا فيه منعهم أولياؤهم منه وصَدُّوهم، فذلك إخراجهم إياهم من النور إلى الظلمات»[٣].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك... ولهذا وحّد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة»[٤].

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٢٠).

(٢) أحكام أهل الذمة (٢/٥٣٢).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/٣٢٠).

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «وهذا يشمل ولايتهم لربهم بأن تولوه فلا يبغون عنه بدلاً ولا يشركون به أحداً... ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ فتولوا الشيطان وحزبه واتخذوه من دون الله ولياً ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزونهم إلى المعاصي أزًّا ويزعجونهم إلى الشر إزعاجًا، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي»[١].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «المراد بالظلمات الضلالة وبالنور الهدى، وهذه الآية يفهم منها أن طرق الضلال متعددة لجمعه الظلمات وأن طريق الحق واحده لإفراده النور وهذا المعنى المشار إليه هنا بينه تعالى في مواضع أخر كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٢]... إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل وتعدده وتشعبه منه بلفظه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[٣][٤]».

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء -رحمهم الله- حول هذه الآية نستخلص من كلامهم النقاط التالية:-

---

(١) تفسير ابن سعدي (ص/١١١).

(٢) سورة الأنعام [١٥٣].

(٣) سورة البقرة [٢٥٧].

(٤) أضواء البيان (١/١٧٩).

١- أن ولاية الله لا يستحقها إلا مَنْ آمن به وكفر بالطاغوت.

٢- أن ولاية الله تستلزم الخروج من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام والإيمان.

٣- أن كل من كفر بالله وأشرك معه غيره فقد اتخذ الطاغوت وحزبه أولياء من دون الله.

٤- أن طريق الحق واحد وطرق الضلال والكفر والشرك متعددة لا حصر لها.

٥- أن ولاية الله توصل صاحبها إلى الجنة وولاية الطاغوت توصل صاحبها إلى النار، والله تعالى أعلم.

الدليل الثالث:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [(١)].

لهذه الآية الكريمة وجهان من الدلالة؛ دلالة منطوق ومفهوم، فدلالة المنطوق هي ذَمٌّ لمن كفر بالله وآمن بالجِبْت والطاغوت وهم اليهود لأن هذه الآية ليست مدحاً لهم، إنما هي ذَمٌّ لهم، ودلالة المفهوم وهي أهمية الكفر بالجِبْت والطاغوت وعدم الإيمان بهما، ولأن الكافر بهما هو الممدوح عند الله. وهذه بعض أقوال العلماء حول هذه الآية:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يعني بذلك -جلَّ ثناؤه- ألم تر بقلبك يا محمد إلى الذين أعطوا حظًّا من الله فعلموه يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني

(١) سورة النساء [٥١].

يصدقون بالجِبت والطاغوت ويكفرون بالله وهم يعلمون أن الإيمان بهما كفر والتصديق بهما شرك... والصواب من القول في تأويل ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله ويتخذونهما إلهين، وذلك أن الجِبت والطاغوت اسمان لكل معظَّم بعبادةٍ من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائناً ما كان ذلك المعظَّم من حجر أو إنسان أو شيطان وإذ كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظَّمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جُبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حُيَي بن أخطب وكعب بن الأشرف لأنهما كانا مُطَاعينِ في أهل مِلَّتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله فكانا جِبتينِ وطاغوتَينِ.... يعني جلَّ ثناؤه بقوله (أولئك): هؤلاء الذين وصف صفتهم أنهم أُوتوا نصيباً من الكتاب وهم يؤمنون بالجِبت والطاغوت هم الذين لعنهم الله يقول: أخزاهم الله فأبعدهم من رحمته بإيمانهم بالجِبت والطاغوت وكفر بالله ورسوله عناداً منهم لله ولرسوله»[١].

قال العلامة السعدي: «وهذه من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض عنه بالإيمان بالجِبْت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة

---

(١) تفسير الطبري (١/١٣٠.١٣٣.١٣٦).

لغير الله، أو حكم بغير شرع الله، فدخل في ذلك السحر والكهانة وعبادة غير الله وطاعة الشيطان، كل هذا من الجبت والطاغوت»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين في شرحه لكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب: (من فوائد الآية ما يلي):-

١. أن من العجب أن يُعطى الإنسان نصيباً من الكتاب ثم يؤمن بالجِبْت والطاغوت.
٢. أن العلم قد لا يَعْصِم صاحبَه من المعصية؛ لأن الذين أُوتوا الكتاب آمنوا بالكفر والذي يُؤْمِن بالكفر يؤمن بما دونه من المعاصي.
٣. وجوب إنكار الجِبْت والطاغوت؛ لأن الله تعالى ساق الإيمان بهما مساق العَجَب والذَّم، فلا يجوز الإقرار بالجِبْت.
٤. ما ساقها المؤلف من أجله أن من هذه الأمة من يؤمن بالجِبْت والطاغوت لقوله: «لَتَركَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم»[٢]. فإذا وجد في بني إسرائيل من يؤمن بالجِبْت والطاغوت، فإنه سيوجد في هذه الأمة أيضاً من يؤمن بالجِبْت والطاغوت»[٣].

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «في الآية دليل على أن اليهود

(١) تفسير ابن سعدي (ص/١٨٢).

(٢) رواه الترمذي . أبواب الفتن، باب: ما جاء (لَتَركَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم) (٦/٣٤٣). وقال: «حسن صحيح».

(٣) القول المفيد (١/٤٧٤).

والنصارى يؤمنون بالجِبْت والطاغوت الذي هو الشرك والسحر والكهانة والطِّيَرة والتنجيم والحُكْم بغير ما أنزل الله، فسيوجد في هذه الأمة مَنْ يؤمن بالجِبْت والطاغوت تشبُّهًا بهم»[١].

وملخَّص كلام أهل العلم- رحمهم الله- حول هذه الآية ما يلي:-

١- أن الله ذَمَّ كلَّ مَنْ آمن بالجِبْت والطاغوت من اليهود وغيرهم.

٢- أهمية الكفر بالجِبْت والطاغوت وعدم الإيمان بهما لأن الكافر بهما هو المحبوب عند الله، كما هو واضح من مفهوم الآية.

٣- أنه سيقع من بعض هذه الأمة الإيمان بالجِبْت والطاغوت، تبعًا لليهود والنصارى كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

٤- أن العلم قد لا يعصِم صاحبه من الضلالة والكفر والشرك.

الدليل الرابع:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢].

تدل هذه الآية الكريمة على تكذيب من ادَّعى الإيمانَ وهو يَتحاكم إلى الطاغوت الذي أمره الله سبحانه وتعالى بالكفر به، فبهذا يتبين أن كلَّ قول لا يصدقه العمل ممقوت صاحبه عند الله؛ لأن هذا من عمل الشيطان الذي

---

(١) إعانة المستفيد (١/٤٥٢).

(٢) سورة النساء [٦٠].

هو رأسُ الطواغيت، وإليك بعض ما ذكره أهل العلم حول هذه الآية العظيمة:

قال الإمام ابن جرير: «يعني بذلك جلّ ثناؤه: ألم تَرَ يا محمد بقلبك فتعلم إلى الذين يزعمون أنهم صدّقوا بما أُنزل إليك من الكتاب و إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل من قبلك من الكتب يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت يعني: إلى من يعظِّمونه ويَصْدُرُون عن قوله ويرضون بحكمه من دون حكم الله ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ يقول: وقد أمرهم الله أن يُكذِّبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه فتركوا أمر الله واتبعوا أمر الشيطان ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ يعني: أن الشيطان يريد أن يَصُدّ هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلَّهم عنها ضلالاً بعيداً يعني: فيجور بهم عنها جورًا شديدًا»[١].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله... والآية أعمُّ من ذلك كلِّه فإنها ذامّة لمن عَدَل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلى آخرها»[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١٥٢/٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٣١/١).

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «يُعَجِّب تعالى عباده من حالة المنافقين الذين يزعمون أنهم مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله ومع هذا ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو كلُّ من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت.

والحال أنهم ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ فكيف يجتمع هذا والإيمان ؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور فمن زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب في ذلك، وهذا من إضلال الشيطان إياهم ولهذا قال ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ عن الحق»[1].

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فكلُّ من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به، فإن التحاكم ليس إلا إلى الله وسنة رسوله ومن كان يحكم بهما، فمن حاكم إلى غيرهما: فقد تجاوز به حده وخرج عما شرعه الله ورسوله وأنزله منزلةً لا يستحقها... فمن خالف ما أمر الله به رسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله (يزعمون) من نفي إيمانهم، فإن (يزعمون) إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها، يحقق هذا

---

(١) تفسير ابن سعدي (ص/١٨٤).

قوله ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً... وقوله ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ يبين تعالى في هذه الآية: أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه، ويبين أن ذلك مما أضلَّ به الشيطانُ مَن أضلَّه وأكَّده بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى، ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن، وما أبلغه وما أدلَّه على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلَّغه عبدُه الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه أجمعين»[1].

وأجابت اللجنة الدائمة للإفتاء عن هذه الآية بما نصه:-

«والمراد بالطاغوت في الآية: كل ما عدل عن الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إلى التحاكم إليه من نُظُم وقوانين وضعية، أو تقاليد وعادات متوارثة أو

---

(١) فتح المجيد (٢/٦٥٥-٦٥٨). وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص/٥٤٤) وما بعدها، قرة عيون الموحدين (ص/١٩٣) وما بعدها.

رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك، أو بما يراه زعيم الجماعة أو الكاهن. ومن ذلك يتبين أن النُّظُمَ التي وُضِعت ليتحاكم إليها مضاهاةً لتشريع الله داخلةٌ في معنى الطاغوت، لكن مَنْ عُبِد من دون الله وهو غير راضٍ بذلك كالأنبياء والصالحين لا يسمى طاغوتاً وإنما الطاغوت: الشيطان الذي دعاهم إلى ذلك وزينه لهم من الجن والإنس»[1].

ويستفاد من كلام أهل العلم على الآيات ما يلي:-

١- أن الذي يدعي الإيمان بالله ولا يرد النزاعات إلى الله وسنة رسوله ﷺ فهو كاذب في دعواه.

٢- أهمية وجوب الكفر بالطاغوت لأن الله أمرنا بذلك وأوجبه علينا لأن الدين لا يقوم إلا بالكفر بكل طاغوت.

٣- استند بعض أهل العلم على هذه الآية وغيرها في تفسير الطاغوت: بالشيطان.

٤- أن التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أعظم أنواع الضلال.

٥- أن أي دعوى لا تكون صحيحة إلا إذا وافق القولُ العملَ وأما القول وحدَه فلا عبرة به.

٦- أن من صفات أهل النفاق مخالفَة أقوالهم لأعمالهم.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٨٤).

الدليل الخامس:

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾[(١)].

تدل هذه الآية الكريمة على أن أهل التوحيد الذين أفردوا الله بالعبادة وأخلصوا له هم الذين يقاتلون في سبيله، ومن أجل إعلاء كلمته، وأما أهل الشرك والكفر والضلال هم الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت فأمر الله عباده الموحدين بقتالهم وأخبرهم بضعف كيدهم ؛ لأن الدافع لهم هو الشيطان.

وهذه بعض أقوال العلماء -رحمهم الله- نذكرها حول هذه الآية الكريمة:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: ((يعني تعالى ذكره: الذين صدّقوا الله ورسوله وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به ﴿ **يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾ يقول: في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ** ﴾ يقول: والذين جحدوا وحدانية الله وكذّبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله، يقول الله مقويّاً عَزْم المؤمنين به من أصحاب رسوله ﷺ ومحرضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به فقاتلوا أيها المؤمنون أولياء الشيطان يعني بذلك الذين يتولونه ويطيعون أمره في خلاف طاعة الله والتكذيب به وينصرونه))[(٢)].

---

(١) سورة النساء [٧٦].

(٢) تفسير الطبري (٥/١٦٩).

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «هذا إخبار من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الذي هو الشيطان في ضمن ذلك عدة فوائد: منها: أنه بحسب إيمان العبد يكون جهاده في سبيل الله وإخلاصه ومتابعته، فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شُعَب الكفر ومقتضياته.

ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون وهم على باطل فأهل الحق أولى بذلك»[1].

وملخص كلام العلماء حول هذه الآية فيما يلي:-

١- أن أهل التوحيد هم الذين يُقَاتِلون في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

٢- أن أهل الكفر والشرك هم أنصار الشيطان وأولياؤه.

٣- أهمية وجوب الكفر بالطاغوت لأن الله أمر عباده الموحدين بقتال أولياء الطاغوت مما يدل على مكانته ومنزلته من الدين.

٤- أن أهل الباطل مهما كانت لهم القوة فكيدهم ضعيف.

الدليل السادس:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

(١) تفسير السعدي (١/١٨٧).

عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[(١)].

تدل هذه الآية الكريمة على أن ولاية الطاغوت من أعظم الأسباب التي تستوجب الطرد والبعد من رحمة الله وهذا بسبب استجابتهم لداعي الشيطان الذي نهانا الله عن عبادته وطاعته فحال أولياء الطاغوت شَرٌّ حال وضلالُهم أعظمُ ضلال.

وهذا بعض ما ذكره أهل العلم حول هذه الآية:

قال الإمام البغوي رحمه الله: «أي جعل منهم من عَبَد الطاغوت أي: أطاع الشيطان فيما سوَّل له»[(٢)].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «والمعنى: وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت»[(٣)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وُجِد منكم جميع ما ذكر»[(٤)].

---

(١) سورة المائدة [٦٠].

(٢) تفسير البغوي (٣/٧٥).

(٣) تفسير القرطبي (٦/٢٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٧٧).

وخلاصة الكلام حول هذه الآية مما قاله العلماء ما يلي:-

١. أهمية الكفر بالطاغوت لأن عبادته تستوجب لعنة الله وغضبه مما يوجب علينا الكفر به.

٢. أن عبادة الطاغوت سببها طاعة الشيطان وإغواؤه لبني آدم.

٣. أن شرّ الناس على الإطلاق من استحق الطرد والبعد عن رحمة الله.

٤. أن عبادة غير الله تستوجب غضب الله وتجعل صاحبها في شر حال.

الدليل السابع:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].

تدل هذه الآية الكريمة على أن إفراد الله بالعبادة وإخلاصها له وترك كل معبود سواه هي الدعوة التي من أجلها بَعَث الرُّسَلَ من أولهم إلى آخرهم، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، فمن استجاب لهم فهو المهتدي ومن أعرض عنهم فهو الشَّقِيّ، وهذا ما سيتضح من خلال عرض كلام أهل العلم حول هذه الآية الكريمة:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلِّ أُمَّة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم؛ بأن اعبدوا الله وحده لا

---

(١) سورة النحل [٣٦].

شريك له وأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان واحذروا أن يغويكم ويصدكم عن سبيل الله فتضلوا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يقول: فمِمَّن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله فوفقه لتصديق رسله والقبول منها والإيمان بالله والعمل بطاعته ففاز وأفلح ونجا من عذاب الله. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حَقَّت عليهم الضلالة فجاروا عن قصد السبيل فكفروا بالله وكذَّبوا رسله واتبعوا الطاغوت فأهلكهم الله بعقابه وأنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين»[(١)].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «أي اعبدوا الله ووحِّدوه ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ أي اتركوا كلَّ معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكلَّ مَن دعا إلى الضلال... وقيل المعنى: ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولاً ليبين لهم الذي يختلفون فيه، والذي اختلف فيه المشركون والمسلمون أمور: منها البعث، ومنها عبادة الأصنام ومنها إقرار قوم بأن محمدًا حق، ولكن منعهم من اتباعه التقليد؛ كأبي طالب»[(٢)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وبَعَثَ في كل أُمَّة أي في كل قَرْن وطائفة من الناس رسولاً وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (١٠٣/١٤).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٩٤-٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٨٩/٢).

وقال العلامة سليمان بن عبد الله: «وأما معنى الآية فأخبر تعالى أنه بَعَث في كل أُمَّة أي في كل طائفة وقَرْن من الناس رسولاً بهذه الكلمة أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت أي: اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه فلهذا خُلِقت الخليقة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [2] وهذه الآية هي معنى لا إله إلا الله فإنها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته لا إله إلا الله ففي قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الإثبات، وفي قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النفي. فدلت الآية على أنّه لا بد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه وهو التوحيد الذي تضمنته سورة﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وهومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [3]...»[4].

وقال العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله: «فأخبر أن جميع المرسلين قد

---

(١) سورة الأنبياء [٢٥].

(٢) سورة الرعد [٣٦].

(٣) سورة البقرة [٢٥٦].

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٠-٥١).

بعثوا باجتناب الطاغوت فمن لم يجتنبه فهو مخالف لجميع المرسلين))[١].

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: ((يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له))[٢].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: ((ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه بعث في كل أمة رسولاً بعبادة الله وحده واجتناب عبادة ما سواه. وهذا معنى (لا إله إلا الله) لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خَلْع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه.... واعلم أن كلَّ ما عُبِد من دون الله فهو طاغوت ولا تنفع عبادة الله إلا بشرط اجتناب عبادة ما سواه))[٣].

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ((فالله أمرنا بعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واجتناب الطاغوت... ف ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ يعني: كل ما يعبد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.... ولاحظوا قوله ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ ﴾ ما قال: اتركوا عبادة الطاغوت؛ لأن ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ ﴾ أبلغ يعني: اتركوا كل الوسائل التي توصل إلى الشرك، والاجتناب أبلغ من الترك، فالاجتناب معناه: أننا نترك الشيء ونترك

---

(١) الدرر السنية (٥٠٢/١٠).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص/٤٤٠).

(٣) أضواء البيان (٢٠٢/٣-٢٠٣).

الوسائل والطرق التي توصل إليه، فهذه الآية فيها: أن الرسل بُعِثوا بالتوحيد الذي هو عبادة الله وترك عبادة الطاغوت من أولهم إلى آخرهم))[(١)].

ومن خلال كلام أهل العلم السابق حول هذه الآية نجد أنه يتلخص في عدة نقاط:-

١. أنه ما من أمة إلا وقد أنذرها الله بإرسال رسول لها.
٢. أن دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد.
٣. أهمية وجوب الكفر بالطاغوت؛ لأنه ما من نبي إلا وأمر قومه باجتناب الطاغوت مما يدل على أهميته ومنزلته من الدين.
٤. أن الأمر بعبادة الله واجتناب عبادة الطاغوت هو معنى لا إله إلا الله؛ لأن فيه نفياً وإثباتاً.
٥. التعبير بأبلغ الأساليب في ترك الشرك والكفر وعبادة الطاغوت، وهذا يظهر من قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﮊ ؛ لأن الاجتناب أبلغ في الزجر والنهي.
٦. أن هداية الله متحققة لمن أفرده بالعبادة وأخلص له وكَفَر بالطاغوت.
٧. أن أتباع الطواغيت هم الذين حقَّت علهيم الضلالة.
٨. السير في الأرض وأخذ العبرة من حال المكذبين للرسل وما حلَّ بهم من العقوبة.

هذا والله أعلم.

---

(١) إعانة المستفيد (١/٢٨).

الدليل الثامن:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[١].

تدل هذه الآية الكريمة على بيان حال أهل التوحيد الذين أفردوا الله بالعبادة وأخلصوا له فيها وتركوا عبادة ما سواه من المعبودات بل وابتعدوا عن كل طريق أو وسيلة تؤدي إلى ذلك فكان جزاؤهم البشرى من الله لهم في الدنيا بالحياة الطيبة وفي الآخرة بجنات النعيم.

وهذا بيانه من خلال عرض كلام العلماء حول هذه الآية:

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي اجتنبوا عبادة كل ما عُبِد من دون الله من شيء... وقوله ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده والعمل بطاعته والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد»[٢].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها... و(أن) في موضع نصب بدلاً من الطاغوت تقديره: والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت»[٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممَّن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن، فهؤلاء هم الذين لهم

---

(١) سورة الزمر [١٧].

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٦).

(٣) تفسير القرطبي (١٥/٢١٣).

البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة))[١].

وقال العلامة سليمان بن سحمان بعد هذه الآية وآية النحل: ((ففي هذه الآيات من الحجج على وجوب اجتنابه وجوه كثيرة، والمراد من اجتنابه: هو بغضه وعداوته بالقلب، وسبّه وتقبيحه باللسان، وإزالته باليد عند القدرة، ومفارقته، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق))[٢].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: ((والمراد بالطاغوت في هذا الموضع عبادة الله فاجتنبوها في عبادتها وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بعبادته وإخلاص الدين له فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلاَّم ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات))[٣].

وخلاصة كلام أهل العلم -رحمهم الله- في النقاط التالية:

١- أهمية وجوب الكفر بكل طاغوت واجتنابه؛ لأن الله امتدح عباده الذين اجتنبوا كلَّ معبود سواه مما يدل على أهمية اجتنابه والكفر به.

٢- أن الكفر بالطاغوت لا ينفع لوحده بل لا بد معه من الإيمان بالله وكذلك العكس.

٣- أن الدين إذا نَهَى عن أمرٍ نَهَى عن كلِّ ما يوصل إليه، فالنهي

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٣/٤).

(٢) الدرر السنية (٥٠٢/١٠-٥٠٣).

(٣) تفسير ابن سعدي (ص/٧٢١).

عن عبادة الله نهيٌ عن كل وسيلة توصل إلى ذلك، فعلى المسلم الحذر من اتباع خطوات الشيطان.

٤- البشرى من الله لأهل التوحيد في الدنيا بالحياة الطيبة وفي الآخرة بجنات النعيم فضلاً منه وتكرمًا.

وبهذا ننتهي من عرض القسم الأول من الأدلة في القرآن في أهمية وجوب الكفر بالطاغوت، وهي ما ورد بلفظ الطاغوت وكلام أهل العلم عليها، وننتقل إلى القسم الثاني من الأدلة من القرآن، وهو ما ورد بلفظ الأنداد أو الشركاء أو الآلهة أو الأرباب أو الأوثان أو الأصنام، والله الموفق.

القسم الثاني: ما ورد بلفظ الأنداد أو الشركاء أو الآلهة أو الأوثان أو الأصنام أو الأرباب.

وهذا التنوع في اللفظ مع الاتفاق في الدلالة والمعنى يدل دلالة واضحة على أهمية هذا الأمر ومنزلته من الدين وهذا أوان الشروع في عرض الأدلة وما قال أهل العلم فيها:

أولاً: ما ورد بلفظ الأنداد:-

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

تدل هذه الآية الكريمة على أن الله سبحانه هو المتفرد بأفعاله لا شريك له في ذلك فيلزم من ذلك إفراده بالعبادة والكفر بمن سواه من الآلهة الباطلة، لأنه هو المستحق للعبادة حيث لا رازقَ ولا خالقَ ولا مُعْطِيَ ولا مانعَ ولا نافعَ ولا ضارَّ إلا هو، ومع هذا كله اتُّخذ من دونه إله بالباطل مع أمره سبحانه لعباده ونهيه لهم بعدم اتخاذ نِدًّا من دونه. وهذه بعض أقوال العلماء التي ذكروها حول هذه الآية:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «والأنداد جمع ندّ، والندّ: العدْل والمثْل. وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم قال: أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رَبَّ لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه». وقال أيضاً: « أندادًا: أشباهًا».

وعن قتادة ومجاهد «أندادًا: أي عدلاء».

وعن ابن زيد قال: «الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له».

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم

---

(١) سورة البقرة [٢١-٢٢].

بآلائه لديهم وأنه هو الذي خلقهم، وهو الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له ندًّا وعدلاً من الأوثان والآلهة، ثم زجرهم عن أن يجعلوا له نداً مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا ندّ له ولا عدل، ولا لهم نافع ولا ضار، ولا خالق ولا رازق سواه،... إلى أن قال: فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وُمْلِكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكاً وندًّا من خَلْقي فإنكم تعلمون أن كلَّ نعمة عليكم مني»[١].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أي مثالاً تعبدونهم كعبادة الله»[٢].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ نهي ﴿لِلَّهِ أَندَادًا﴾: أي أكفاء وأمثالاً ونظراء»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من البرهان الشافي في التوحيد: أي إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال، فكيف تجعلون له أندادًا وقد علمتم أنه لا ندَّ له يشاركه في فعله، فلمّا قرر نوعي التوحيد انتقل إلى تقرير النبوة»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/١٦٣-١٦٤).

(٢) تفسير البغوي (١/٧٢).

(٣) تفسير القرطبي (١/٢٧٣).

(٤) بدائع التفسير (١/٢٩٠).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «عن ابن عباس قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»[١].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وجعل الندّ لله: هو صرف أنواع العبادة أوشيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم»[٢].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: نظراء وأشباهاً من المخلوقين فتعبدونهم كما تعبدون الله وتحبونهم كما تحبون الله وهم مثلكم مخلوقون مرزوقون مدبرون لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ولا ينفعونكم ولا يضرون ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الله ليس له شريك ولا نظير لا في الخلق والرزق والتدبير ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب وأسْفَهِ السَّفَه.

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته وبطلان عبادة مَّنْ سواه وهو ذكر توحيد الربوبية المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحدٍ مقرًّا بأنه ليس له شريك في ذلك فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري وبطلان الشرك»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٦١).

(٢) فتح المجيد (٢/٦٨٧).

(٣) تفسير ابن سعدي (ص/٤٥).

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين: «فكل من أقَّر بذلك لزمه أن لا يعبد إلا المقرَّ له لأنه لا يستحق العبادة من لا يفعل ذلك ولا يغني أن يُعْبَد إلا من فعل ذلك ولذلك أتى بالفاء الدالة على التفريع والسبب أي: فبسبب ذلك لا تجعلوا لله أندادًا. ولا هذه ناهية فلا تجعلوا له أنداداً في العبادة كما أنكم لم تجعلوا له أنداداً في الربوبية وأيضاً لا تجعلوا له أنداداً في أسمائه وصفاته»[1].

وخلاصة كلام أهل العلم حول هذه الآية ما يلي:-

١- الأمر بعبادة الله وحده هو الأمر الذي من أجله خُلِقت الخليقة وبُعِثت الرسل.

٢- أن الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه الإقرار بتوحيد الألوهية .

٣- أن توحيد الربوبية لا ينفع من أتى به حيث لا يترتب عليه عصمة دم أو مال.

٤- أهمية وجوب الكفر بالطاغوت والنهي عن اتخاذ الأنداد والكفر بكل معبود غير الله.

٥- اشتمال هذه الآية على النفي والإثبات وهذا هو معنى لا إله إلا الله فالأمر بالعبادة هو الإثبات والنهي عن اتخاذ الأنداد هو النفي.

---

(١) القول المفيد (٢/٣١٩).

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (١).

تدل هذه الآية الكريمة على محبة المشركين لآلهتهم، مع أنها محبة غير خالصة لهذه الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وبين سبحانه أن محبة المؤمنين لله أشدُّ من محبة المشركين، وما ذاك إلا لأنهم وحدوه وأخلصوا له العبادة، ولم يشركوا معه أحدًا فأورثهم هذه المحبة فضلاً منه وتكرماً.

قال الإمام ابن جرير: «قال ابن زيد: هؤلاء المشركون أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من حبهم آلهتهم...

وقال ابن جرير: «إن القوة لله جميعاً في الدنيا والآخرة دون من سواه من الأنداد والآلهة وإن الله شديد العذاب لمن أشرك به وادعى معه شركاء وجعل له نداً»(٢).

قال الإمام البغوي: «أي أصناماً يعبدونها ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أي: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج: يحبون الأصنام

---

(١) سورة البقرة [١٦٥].

(٢) تفسير الطبري (٢/٦٦-٦٧).

كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله فسوَّوا بين الله وبين أوثانهم في المحبة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ أي: أَثْبَتَ وأَدْوَم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه، والمشركون إذا اتخذوا صنمًا ثم رأوا أحسنَ منه طرحوا الأول واختاروا الثاني»[1].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها كعبادة الله مع عجزها قاله مجاهد ﴿ يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أي يحبون أصنامهم على الباطل كحب المؤمنين لله على الحق..... أي يسوّوا بين الأصنام وبين الله تعالى في المحبة»[2].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر تعالى أن مَن أحبَّ من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لم يثبت هذا النّد بخلاف ندّ المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم.

ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشدُّ حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

الثاني: والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين بالأنداد لله فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها

---

(١) تفسير البغوي (١/١٧٨).

(٢) تفسير القرطبي (٢/٢٠٠).

والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشتركة.

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فإن فيها قولين:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله، فيكون قد أثبت لهم محبةَ الله ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون اللهَ، ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشدُّ من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وأصح القولين أن المعنى: يحبونهم كما يحبون الله. وسووا بين الله وبين أندادهم في الحب ثم نفى ذلك عن المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فإن الذين آمنوا أخلصوا حبهم لله ولم يشركوا به معه غيره، وأما المشركون فلم يخلصوه لله»[١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضدَّ له ولا ندَّ له ولا شريك معه»[٢].

ويتلخص كلام أهل العلم فيما يلي:-

---

(١) بدائع التفسير (١/٣٧١-٣٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٨).

١ – وجوب إفراد الله بالمحبة والطاعة.

٢ – أن محبة المؤمنين لربهم محبة خالصة.

٣ – أن محبة المشركين لطواغيتهم محبة غير خالصة.

٤ – أن عذاب الله شديد على من آمن بالطاغوت وجعله ندًّا لله.

ثانياً: ما ورد بلفظ الأصنام:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

تدل هذه الآية على خوف إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام على نفسه وعلى ذريته من بعده من الوقوع في عبادة الطواغيت، لأنها هي السبب في ضلال كثير من الناس فإذا كان هذا حال إمام الحنفاء فغيره بالخوف من الشرك أولى منه.

ومما قال أهل العلم في هذه الآية ما يلي: –

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «ومعنى ذلك أبْعِدْني وَبَنِيَّ من عبادة الأصنام.

وقال مجاهد: فاستجاب الله دعوته في ولده قال: فلم يَعْبد أحدٌ من ولده صنمًا بعد دعوته......

(١) سورة إبراهيم [٣٥-٣٦].

وكان إبراهيم التيمي يقول: من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم.

وقوله ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ يقول: فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفراق عبادة الأوثان فإنه مِنّي: يقول: فإنه مستن بسنتي وعامل بمثل عملي»[١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائقُ من الناس وأنه تبرأ ممَّن عبدها»[٢].

وقال العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الأصنام وإنما دعا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذلك لأن كثيراً من الناس افتتنوا بها... فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها فإذا كان إبراهيم ﷺ يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره... وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجهال إن الشرك لا يقع في هذه الأمة ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه»[٣].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أيضاً يخيف العبد فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحدة وابتلاه بكلمات فأتَمَّهنَّ وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربِّه وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لعلمه

---

(١) تفسير الطبري (١٣/٢٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٥٦٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص/١١٧).

أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته، فهذا أمر لا يؤمنُ الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة فاتخذت الأوثان وعُبدت فالذي خافه الخليل ﷺ على نفسه وبَنِيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها واتخذ ذلك ديناً وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عده... وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه والوعيد على فعله والثواب على تركه، وقد هَلَك مَنْ هَلَك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه. نسأل الله الثبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أي اجعلني في جانب والأصنام في جانب وهذا أبلغ مما لو قال: امنعني وبنيّ من عبادة الأصنام لأنه إذا كان في جانب عنها كان أبعد، فإبراهيم ﷺ يخاف الشرك على نفسه وهو خليل الرحمن وإمام الحنفاء فما بالك بنا نحن إذن فلا تأمن الشرك ولا تأمن النفاق

(١) قرة عيون الموحدين (ص/٣٢-٣٣)، وانظر: فتح المجيد (١/١٧٦).

إذ لا يأمن النفاق إلا منافق ولا يخاف النفاق إلا مؤمن.... ولا شك أن إبراهيم سأل ربه الثبات على التوحيد لأنه إذا جنبه عبادة الأصنام صار باقياً على التوحيد.

والشاهد من الآية أن إبراهيم خاف الشرك وهو إمام الحنفاء))[1].

وحاصل كلام العلماء يتلخص في النقاط التالية:-

١- يجب على المسلم أن يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك.

٢- التضرع إلى الله في تجنب الشرك وأهله.

٣- على المسلم أن لا يأمن على نفسه الابتلاء.

٤- إذا كان هذا حال الأنبياء فغيرهم من الناس أولى بالخوف منهم.

٥- على العبد أن يطلب من ربه أن يثبّته على التوحيد.

٦- أهمية الكفر بالطاغوت وعبادته وهذا يتضح من دعاء الخليل عليه الصلاة والسلام.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

---

(١) القول المفيد (١/١١٢-١١٣).

(٢) سورة الشعراء [٦٩-٧٧].

تدل هذه الآيات على أهمية الدعوة إلى التوحيد وأنها وظيفة الأنبياء عليهم السلام وأن العداوة قائمة ومستمرة بين أهل التوحيد وأهل الشرك وأن الطواغيت ليس عندها نفع أو ضر فلذلك لا تستحق أن يُصْرَف لها شيء من العبادة وإنما تُصْرَف لله وحده.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه أي شيء تعبدون ﴿ قَالُواْ ﴾ له ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ يقول: فنظل لها خدماً مقيمين على عبادتها وخدمتها.... قال إبراهيم لقومه أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون.... فإنهم عدو لي إلا رب العالمين..... ومعنى الكلام أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم فإني منه بريء لا أعبده إلا رب العالمين»[١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام، إمام الحنفاء أمر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبرِّي من الشرك وأهلِه فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل أي من صغره إلى كبره فإنه من وقت نشأ وشبَّ أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ أي مقيمين على عبادتها ودعائها»[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١٩/٨٣-٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٥٠).

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «فهذا هو وحده المنفرد بذلك، فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام التي لا تَخْلُق، ولا تهدِي، ولا تمرض، ولا تشفي، ولا تُطْعِم ولا تُسْقِي، ولا تُمِيت، ولا تُحْيِي، ولا تَنْفَع عابديها بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب. فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة، لا تقدرون أنتم وآباؤكم على معارضتها. فدل على اشتراككم في الضلال، وترككم طريق الهدى والرشد»[(١)].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «أمر الله جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن يذكر - في الكتاب الذي هو القرآن العظيم المنزل إليه من الله - إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ويتلو على الناس في القرآن نبأه مع قومه ودعوته لهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تَسمع، ولا تُبصر، ولا تنفع، ولا تَضرُّ»[(٢)].

ويتلخص كلام العلماء حول هذه الآيات فيما يلي:-

١- أن الطواغيت ليس عندها نفع أو ضر وليس لها من خصائص الإلهية شيء فلا تستحق العبادة.

٢- أن كل عبادة تصرف لغير الله هي عبادة للطواغيت.

٣- أهمية الكفر بالطواغيت وعداوتها والبراءة منها وبغضها وبغض أهلها.

٤- أن وظيفة الأنبياء الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والمشركين.

---

(١) تفسير السعدي (ص/٥٩٢-٥٩٣).

(٢) أضواء البيان (٤/٢١٤).

ثالثاً: ما ورد بلفظ الأوثان:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[1].

تدل الآيات الكريمات على أهمية وجوب اجتناب الطواغيت وعبادتها التي هي طاعة للشيطان ومعصية للرحمن كما بينت وجوب اتباع الحنيفية السمحة التي هي ملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام والخُلوص من الشرك وذلك بضرب الأمثال على قبح الشرك ومصير أهله وبيان حالهم. ومما قاله أهل العلم على هذه الآيات ما يلي:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «فاتقوا عبادة الأوثان وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس.....

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان»...

فإن قال قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ ﴾ منها قيل: كلها رجس وليس المعنى ما ذهبت إليه في ذلك

---

(١) سورة الحج [٣٠-٣١].

وإنما معنى الكلام فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها...

...اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان وقول الشرك مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له وإفراد الطاعة والعبادة له خالصاً دون الأوثان والأصنام غير مشركين به شيئاً من دونه»[١].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «أي عبادتها يقول: كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي سبب الرجس وهو العذاب»[٢].

وقال الإمام القرطبي: «يريد اجتنبوا عبادة الأوثان وروي عن ابن عباس وابن جريج وسماها رجساً لأنها سبب الرجز وهو العذاب، وقيل: وصفها بالرجس والرجس النجس فهي نجسة حكماً وليست النجاسة وصفاً ذاتياً للأعيان وإنما هي وصف شرعي من أحكام الإيمان فلا تُزال إلا بالإيمان كما لا تجوز الطهارة إلا بالماء.

وقال: ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ قيل إنها لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الأوثان فقط ويبقى سائر الأرجاس نهيها في غير هذا الموضع، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاماً ثم عَيَّن لهم مبدأه الذي منه يلحقهم إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس»[٣].

وللإمام ابن القيم كلامٌ جيدٌ حول هذه الآية وما فيها من ضرب

---

(١) تفسير الطبري (١٧/١٥٣-١٥٥).

(٢) تفسير البغوي (٥/٣٨٣).

(٣) تفسير القرطبي (١٢/٥٣-٥٤).

الأمثال لبيان حال من أشرك بالله.

قال: «فتأمل هذا المثل ومطابقته لحال من أشرك بالله وتعلق بغيره ويجوز لك في هذا التشبيه أمران:-

أحدهما: أن تجعله تشبيهاً مركباً ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكاً لا يرجى معه نجاة فصور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء فاختطفته الطير في الهوى فتمزَّق مُزَقًا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة، وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابله من المشبه به.

والثاني: أن يكون من التشبيه المفرق.

فيقابل كلّ واحد من أجزاء الممثل بالممثل به وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والطير الذي تخطف أعضاءه وتمزقه كلَّ ممزَّق بالشياطين التي يرسلها الله ﷻ عليه وتؤُزُه أزّاً وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه فكل شيطان له مزعة من دينه وقلبه كما أن لكل طير مزعة من لحمه وأعضائه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء»[١].

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٣٨-١٣٩).

وقال العلامة السعدي: «أي الأنداد، التي جعلتموها آلهة مع الله، فإنها أكبر أنواع الرجس. والظاهر أن ﴿مِنَ﴾ هنا ليست لبيان الجنس، كما قاله كثير من المفسرين، وإنما هي للتبعيض، وأن الرجس عام في جميع المنهيات المحرمات. فيكون منهياً عنها عموماً، وعن الأوثان التي هي بعضها خصوصاً»[١].

وبعد هذا العرض لأقوال أهل العلم -رحمهم الله- ترى أن كلامهم يتلخص في النقاط التالية:-

١- أهمية وجوب الكفر بالطاغوت وذلك باجتنابه وترك عبادته.

٢- أن إفراد الله بالعبادة والخلوص من الشرك هي الملة الحنيفية السمحة التي بُعِث بها نبينا محمد ﷺ.

٣- بيان عظم الشرك وخطره وأنه أعظم ذنب عُصِي الله به على الإطلاق.

٤- ليس هناك حال أسوأ ولا أقبح من حال المشرك ومصيره.

٥- أهمية ضرب الأمثال لبيان المقصود ولأخذ العبرة والعظة منها.

---

(١) تفسير السعدي (ص/٥٣٧).

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1].

تدل هذه الآيات الكريمات على أن الخير التام الذي لا نقص فيه هو إجابة دعوة الرسل التي هي إفراد الله بالعبادة والكفر بكل معبود غير الله من الطواغيت التي لا تنفع ولا تضر وإنما هي مخلوقة عاجزة.

قال الإمام ابن جرير: «فتأويل الكلام: تعبدون من دون الله أوثاناً وتصنعون كذباً وباطلاً»[2].

وقال الإمام القرطبي: «أي أصناماً.... فالمعنى إنما تعبدون أوثاناً وأنتم تصنعونها أو تعبدون الأوثان وتخلقون الكذب»[3].

قال الإمام ابن كثير: «أخبر تعالى أن الأصنام التي يعبدونها لا تضر ولا تنفع وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء فسميتموها آلهة وإنما هي مخلوقة مثلكم»[4].

---

(١) سورة العنكبوت [١٦-١٧].

(٢) تفسير الطبري (١٣٧/٢٠).

(٣) تفسير القرطبي (٢٩٧/١٣-٢٩٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤١٨/٣).

وقال العلامة السعدي: «تنحتونها وتخلقونها بأيديكم وتخلقون لها أسماء الآلهة وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك»[1].

وخلاصة كلام أهل العلم على هذه الآيات فيما يلي: -

١- أن الطواغيت ليس عندها نفع أو ضر ومن كان كذلك وجب الكفر به وتركه وترك عبادته.

٢- حرص الأنبياء عليهم السلام على دعوة أقوامهم إلى التوحيد.

٣- أن المصير والمرجع لله رب العالمين الذي يستحق العبادة.

٤- أن الطواغيت أفرادها كثيرة لا حصر لها في الخارج، ومع هذه الكثرة فالحكم فيها واحد من الكفر بها واجتنابها.

رابعاً: ما ورد بلفظ الأرباب:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

تدل هذه الآية الكريمة على أن أهمَّ وأَوَّل ما يُدعى إليه الناس هو شهادة أن لا إله إلا الله وما اشتملت عليه من إفراد الله بالعبادة ونفي كل معبود سواه وأن الطاعة لله وحده ليست للمخلوقين.

---

(١) تفسير السعدي (ص/٦٢٨).

(٢) سورة آل عمران [٦٤].

قال الإمام ابن جرير: «هلموا إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم والكلمة العدل هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئاً وقوله ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يقول ولا يَدِينُ بعضنا لبعض بالطاعة فيما أُمِر به من معاصي الله ويعظّمه بالسجود له كما يسجد لربه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها فلم يجيبوك إليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك اشهدوا بأنا مسلمون....

قال أبو العالية: «كلمة السواء: لا إله إلا الله»

وقال ابن جريج: لا يطع بعضنا بعضًا في معصية الله ويقال: إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة وإن لم يُصَلّوا لهم »[(١)].

وقال الإمام القرطبي: «أي لا نتبعه في تحليل إلا فيما حلله الله تعالى وهو نظير قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ معناه أنهم أنزلوها منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله وهذا يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي»[(٢)].

وقال العلامة السعدي: «أي هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون ليست مختصة

---

(١) تفسير الطبري (٣/٣٠١-٣٠٣).

(٢) تفسير القرطبي (٤/١٠٦-١٠٧).

بأحدنا دون الآخر بل مشتركة بيننا وبينكم وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدال ثم فسرها بقوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فنفرد الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبياً ولا ملكاً ولا ولياً ولا صنماً ولا وَثَناً ولا حيواناً ولا جماداً ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ بل تكون الطاعة كلها لله ولرسوله فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق ؛ لأن ذلك جعل للمخلوق في منزلة الربوبية»[١].

وخلاصة أقوال العلماء على هذه الآية يكون في النقاط التالية:-

١- أن أهم ما يدعى إليه هو كلمة التوحيد وهي كلمة العدل السواء.

٢- أن طاعة السادة والكبراء في معصية الله عبادة لهم.

٣- أن أساس الدين هو إخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به، وهذا الذي خُلِقت الخليقة من أجله.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢].

تدل هذه الآيات الكريمات على بطلان عبادة غير الله من الأرباب والطواغيت.

---

(١) تفسير السعدي (ص/١٣٣).

(٢) سورة يوسف [٣٩-٤٠].

قال الإمام ابن جرير: «يقول: أعبادة أربابٍ شتَّى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر خير أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه الذي قهر كل شيء فذلّله وسخره فأطاعه طوعاً وكرهاً..... وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أرباباً شركاً منهم وتشبيهاً لها في أسمائها التي سموها بها بالله تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه..... وهو الذي أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه إلا الله الذي له الألوهة والعبادة خالصة دون كل ما سواه من الأشياء..... هذا الذي دعوتكما إليه من البراءة من عبادة ما سوى الله من الأوثان وتخلِصا العبادة لله الواحد القهار، هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه والحق الذي لا شك فيه..... ولكن أكثر أهل الشرك بالله يجهلون ذلك فلا يعلمون حقيقته»[(١)].

قال الإمام القرطبي: «أي ما تعبدون إلا أصناماً ليس لها من الإلهية شيءٌ إلا الاسم لأنها جمادات»[(٢)].

قال العلامة السعدي: «إبطال قول الخصم قد يكون بإبطال الدليل الذي استدل به أو إبطال دلالته على مطلوبه، وقد يكون بإبطال نفس المقالة التي ينصرها وإفسادها وقد يكون بإثبات نقيض ما قاله الخصم قولاً ودليلاً؛ لأن النقيض للشيء متى صح أحدهما بطل الآخر وقد اجتمعت هذه الأمور في قول يوسف ﷺ محتجاً على صحة التوحيد وإبطال الشرك

---

(١) تفسير الطبري (١٢/٢١٨-٢١٩).

(٢) تفسير القرطبي (٩/١٦٤).

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ فأبطل الشرك وصوَّر قبحه عقلاً ونقلاً وأن ما يُدعى من دون الله آلهة متفرقة، كلٌّ فريق يزعم صحة قوله وإبطال الآخر والحال أنه لا فرق بينهما وأن المشرك فيه شركاء متشاكسون وأن هذه المعبودات من دون الله ليس فيها شيء من خصائص الإلهية فليس فيها كمال يوجب أن تُعبد لأجله ولا فِعال بحيث تنفع وتضر فتخاف وتُرجى إنما هي أسماء لا حقائق لها، ومع ذلك ما أنزل الله بها من سلطان على عبادتها فليس في جميع الحجج الصحيحة ما يدل على صحة عبادتها بل اتفقت الحجج والبراهين كلها على إبطالها وفسادها وعلى إثبات العبادة الخالصة لله الواحد الذي انفرد بالوحدانية والكمال المطلق من جميع الوجوه الذي ليس له شبيه ولا نظير ولا مقارب وهو القهار لكل شيء، فكل شيء تحت قهر الله وناصيته بيد الله، فالواحد القهار هو الذي يستحق الحب والخضوع والانكسار لعظمته والذل لكبريائه))[1].

وحاصل أقوال العلماء ما يلي:-

١ - تنوع أساليب الداعية في إبطال حجج المشركين.

٢ - إبطال عبادة كل معبود من دون الله لأنها من فعل البشر وليست من عند الله.

٣- أن محاسن الدين ظاهرة وواضحة لمن تدبرها، ومع هذا كله تجد أن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة.

---

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص/٥١-٥٢).

خامساً: ما ورد بلفظ الآلهة:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾[(١)].

تدل هذه الآية الكريمة على وجوب توحيد الله بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو المستحق للعبادة وما سواه من الآلهة باطلة لا تستحق أن يصرف لها شيء من العبادة.

قال الإمام ابن جرير: «فإنه خبر منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيره، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه، وأن كلّ ما سواه فهم خَلْقُه والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجر الأوثان والأصنام لأن جميع ذلك خلقه، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ولا تنبغي الألوهة إلا له»[(٢)].

وقال القرطبي: «لما حَذَّر تعالى من كتمان الحق بين أن أوّل ما يجب إظهاره و لا يجوز كتمانه أمر التوحيد، ووصل ذلك بذكر البرهان وعلم طريق النظر وهو الفكر في عجائب الصنع ليعلم أنه لابد له من فاعل لا يشبهه شيء. قال ابن عباس رضي الله عنه: قالت كفار قريش: يا محمد انْسِبْ لنا ربك فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص وهذه الآية، وكان للمشركين ثلاثمائة وستون صنمًا فبيَّن الله أنه واحد...

---

(١) سورة البقرة [١٦٣].

(٢) تفسير الطبري (٢/٦٠).

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفي وإثبات. أولها كفر وآخرها إيمان ومعناه: لا معبود إلا الله))[1].

وقال الإمام ابن كثير: ((يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية وأنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم))[2].

وحاصل كلام العلماء -رحمهم الله- هو ما يلي:-

١- إثبات الوحدانية لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

٢- أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون من سواه.

٣- لا بد من نفي الطواغيت والبراءة منها كما نفتها كلمة الإخلاص.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[3].

تدل هذه الآية الكريمة على وجوب إفراد الله بأفعاله التي يلزم منها إفراده في الإلهية.

---

(١) تفسير القرطبي (٢/١٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٧).

(٣) سورة النمل [٦٠].

قال الإمام ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات والأرض»[١].

وقال الإمام القرطبي: «أي هل معبود مع الله يعينه على ذلك»[٢].

وقال الإمام ابن كثير: «أي أإله مع الله يعبد وقد تبين لكم ولكل ذي لبٍّ مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق»[٣].

وقال العلامة السعدي: « ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ فعل هذه الأفعال حتى يعبد معه ويشرك به ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق»[٤].

وخلاصة كلام أهل العلم -رحمهم الله- ما يلي: -

١- وجوب توحيد الله بأفعاله الذي يلزم منه توحيد الله بفعل العبد.

٢- تنوع أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية وذلك عن طريق الإقرار بتوحيد الربوبية أولاً.

٣- أن الهداية إلى التوحيد نعمة عظيمة من الله حيث لم تغن هذه الآيات الكونية وحدها في صد الناس عن الشرك بالله.

---

(١) تفسير الطبري (٢/٢٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/١٩٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٣٨٢).

(٤) تفسير السعدي (ص/٦٠٧).

سادساً: ما ورد بلفظ الشركاء:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[1].

تدل هذه الآية الكريمة أنَّه في يوم القيامة تتخلى الطواغيت عن عابديها ويبعث من كان يعبدها وحده ليس معه منها ما يشفع له عند الله كما كان يزعم في الحياة الدنيا، وتبين له الضلال الذي كان عليه من الشرك بالله ولكن هذا لا يغني عنه من الله شيئاً.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الأندادَ يومَ القيامة ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم في الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة... فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله وأن هذه الآلهة شركاء لله»[2].

وقال الإمام القرطبي: «والمعنى جئتمونا واحدًا واحدًا كل واحد منفردًا بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر ممن كان يصاحبكم في الغي ولم ينفعكم ما عبدتم من دون الله.

---

(١) سورة الأنعام [٩٤].

(٢) تفسير الطبري (٧/٢٧٨-٢٧٩).

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ أي الذين عبدتموهم وجعلتموهم شركاء يريد الأصنام أي شركائي، وكان المشركون يقولون: الأصنام شركاء الله وشفعاؤنا عنده.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾... فدل هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم إذ تبرءوا منهم ولم يكونوا معهم ومقاطعتهم لهم: هو تركهم وَصْلَهم لهم»[(١)].

وقال الإمام ابن كثير: «تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثَمَّ معاد، فإذا كان يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون....

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من رجاء الأصنام والأنداد »[(٢)].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: «إن الأنداد التي كانوا يعبدونها في الدنيا تضل عنهم يوم القيامة وينقطع بينهم وبينها من الصِّلاَتِ في الدنيا، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[(٣)][(٤)].

وخلاصة كلام أهل العلم فيما يلي: -

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٤٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٣).

(٣) سورة الأحقاف [٦].

(٤) أضواء البيان (٢/ ١٥٥).

١- أن جميع الروابط تتقطع يوم القيامة إلا رابطة التوحيد.

٢- أن الطواغيت التي بين الله حالها يوم القيامة لا تستحق العبادة في الدنيا.

٣- أن من تفرد بالخلق وحده هو المعبود بحق.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1].

تدل هذه الآية الكريمة على بطلان الآلهة والأنداد التي اتُّخِذت من دون الله وأنها لا تستحق العبادة ومن رآها من العقلاء تبين له أنها لا تنفع ولا تضر بمجرد رؤيتها فالذي له العزة هو الذي يستحق العبادة دون من سواه.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم: ماذا خلقوا من الأرض؟ أم لهم شرك في السماوات؟ كَلَّا يقول تعالى ذكره: كَذَبوا ليس الأمر كما وصفوا ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكاً بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه»[2].

---

(١) سورة سبأ [٢٧].

(٢) تفسير الطبري (٩٦/٢٢).

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله عَزَّوَجَلَّ وهل شاركت في خلق شيء فبينوا ما هو؟ وإلا فَلِمَ تعبدونها»[١].

وقال الإمام ابن كثير: «أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلاً ﴿كَلَّا﴾ أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ أي الواحد الأحد الذي لا شريك له ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً. والله أعلم»[٢].

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: «أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول لعبدة الأوثان: أروني أوثانكم التي ألحقتموها بالله شركاء له في عبادته كُفراً منكم وشِركاً وافتراء وقوله: أروني الذين ألحقتم به شركاء لأنهم إن أروه إياها تبين برؤيتها أنها جماد لا ينفع ولا يضر واتضح بُعدها عن صفات الألوهية فظهر لكل عاقل برؤيتها بطلان عبادة ما لا ينفع ولا يضر فإحضارها والكلام فيها وهي مشاهدة أبلغ من الكلام فيها غائبة مع أنه ﷺ يعرفها وكما أنه في هذه الآية الكريمة أمرهم أن يروه إياها ليتبين بذلك بطلان عبادتها فقد أمرهم في الآية أخرى أن يسموها بأسمائها لأن

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/٢٦٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٥٤٦).

تسميتها بأسمائها يظهر بها بعدها عن صفات الألوهية وبطلان عبادتها؛ لأنها أسماء إناث حقيرة كاللاَّت والعزى ومناة الثالثة الأخرى كما قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[1]»[2].

ويتلخص كلام أهل العلم -رحمهم الله- فيما يلي:-

أن الله سبحانه منزه عن الند والشريك والمثيل واحد أحد فرد صمد.

أن إبطال عبادة الطواغيت والكفر بها أمام أتباعها قد يكون سبباً في هداية بعضهم.

قوة حجة أهل التوحيد وضعف حجج وشبه أهل الشرك والباطل.

القسم الثالث: الأمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن عبادة ما سواه.

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3].

تدل هذه الآيات الكريمات على النهي عن عبادة الأنداد من دون الله والكفر بها والبراءة منها والأمر بوجوب إفراد الله وحده بالعبادة الذي بيده

---

(١) سورة النساء [١١٧].

(٢) أضواء البيان (٦/٤٠٧).

(٣) سورة يونس [١٠٤-١٠٥].

مقاليد الأمور وهو يحيي ويميت وهذا هو الدين الحنيف الذي بعث به جميع الأنبياء عليهم السلام.

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: ((وإنما معنى الكلام إن كنتم في شك من ديني لا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئاً ولا تضر ولا تنفع، فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيُمِيتَهم إذا شاء وينفعهم ويضر من يشاء وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة، وأما عبادة الأوثان فينكرها كلُّ ذي لب وعقل صحيح))[1].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله إلي فأنا لا أعبد الذين تعبدون ولكن أعبد الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم إليه مرجعكم فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقًّا فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرني فإنها لا تضر ولا تنفع وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وأمرت أن أكون من المؤمنين))[2].

وقال العلامة السعدي: ((﴿ فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الأنداد، والأصنام وغيرهما، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئاً من

---

(١) تفسير الطبري (١١/١٧٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٤٥٠).

الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها. ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميتكم، ثم يبعثكم، ليجازيكم بأعمالكم. فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد»[1].

وخلاصة كلام أهل العلم حول هذه الآيات ما يلي:-

١- أن أهل التوحيد على يقين من دينهم بخلاف أهل الشرك والضلال فهم في شك وحيرة.

٢- إفراد الله بالعبادة والنهي عن عبادة كل معبود من دون الله من الأنداد والطواغيت والشركاء.

٣- اشتمال هذه الآيات على النفي والإثبات وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص/٣٧٥).

(٢) سورة الزمر [١١-١٥].

دلت هذه الآيات الكريمات على أن الله أمر وأوجب على عباده طاعته وإخلاص الدين له من كل شائبة شرك وعلى العبد أن يحذر من الشرك والمعاصي التي ينال بها عذاب الله وأن يحرص على تحقيق التوحيد الذي هو سبب لكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة.

قال ابن جرير: ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لمشركي قومك إن الله أمرني أن أعبده مفرداً له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد..... وأمرني ربي جَلَّ ثناؤه بذلك لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم فخضع له بالتوحيد وأخلص له العبادة وبريء من كل ما دونه من الآلهة.....قل يا محمد لمشركي قومك الله أعبد مخلصاً مفرداً له طاعتي وعبادتي لا أجعل له في ذلك شريكاً ولكني أفرده بالألوهة وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم))[1].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أي إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له))[2].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: ((أي أعبده عبادة خالصة من الشرك والرياء وغير ذلك ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ من هذه الأمة وكذلك

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٢).

كان ﷺ فإنه أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ بترك إخلاص العبادة له وتوحيده وترك الدعوة المعادية للشرك وتضليل أهله»[1].

وحاصل كلام أهل العلم - رحمهم الله - ما يلي:-

١- أهمية ومنزلة التوحيد من الدين حيث إن الله هو الذي أمر به.

٢- الحذر من عاقبة الشرك والمعاصي.

٣- أن الخسارة العظيمة هي المترتبة على عبادة الطاغوت يوم القيامة.

وبعد استعراض الأدلة من القرآن الكريم على أهمية وجوب الكفر بالطاغوت نجد أنها تتنوع في دلالتها على هذا الأمر؛ فمنها ما يدل عليه بمنطوقه، ومنها ما يدل عليه بمفهومه، ومنها ما يكون الدليل متضمناً لذلك، أو يكون الكفر بالطاغوت من لوازمه. فالشاهد أن الأدلة على هذا الأمر كثيرة جداً في القرآن وما ذكرناه فهو مجرد أمثلة وإلا فالقرآن كله جاء لأجل تقرير العقيدة والتوحيد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي

---

(١) فتح القدير (ص/٦٠٨).

وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عَمَّن خرج عن حكم التوحيد»[١].

(١) مدارج السالكين (٣/٤٥٠).

المبحث الثاني: الأدلة من السنة المطهرة على وجوب الكفر بالطاغوت

لقد جاءت نصوص السنة المطهرة واضحة جلية في بيان كل أمور الدين صغيرها وكبيرها وما ذاك إلا لأنها تخرج من مشكاة النبوة وقد قال تعالى عن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

ولقد بين عليه الصلاة والسلام حقيقة الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين واستمر على ذلك من بعثته إلى وفاته لا يترك فرصة إلا قرر فيها العقيدة الصحيحة وسد كل ذريعة توصل إلى الشرك أو المعصية واستمر في حماية جناب التوحيد بقوله وفعله واعتقاده ﷺ حتى وهو في سكرات الموت يقرر التوحيد حين لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر أمته من فعل اليهود والنصارى وما ذاك إلا أنه بعث بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة والكفر بكل معبود من دون الله والبراءة منه ومن عابديه فالكفر بالطاغوت هو أساس دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2] ومما يدل على أهمية وجوب الكفر بالطاغوت تنوع الأدلة من السنة المطهرة في تقرير ذلك فتارة يصرح بالكفر بكل طاغوت وتارة بالنهي عن الحلف بها

---

(١) سورة النجم [٣-٤].

(٢) سورة النحل [٣٦].

وتارة يذكر مصيرها ومن عبدها في الآخرة وتارة يحذر من اتخاذ الأنداد أو الشركاء وغيرهم من الآلهة من دون الله وتارة يصرح بانزعاجه من وجود الطواغيت وتارة يخبر بأنه بعث من أجل إزالتها إلى غير ذلك من الأدلة التي تختلف في اللفظ وتتفق في المعنى العام فالكفر بالطاغوت يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح كما بين ذلك النبي ﷺ فتارة بين وجوب الكفر بالطاغوت بالقول وتارة بالقلب وتارة بالفعل وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الأدلة من السنة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أدلة وجوب الكفر بالطاغوت بالقول.

القسم الثاني: أدلة وجوب الكفر بالطاغوت بالاعتقاد.

القسم الثالث: أدلة وجوب الكفر بالطاغوت بالفعل.

القسم الأول: أدلة وجوب الكفر بالطاغوت بالقول.

وفيه عدة أنواع كلها تدل على وجوب الكفر بالطاغوت بالقول:

النوع الأول: ما ورد بمعنى الكفر بالطاغوت:

الدليل الأول: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله»[(١)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة

---

(١) سبق تخريجه (ص/٩).

معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شكَّ أو توقَّف لم يحرم ماله ولا دمه فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلَّها ؟! وياله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع»[١].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث:

الأول: قول لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث.

الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله لكن ذكر في هذا الحديث (وكفر) تأكيداً لما دلت عليه لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد.

وفيه دليل على أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به ولم ينفه كما نفته لا إله إلا الله فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: وكفر بما يعبد من دون الله: فهذا شرط عظيم لا يصح قول: لا إله إلا الله إلا بوجوده وإن لم يوجد لم يكن من قال لا إله إلا الله معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى

---

(١) كتاب التوحيد (ص/١٦).

(٢) قرة عيون الموحدين (ص/٤٩-٥٠).

لا إله إلا الله، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه من ترك الشرك والبراءة منه ومن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلماً، معصوم الدم والمال، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا دليل على أنه لا يكفي مجرد التلفظ بلا إله إلا الله بل لا بد أن تكفر بعبادة من يُعبد من دون الله بل وتكفر أيضاً بكل كُفْر، فمن يقول لا إله إلا الله ويرى أن النصارى واليهود اليوم على دين صحيح فليس بمسلم، ومن يرى الأديان أفكارًا يختار منها ما يريد فليس بمسلم»[3].

وقال أيضاً: «قوله: (وكَفَر بما يعبد من دون الله) أي كفر بالأصنام وأنكر أن تكون عبادتها حقًّا، فلا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله، ولا أعبد صنماً، بل لا بد أن يقول: الأصنام التي تعبد من دون الله أكفر بها وبعبادتها.

فاللات مثلاً لا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله، ولا أعبد اللات ولكن لا بد أن يكفر بها، ويقول: إن عبادتها ليست بحق، وإلا كان مقرًّا بالكفر.

فمن رضي دين النصارى ديناً يدينون الله به فهو كافر؛ لأنه إذا ساوى

---

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

(٢) الدرر السنية (٢/٢٤٣).

(٣) القول المفيد (١/١٥٧).

غير دين الإسلام مع الإسلام فقد كذّب قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] وبهذا يكون كافراً، وبهذا نعرف الخطر العظيم الذي أصاب المسلمين اليوم باختلاطهم مع النصارى، والنصارى يدعون إلى دينهم صباحاً ومساءً، والمسلمون لا يتحركون، بل بعض المسلمين الذين ما عرفوا الإسلام حقيقة يلينون لهؤلاء: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ ، وهذا من المحنة التي أصابت المسلمين الآن، وآل بهم إلى هذا الذل الذي صاروا إليه الآن[2].

وقال العلامة صالح الفوزان –حفظه الله–: «الحاصل أن هذا الحديث بين معنى التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، وأنه النطق بالشهادة مع الكفر بما يعبد من دون الله ﷻ والبراءة منه، أما لو قال لا إله إلا الله وهو لا يكفر بما يُعبد من دون الله بأن كان يعبد القبور، ويدعو الأولياء والأضرحة، فهذا لم يكفر بما يُعبد من دون الله، لا يحرم دمه ولا يحرم ماله......

فهذا الحديث عظيم جدًّا، وهو حجة للموحدين على المشبهة والمشركين، الذين يقولون: من قال لا إله إلا الله فهو المسلم ولو فعل ما فعل، يعبد القبور، ويذبح للأولياء والصالحين، ويعمل السحر والشعوذة، ويعمل كل شيء، هو مسلم ما دام يقول: لا إله إلا الله...

فالذي يقول أنا ما أكفِّر هؤلاء، أنا ما أُكفِّر من يعبدون الحسن

---

(١) سورة آل عمران [٨٥].

(٢) القول المفيد (١/١٥٧-١٥٨).

والحسين والبدوي، لا أُكفِّرهم لأنهم يقولون: لا إله إلا الله؛ هم إخواننا، لكن أخطئوا، نقول له: أنت مشرك مثلهم لأنك لم تكْفُر بما يعبد من دون الله، والله تعالى قدّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) فلا بد من الكفر بالطاغوت ولا بد من الكفر بما يعبد من دون الله ﷻ، واعتقاد بطلانه، والبراءة منه ومن أهله، وإلا فلا يصير الإنسان مسلماً، لأن هذا تلفيق بين الإسلام والكفر ولا يجتمع الكفر والإسلام أبداً.

فهذا الحديث على اختصاره منهج عظيم، يبين معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنها ليست مجرد لفظ يقال باللسان ويردد في الأذكار والأوراد، وإنما هي حقيقة تقتضي منك أن تكفر بما يعبد من دون الله، وأن تتبرأ من المشركين، ولو كانوا أقرب الناس إليك، كما تبرأ الخليل عليه الصلاة والسلام من أبيه وأقرب الناس إليه(٢).

النوع الثاني: النهي عن تعظيم الطواغيت والحلف بها:

الدليل الأول:

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن سمرة(٣)

---

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

(٢) إعانة المستفيد (١/١٨٣-١٨٤).

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي، شهد غزوة تبوك مع =

ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»[١].

والمراد بالطواغي في الحديث الطواغيت كما توضحه رواية الإمام أحمد: في المسند من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت»[٢].

قال القاضي عياض[٣] رحمه الله: «الطواغي: الأصنام. أحدها طاغية سمي باسم المصدر لطغيان العباد له وأنه أصل طغيانهم وكفرهم، وكل ما عظم وجاوز العقيدة فقد طغى»[٤].

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة

= النبي ﷺ وهو الذي افتتح سجستان في خلافة عثمان، نزل البصرة وتوفي فيها سنة ٥٠هـ، [الإصابة (٢٦٢/٤-٢٦٣). التقريب (ص/٥٨١)].

(١) أخرجه مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله (١١١/١١) رقم (٤٢٣٨) .

(٢) المسند (٦٢/٥). قال شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين، المسند (٢٢٨/٣٤)، وأخرجه النسائي في كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بالطواغيت (٤٣٦/٤)، والحديث صححه العلامة الألباني، انظر: صحيح النسائي (٨٠٠/٢).

(٣) هو الإمام العلامة القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، ولد سنة ٤٧٦هـ، له مصنفات كثيرة منها، الشفاء، مشارق الأنوار، ترتيب المدارك، توفي سنة ٥٠٤هـ. [الصلة لابن بشكوال (٤٥٣/٢-٤٥٤). وسير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠-٢١٨)].

(٤) إكمال المعلم (٤٠٤/٥).

بالله تعالى، فلا يُضَاهَي به غيره وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أحلف بالله مائة مرة فآثَمُ خير من أن أحلف بغيره فأبَرُّ»[١].

الدليل الثاني:

بوّب الإمام البخاري في صحيحه باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت.

وذكر تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«من حلف فقال في حلفه باللات والعُزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق»[٢].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: «اقتصر المصنف على لفظ الطواغيت لكونه الأصل وعطفه على اللات والعزى لاشتراك الكل في المعنى وإنما أمر الحالف بذلك بقول لا إله إلا الله لكونه تعاطى صورة تعظيم الصنم حيث حلف به.

ونقل عن البغوي قوله: «وإنما أمره بالتوحيد لأن الحلف باللات والعزى يضاهي الكفار فأمره أن يتدارك بالتوحيد» .

ونقل عن الطيبي[٣] قوله: «الحكمة في ذكر القمار بعد الحلف باللات

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٠٧/١١). والمشهور أنه عن ابن مسعود، ولعله وهم من النووي -رحمه الله-.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الأيمان والنذور، باب: لا يحلف باللات والعُزّى ولا بالطواغيت (٦٥٣/١١) رقم (٦٦٥٠) .

(٣) شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، ولد سنة ٧٤٣هـ، كان حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، له مصنفات منها: حاشية على الكشاف =

أن مَن حلف باللات وافق الكفار في حلفهم فأمر بالتوحيد، ومن دعا إلى المقامرة وافقهم في لعبهم فأمر بكفارة ذلك بالتصدق»[(١)].

والنهي عن الحلف بغير الله لأنه من الشرك، ووجه الشرك فيه أنه تعظيم لغير الله، فهو كما قال ابن حجر رحمه الله تعاطى صورة تعظيم الصنم.

الدليل الثالث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»

النوع الثالث: النهي عن دعاء الطواغيت واتخاذها أنداداً من دون الله.

الدليل الأول:-

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى: قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار» وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك أيضاً والتخويف منه، والندّ المثل والشبيه، فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه سواء سأله أم لم يسأله، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله»[(٢)].

= والكاشف عن حقائق السنن، شرح مشكاة المصابيح وغيرها. [الدرر الكامنة (١٥٦/٢)].

(١) فتح الباري (٦٥٣/١١-٦٥٤).

(٢) قرة عيون الموحدين (ص/٣٤).

وقال أيضاً: «أي يجعل لله نداً في العبادة يدعوه ويسأله ويستغيث به»[١].

الدليل الثاني:

حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رجل يا رسول الله: أيُّ الذنب أكبر عند الله تعالى ؟ قال: «أن تدعُوَ لله ندًّا وهو خلقك....»[٢].

وحاصل كلام أهل العلم -رحمهم الله- حول هذه الأدلة يتلخص في النقاط التالية:-

١- أهمية وجوب الكفر بالطاغوت لأنه لا يقبل الإيمان إلا به.

٢- اهتمام النبي ﷺ وبيانه أوضح بيان لقضية الكفر بالطاغوت.

٣- أنّ لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إذا لم يكن كافراً بكل معبود من دون الله.

٤- من لوازم الكفر بالطاغوت: البراءة من جميع المعبودات من دون الله ومن عابديها.

٥- النهي عن الحلف بالطواغيت؛ لأن ذلك من الشرك ويؤدي إلى تعظيمها وقد أمرنا بإذلالها وإهانتها.

٦- أن العبادة بجميع أنواعها حق لله فلا تصرف لأحد دونه.

٧- لا بد من التصريح بالقول بالكفر بكل معبود من دون الله.

هذا، والله أعلم.

---

(١) المرجع السابق (ص/٩٠).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾المائدة: ٦٧ (٦٢٧/١٣) رقم (٧٥٣٢).

القسم الثاني: أدلة وجوب الكفر بالطاغوت بالاعتقاد

وفيه عدة أنواع كلها تدل على وجوب اعتقاد الكفر بالطاغوت.

النوع الأول:

وجوب اعتقاد مصير الطواغيت وعابديها في الآخرة كما دلت عليه السنة:

الدليل الأول:

حديث أبي هريرة ﷺ أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله «هل تُضَارُّون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يَعبد شيئاً فليتبعهُ، فيتّبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتّبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت...»[1].

حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: «ثم قال ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرٍّ أو فاجر

الدليل الثاني:

حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: «إذا كان يوم القيامة

---

(١) رواه البخاري (٦/٤ ٢٧٠)، برقم (٧٠٠٠)، ومسلم في صحيحه (١/١٦٣-١٦٤)، برقم (١٨٢).

أَذَّن مؤذن تتبع كلُّ أمة ما كانت تعبد، قال: فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار...[١].

ونقل الإمام ابن حجر رحمه الله عن ابن أبي جمرة قوله: «في الابتداء بذكر القمر قبل الشمس متابعة للخليل، فكما أمر باتباعه في الملة اتبعه في الدليل، فاستدل به الخليل على إثبات الوحدانية واستدل به الحبيب ﷺ على إثبات الرؤية فاستدل كل منهما بمقتضى حاله...[٢].

وقال ابن أبي جمرة[٣][٤]: «في التنصيص على ذكر الشمس والقمر مع دخولهما فيمن عُبِد من دون الله التنويه بذكرهما لعظم خلقهما....»[٥].

وقال ابن حجر رحمه الله: «فاتباعهم لهم حينئذ باستمرارهم على الاعتقاد فيهم، ويحتمل أن يتبعوهم بأن يساقوا إلى النار قهراً. ووقع في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد «فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب كل الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم » وفيه إشارة إلى أن كل من كان يُعْبد الشيطان ونحوه ممن يرضى بذلك أو الجماد والحيوان

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾النساء: ٤٠ (٨/٣١٥) رقم (٤٥٨١).

(٢) فتح الباري (١١/٥٤٤).

(٣) الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي المالكي، اختصر صحيح البخاري المسمى ببهجة النفوس، توفي سنة ٦٩٥هـ، بمصر. [الأعلام (٤/٨٩)].

(٤) في كتاب بهجة النفوس، ولم أجده.

(٥) فتح الباري (١١/٥٤٥) .

داخلون في ذلك، وأما من كان يَعْبُد من لا يرضى بذلك كالملائكة والمسيح فلا، لكن وقع في حديث ابن مسعود: «فيتمثل لهم ما كانوا يعبدون فينطلقون» وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن «فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره» فأفادت هذه الزيادة تعميم من كان يَعْبد غير الله، إلا من سيذكر من اليهود والنصارى فإنه يخص من عموم ذلك بدليله الآتي ذكره، وأما التعبير بالتمثيل فقال ابن العربي[1]: يحتمل أن يكون التمثيل تلبيساً عليهم، ويحتمل أن يكون التمثيل لمن لا يستحق التعذيب، وأما من سواهم فيحضرون حقيقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[2]»[3].

قال ابن أبي جمرة رحمه الله: «لم يذكر في الخبر مآل المذكورين، لكن لما كان من المعلوم أن استقرار الطواغيت في النار علم بذلك أنهم معهم في النار كما قال تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾»[4].

---

(١) هو الإمام العلامة أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الأندلسي، ولد سنة ٤٦٨هـ، كان فصيحًا بليغًا خطيبًا، له مصنفات منها: عارضة الأحوذي، وأحكام القرآن، توفي بفاس سنة ٥٤٣هـ. [الصلة (٢/٥٩٠-٥٩١). سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧-٢٠٤)].

(٢) سورة الأنبياء [٩٨].

(٣) فتح الباري (١١/٥٤٦).

(٤) المصدر السابق (١١/٥٤٦).

النوع الثاني: بيان أن اتخاذ الطواغيت من دون الله من أعظم الذنوب:-

الدليل الأول:

حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أيُّ الذنب أعظم عند الله ؟ قال: ((أن تجعل لله نداً وهو خلَقَك. قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أيُّ؟ قال: ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك، قلت: ثم أيُّ؟ قال: ثم أن تزاني بحليلة جارك))(١).

وقال الكرماني(٢): ((فإن قلت: الترجمة مشعرة بأن المقصود من الباب إثبات نفي الشريك عن الله، فكان المناسب ذكره في أوائل كتاب التوحيد))(٣).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: ((في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾(٤) وكأن المصنف أشار بها إلى تفسير الجعل المذكور في الآيتين قبلها، وأن المراد الدعاء إما بمعنى النداء، وإما بمعنى العبادة وإما بمعنى الاعتقاد))(٥).

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ البقرة: ٢٢ (٦١٠/١٣) رقم (٧٥٢٠).

(٢) هو العلامة محمد بن يوسف الكرماني ، ولد سنة ٧١٧هـ، كان تام الخُلُق، فيه بشاشة وتواضع، له مصنفات منها: شرح البخاري، وشرح مختصر ابن الحاجب، توفي ٧٨٦هـ [الدرر الكامنة (٣١٠/٤). بغية الوعاة (٢٧٩/١-٢٨٠)].

(٣) شرح صحيح البخاري (٢١٢/٢٥).

(٤) سورة الفرقان [٦٨] .

(٥) فتح الباري (٦١٤/١٣) .

وخلاصة كلام أهل العلم -رحمهم الله- حول هذه الأدلة ما يلي:

١- وجوب اعتقاد أن مصير الطواغيت وعابديها في النار.

٢- اجتناب عبادة الطواغيت لأنها لا تملك نفعاً ولا ضُرًّا.

٣- أن التوحيد هو الذي ينجي صاحبه في الآخرة.

٤- أن أعظم الذنوب على الإطلاق اتخاذ شركاء من دون الله.

٥- من عُبد من دون الله وهو غير راض كالملائكة والأنبياء والصالحين لا يدخل في هذا الوعيد.

القسم الثالث: أدلة وجوب الكفر بالطاغوت بالفعل

وفيه عدة أنواع من الأدلة:

النوع الأول: الأمر بإزالة الطواغيت ومعاقل الشرك:

الدليل الأول:

حديث جرير[1] ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:«ألا تريحني من ذي الخَلَصَة ؟ فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من (أَحْمُس) وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً قال: فما وقعت عن فرس بعدُ. قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن

---

(١) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي الصحابي المشهور، أبو عمرو، بعثه ﷺ إلى ذي الخلصة فهدمها، توفي -رضي الله عنه- سنة ٥١هـ، [الإصابة (١/٥٨١-٥٨٣) برقم (١١٣٩)].

لخثعم وبجيلة فيه نصب تُعْبد، يقال له الكعبة. قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها....... ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أبا أرطاة[(١)] إلى النبي ﷺ يبشره بذلك. فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جملٌ أجرب، قال: فبرَّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات))[(٢)].

وقد جاء في الحديث: ((أن النبي ﷺ قال له: يا جرير إنه لم يبق من طواغيت الجاهلية إلا بيت ذي الخَلَصة))[(٣)].

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: ((وذو الخلصة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة[(٤)].

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قوله: (ألا تريحني) هو بتخفيف اللام طلب يتضمن الأمر وخص جريرًا بذلك لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرافهم والمراد بالراحة راحة القلب، ما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يُشْرَك به من دون الله تعالى....

وفي الحديث مشروعية إزالة ما يفتتن به الناسُ من بناء وغيره، سواء

---

(١) أبو أرطاة هو حصين بن ربيعة وقيل حسين، وصوب بعضهم الهاء، أفاده النووي، [شرح مسلم للنووي (٨/٢٥٤)].

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة ذي الخلصة (٤/١٥٨٣)، برقم (٤٠٩٩)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة (٤/١٩٢٦)، برقم (٢٤٧٦).

(٣) صحيح ابن حبان (١٦/١٧٧).

(٤) فتح الباري (٨/٨٩).

كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً، وفيه استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم، والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح»[١].

وأما زيادة دعاء النبي ﷺ فوق ثلاث فهذا يبين منزلة الكفر بالطاغوت عند النبي ﷺ وما يحصل له من راحة وسرور عند إزالة معاقل الطواغيت وتحطيمها وعظم الأمر الذي بعث له جرير رضي الله عنه.

وعندما ذكر الإمام ابن حجر رحمه الله فوائد الحديث ذكر منها: «المبالغة في نكاية العدو، ومناقب لجرير ولقومه، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه، وأنه كان يدعو وِتْراً وقد يجاوز الثلاث، وفيه تخصيص لعموم قول أنس: كان إذا دعا دعا ثلاثاً. فيحمل على الغالب، وكأن الزيادة لمعنى اقتضى ذلك، وهو ظاهر في (أحمس) لما اعتمدوه من دحض الكفر ونصر الإسلام ولا سيما مع القوم الذين هم منهم»[٢].

النوع الثاني: النهي عن عبادة الله في أماكن الطواغيت وأعياد المشركين:

الدليل الأول:

حديث ثابت بن الضحاك[٣] رضي الله عنه قال: نذر رجل على عهد رسول

---

(١) المرجع السابق (٨/٩٠-٩٢).

(٢) المرجع السابق (٨/٩٢).

(٣) هو الصحابي الجليل ثابت بن الضحاك بن خليفة الأنصاري، شهد بيعة الرضوان والحديبية، ولد سنة ثلاث من البعثة وتوفي سنة ٦٤هـ، [الإصابة (١/٥٠٧). التقريب (ص/١٨٦)].

الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة[١]، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد» ؟ قالوا: لا، قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم»؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ:«أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم[٢].

وجاء عن أحمد في المسند بلفظ: «يا رسول الله إني نذرت أن أنحر ببوانة فقال أبها وثن أم طاغية؟ فقال لا، قال: أَوْفِ بنذرك»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «(أَوْفِ بنذرك) هذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً لعيدهم مانع من الذبح بها وإن نذر، كما أن كونها موضع أوثانهم كذلك وإلا لما انتظم الكلام ولا حسن الاستفصال.......

فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذورًا فكيف نفس عيدهم؟ هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان[٤].

وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وفيه سد الذريعة وترك مشابهة المشركين والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك[٥].

وقال رحمه الله: «وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة لكونها

---

(١) بوانة: هضبة وراء ينبع، قريبة من ساحل البحر. [معجم البلدان (٥٩٩/١) مادة بوانة].

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٣٩٤/٣) رقم (٣٣١٣). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٣٧/٢).

(٣) المسند (٣٦٦/٦).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٤٣/١).

(٥) فتح المجيد (٢٨٤/١) .

صارت محلاً لما حرم الله من الشرك والمعاصي، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلاً لما يسخط الله تعالى........

فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن يُعبد الله فيها ونذر ذلك معصية لا يجوز الوفاء به[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يستفاد من الحديث أنه لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، والحكمة من ذلك ما يلي:-

١- أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار.

٢- أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل؛ لأن من رآك تذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظنّ أن فعل المشركين جائز.

٣- أن هؤلاء المشركين سوف يقوون على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم، ولا شك أن تقوية المشركين من الأمور المحظورة وإغاظتهم من الأعمال الصالحة قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[(٢)] [(٣)].

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: «فيه دليل على أن الصنم ولو زال وأن الوثن ولو زال من المكان أن هذا المكان يُتْرَك ولا يذبح فيه؛

---

(١) قرة عيون الموحدين (ص/٧٥-٧٦).

(٢) سورة التوبة [١٢٠].

(٣) القول المفيد (١/٢٤١).

لأنه قال: «هل كان فيها» يعني في الزمن الماضي؛ فدل على أن مكان الوثن يجب أن يُهْجَر قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[(١)] الرجز: الأصنام وهجرها: تركها وترك المكان الذي كانت فيه»[(٢)].

النوع الثالث: منافاة الطواغيت لرسالة النبي ﷺ:-

الدليل الأول:

حديث عمرو بن عبسة[(٣)] رضي الله عنه وفيه: «فقلت له: ما أنت ؟ قال: أنا نبي. فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله. فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء...»[(٤)].

وحاصل كلام أهل العلم -رحمهم الله- فيما يلي:-

١- أهمية وجوب الكفر بالطاغوت لأن النبي ﷺ لم يرتح قلبه حتى أزيلت الطواغيت التي تعبد من دون الله.

٢- إزالة الطواغيت وتحطيمها عند القدرة على ذلك.

٣- النهي عن عبادة الله في أماكن الطواغيت سدّاً للذريعة وعدم

---

(١) سورة المدثر [٥].

(٢) إعانة المستفيد (١/٢٤٦).

(٣) هو الصحابي الجليل عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي أبو نجيح صحابي مشهور، أسلم قديماً بمكة، وكان قبل أن يسلم معتزلاً عبادة الأوثان، توفي -رضي الله عنه- في أواخر خلافة عثمان. [الإصابة (٤/٥٤٥-٥٤٧). التقريب (ص/٧٤٠)].

(٤) صحيح مسلم مع النووي، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: إسلام عمرو بن عبسة (٦/٣٥٥) رقم (١٩٢٧).

التشبه بالكفار وحماية لجناب التوحيد.

٤- إن مهمة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك وتحطيم الطواغيت وإزالتها بالقول والفعل والاعتقاد.

٥- فرح الداعية إذا أزيلت معاقل الشرك وهذا يظهر من دعاء النبي ﷺ لجرير وأصحابه بأكثر من ثلاث مرات.

وبعد عرض الأدلة من السنة على أهمية وجوب الكفر بالطاغوت بالقول والفعل والاعتقاد يتضح أن بينها تلازماً وتضمُّناً؛ فالاعتقاد يلزم منه القول والفعل، والفعل يتضمن القول والاعتقاد، فبهذا يتبين أن بينها ارتباطاً وثيقاً، فمن كفر بالطاغوت بقوله وهو لا يعتقد ذلك لا ينفعه هذا القول لأن الكفر بالطاغوت لا يقبل من العبد إلا بالاعتقاد والقول والفعل ويقيد الفعل عند القدرة. هذا والله أعلم.

المبحث الثالث: أقوال أهل العلم في بيان وجوب الكفر بالطاغوت وأهميته

لقد اعتنى أهل العلم -رحمهم الله- على اختلاف عصورهم ببيان أهمية الكفر بالطاغوت ومنزلته من الدين كيف لا وهو أساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وهو أصل الأصول الذي لا يقبل الله من عَبْده كلمة التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت لأنه أحد ركني شهادة ألا إله إلا الله وهو النفي فيها. وتتميز أقوالهم رحمهم الله بأنها استمدت قوتها ووضوح بيانها وجلاء فهمها من الأدلة من الكتاب والسنة مع تنوع دلالتها في بيان أهمية وجوب الكفر بالطاغوت، فتارة تصرح به، وتارة بدلالة المفهوم وأخرى بالمنطوق، وتارة يكون بيان أهميته من لوازم الدليل أو تضمنه له، وتارة بتقديمه على الإيمان بالله. مما جعل أهل العلم -رحمهم الله- يوضحون المراد من هذه النصوص ويشرحونها شرحاً وافياً يزيل عنها كل لبس ويبين مكانة ومنزلة هذا الأمر العظيم من الدين وهذا أوان الشروع في ذكر بعض أقوالهم -رحمهم الله-.

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول إذا استلمه -يعني الحجر: «آمنت بالله وكفرت بالطاغوت»(١).

٢- عن أبي الدرداء(٢) رضي الله عنه: أنه عاد مريضاً من جيرته، فوجده في

---

(١) مصنف ابن أبي شيبه (٦/٨١)، برقم (٢٩٦٢٨).

(٢) هو الصحابي الجليل المشهور، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه فقيل عويمر بن عامر =

السوق[1] وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد، فسألهم: يريد أن ينطق قالوا: نعم يريد أن يقول: آمنت بالله وكفرت بالطاغوت. قال أبو الدرداء: وما علمكم بذلك قالوا: لم يزل يردّدها حتى انكسر لسانه، فنحن نعلم أنه إنما يريد أن ينطق بها. فقال أبو الدرداء: أفلح صاحبكم إن الله يقول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]»[3].

وعن مكحول أنه حين أوصى قال:«تشهَّد هذا ما شهد به يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ويؤمن بالله ويكفر بالطاغوت على ذلك يحيا إن شاء الله ويموت ويبعث .... ثم قال هذه وصية أبي الدرداء[4].

٣- وجاء عن علي بن الحسين[5] أنه كان يعلم ولده يقول: «آمنت

= وقيل غير ذلك الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر وشهد أحدًا، توفي -رضي الله عنه- في خلافة عثمان -رضي الله عنه- [الإصابة (٤/٦٢١-٦٢٢). التقريب (ص/٧٥٩)].

(١) السوق: شرع في نزع الروح. [القاموس المحيط (ص/١١٥٦)].

(٢) سورة البقرة [٢٥٦].

(٣) تفسير الطبري (٣/٢١).

(٤) سنن الدارمي (٢/٤٩٧) رقم (٣١٨٤).

(٥) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، الملقب زين العابدين، العابد الفقيه المشهور، قال: الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه. توفي سنة ٩٣هـ. [التقريب =

بالله وكفرت بالطاغوت[١].

٤- وقال الإمام ابن عطية رحمه الله: «وقدَّم تعالى ذِكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت»[٢].

٥- وقال الوزير أبو المظفر[٣] رحمه الله في الإفصاح: «قوله: شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأنه لا إله إلا الله كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤] قال: واسم الله مرتفع بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله تعالى كنت مِمَّن كَفَر بالطاغوت وآمن بالله»[٥].

٦- وقال الإمام أبو حيان رحمه الله: «وناسب ذلك أيضاً اتصاله بلفظ

= (ص/٦٩٣)، برقم (٤٧٤٩)].

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٦/١) رقم (٣٤٩٩).

(٢) المحرر الوجيز (٢٨٣/٢).

(٣) هو الوزير الإمام العادل عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني ولد عام ٤٩٩هـ، تقلد منصب الوزارة وكان ديناً خيراً متعبداً عاقلاً وقوراً متواضعاً، من مصنفاته: الإفصاح وكتاب العبادات، توفي سنة ٥٦٠هـ، [المنتظم (٢١٤/١٠-٢١٧). سير أعلام النبلاء (٤٢٦/٢٠-٤٣٢)].

(٤) سورة محمد [١٩].

(٥) الإفصاح (/).

الغي ولأن الكفر بالطاغوت متقدم على الإيمان بالله لأن الكفر بها هو رفضها ورفض عبادتها ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية، إذْ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية مما كان مشتبهاً به سابقاً له قبل الإيمان لأن في النصية عليه مزيدَ تأكيد على تركه»[1].

٧- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن حاكم خصمه إلى غير الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت وقد أمر أن يكفر به، ولا يكفر العبد بالطاغوت حتى يجعل الحكم لله وحده كما هو كذلك في نفس الأمر»[2].

٨- وقال الإمام السمين الحلبي رحمه الله: «وقَدَّم ذكر الكفر بالطاغوت على ذكر الإيمان بالله اهتماماً بوجوب الكفر بالطاغوت»[3].

٩- وقال الإمام أبو حفص الدمشقي رحمه الله: «وقَدَّم ذكر الكفر بالطاغوت على ذكر الإيمان بالله تعالى اهتماماً بوجوب الكفر بالطاغوت وناسب اتصاله بلفظ الغي»[4].

١٠- وقال الإمام أبو السعود[5] رحمه الله: «وتقديم الكفر على الإيمان به

---

(١) البحر المحيط (٢/٢٩٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص/٥٣).

(٣) الدر المصون (٢/٥٤٨).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٤/٣٣٠).

(٥) أبو السعود الشيخ المفسر محمد بن محمد العمادي، ولد عام ٨٩٨هـ، من تصانيفه التفسير المشهور بتفسير أبي السعود واسمه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب =

تعالى لتوقفه عليه فإن التخلية مقدم على التحلية»[١].

١١- وقال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وافترض الله على جميع العباد: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله»[٢].

وقال رحمه الله: «اعلم رحمك الله: أن أول ما فرض الله على ابن آدم: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٣]»[٤].

وقال رحمه الله: «اعلم رحمك الله: أن أول واجب أوجبه الله على عبده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥]»[٦].

وقال رحمه الله: «واعلم: أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت»[٧].

= الكريم، توفي سنة ٩٨٢هـ. [البدر الطالع برقم (١٨٠)].

(١) تفسير أبي السعود (١/٢٥٠).

(٢) الدرر السنية (١/١٣٦).

(٣) سورة النحل [٣٦].

(٤) الدرر السنية (١/١٦١).

(٥) سورة البقرة [٢٥٦].

(٦) الدرر السنية (١/١٣٧).

(٧) المصدر السابق (١/١٦٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله»[(٢)].

١٢- وقال الإمام سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيهن دليل على أن التوحيد أول واجب على المكلف وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله المستلزم لعبادته وحده لا شريك له»[(٣)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنى لا إله إلا الله: «فهذا معنى لا إله إلا الله وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله»[(٤)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ذكر حديث معاذ عندما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن: «وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله الذي قال الله فيه: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) فتح المجيد (ص/٣٤).

(٢) مجموعة التوحيد (ص/٢٥).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص/٦٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص/٧٣).

(٥) سورة البقرة [٢٥٦].

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص/١٢٦).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[1]: «أي بالطاغوت وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان مضادّ له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر وترك التحاكم إليه فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله»[2].

١٣- وقال العلامة عبد الله أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن المعلوم أنه لا يصح إسلام إنسان حتى يكفر بالطاغوت وهو كل ما عُبِد من دون الله»[3].

١٤- وقال الإمام عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[4] وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حدَّه وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه»[5].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[6] لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فإذا لم يحصل هذا

---

(١) سورة النساء [٦٠].

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٥٦).

(٣) الدرر السنية (١٠/٤١٧).

(٤) سورة الممتحنة [٤].

(٥) فتح المجيد (٢/٦٥٦).

(٦) سورة النساء [٦٠].

الركن لم يكن موحِّدًا»[١].

وقال رحمه الله: «ومن المعلوم: أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ولم يأت به، وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية»[٢].

وقال رحمه الله: «والقرآن كلُّه من أوله إلى آخره في تقرير معنى لا إله إلا الله فهي كلمة الإخلاص وكلمة التقوى والعروة الوثقى ولا يتمسك بها إلا مَنْ كفر بالطاغوت وآمن بالله»[٣].

١٥- قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: «وقد يفرد الإيمان ويخص بالذكر فيدخل فيه الكفر بالطاغوت كشهادة أن لا إله إلا الله، فإنها دالة على الإيمان بالله المتضمن للكفر بالطاغوت، وعبادة الله وحده لا شريك له»[٤].

١٦- وقال الإمام المحدث إسحاق[٥] بن عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- الجميع فِي نَظْمٍ له في العقيدة:

---

(١) فتح المجيد (٢/٦٥٧).

(٢) الدرر السنية (٢/٢٠٧).

(٣) الدرر السنية (١١/٤٩٠).

(٤) مصباح الظلام (ص/٢٦٧).

(٥) هو العلامة المحدث إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ولد عام: ١٢٧٦هـ، له من المصنفات الجوابات المسمعية على الأسئلة الروائية، والرد على أمين العراقي، توفي عام ١٣١٩هـ ، [علماء نجد للبسام (١/٢٠٥-٢٠٦)].

وحقِّق التوحيد إخلاصًا ولا ... تَبْغِ عن الدين القويم معدلا
لأن فيه وَقَع الخصامُ ... وشُرِع الجهادُ والإمامُ
يقول جلَّ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا﴾ ... فافهم خطاباً عنا ما استثنى
﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ اتركوا ... ما صح إخلاص وهذا يوتى
قد عده أهلُ البيان شَرْطًا ... لصحة فاسلك طريقاً وسطاً
معناه أن تحققوا العبادة ... وتخلصوا النيات والإرادة

إلى أن قال رحمه الله:

والكفر بالطاغوت فرض لازم ... في العروة الوثقى فأين العالِمُ
في آية الكرسيِّ والنحل الذي ... يكفي ويشفي فاشرب الصافي العذب
فكل ما قد جاوز المشروعا ... فإنه الطاغوتُ قُلْ ممْنوعاً
عبادة أو طاعة أو حبًّا ... سمّ المطاع في الضلال رباً[(١)].

١٧- وقال العلامة أحمد بن إبراهيم[(٢)] بن عيسى رحمه الله: «وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر بالطاغوت لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[(٣)] فصار الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجباً لا

---

(١) كفاية الإنسان من القصائد الغر الحسان (ص/١١٤.١٢٦).

(٢) هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، ولد عام ١٢٥٣هـ، من مصنفاته: شرح على النونية، تهديم المباني في الرد على النبهاني، توفي -رحمه الله- عام ١٣٢٩هـ. [علماء نجد للبسام (١/١٥٥-١٦٢)].

(٣) سورة البقرة [٢٥٦].

يمكن وجود الإيمان إلا بوجوده»[١].

١٨- وقال الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وأشار إلى أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت بقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[٢]، ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو كذلك، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزلٍ عن الإيمان؛ لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقى، والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله أو ركن منه كما هو صريح قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الآية»[٣].

وقال رحمه الله: «واعلم أن كل ما عُبِد من دون الله فهو طاغوت. ولا تنفع عبادة الله إلا بشرط اجتناب عبادة ما سواه»[٤].

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: «فالإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت، فالكفر بالطاغوت ركن الإيمان فلا يصح أن يجمع بين الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت لأن هذا جمع بين نقيضين، والله قدَّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله.

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم (١/١٥٧).

(٢) سورة البقرة [٢٥٦].

(٣) أضواء البيان (١/٢٦١).

(٤) أضواء البيان (٣/٢٠٣).

وهذا معنى (لا إله إلا الله) لأن (لا إله إلا الله) إيمان بالله وكفر بالطاغوت فقولنا: (لا إله) هذا نفي ينفي جميع الطواغيت وقولنا: (إلا الله) هذا إيمان بالله سبحانه وتعالى وحده»[١].

فهذه بعض أقوال العلم -رحمهم الله- التي تبين أهمية وجوب الكفر بالطاغوت وارتباطه بالعقيدة التي هي أساس كل شيء حيث إنه لا يقبل أي عمل إلا بصحتها وسلامتها مما يجعل العبد يهتم بهذا الأمر ويقوم به أكمل قيام. والله أعلم.

---

(١) إعانة المستفيد (١٦٩/٢).

المبحث الرابع: أثر الكفر بالطاغوت في الإيمان

إن الله بعث الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم بالتوحيد والكفر بالطاغوت فما من نبي إلا وهو يدعو إلى إفراد الله بالعبادة والكفر بكل طاغوت، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «واعلم أرشدك الله: أن الله سبحانه بعث الرسل، وأنزل الكتب، لمسألة واحدة، وهي: توحيد الله وحده، والكفر بالطاغوت كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]»[2].

فعبادة الله والكفر بالطاغوت ركنا كلمة التوحيد، فمن أتى بواحد دون الآخر فلا قبول له؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط في قبول الإيمان فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يفرقوا في دعوتهم بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت لعلمهم التام أن (لا إله إلا الله) تشتمل عليهما فالنفي في كلمة التوحيد هو الكفر بالطاغوت والإثبات فيها هو الإيمان بالله ومما يوضح أثر الكفر بالطاغوت في الإيمان بالله أن الله جعل من كفر بالطاغوت وآمن بالله هو الذي تمسك بلا إله إلا الله حقاً، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة النحل [٣٦].

(٢) الدرر السنية (٩٧/١٠).

(٣) سورة البقرة [٢٥٦].

ونبينا محمداً ﷺ منذ بعثه الله إلى أن توفاه وهو يدعو إلى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما يدل على أن للكفر بالطاغوت أثراً كبيرًا في الإيمان بالله.

يقول الإمام عبد الرحمن بن حسن: عن حقيقة دعوة نبينا محمد ﷺ: ((إن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وعرفهم ما خلقوا له من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما كانوا يعبدون من دون الله، والرغبة عن عبادة غيره والبراءة منها والكفر بالطاغوت، وهو الشيطان وما زينه من عبادة الأوثان، فدعا قريشاً والعرب إلى أن يقولوا لا إله إلا الله لما دلّت عليه من بطلان عبادة كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده دون كل من سواه، وهذا هو التوحيد الذي خَلَق الله الخلق لأجله، وأرسل الرسل لأجله، وأنزل الكتب لأجله، وهو أساس الإيمان والإسلام ورأسه، وهو الدين الحق الذي لا يقبل الله من عبد ديناً سواه))[1].

ومما يوضح علاقة الكفر بالطاغوت بالإيمان بالله ما تقرر في نفوس الصحابة -رضوان الله عليهم- من معنى لا إله إلا الله حيث تيقنوا أن مَنْ لم يأت بالكفر بالطاغوت في اعتقاده وقوله وعمله فلا قبول لإيمانه، ومما يدل على ذلك ما فعله عمر رضي الله عنه عندما استلم الحجر الأسود فقد صرح علانية أمام الناس بالإيمان بالله والكفر بالطاغوت حيث قال: ((آمنت بالله

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣٢١/١).

وكفرت بالطاغوت»[١].

ويؤيد هذا ما جاء في صحيح البخاري: «أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّلَه فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلك ما قَبَّلتك»[٢].

قال ذلك عمر رضي الله عنه لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشِي عُمَر رضي الله عنه أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته، كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان»[٣].

ففعل عمر س فيه بيان للناس أن الإيمان بالله لا بد أن يقارنه الكفر بالطاغوت، ولقد دلت أدلة الكتاب والسنة على قوة العلاقة بين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وأنه لا يغني أحدهما عن الآخر فمنها قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

---

(١) سبق تخريجه (ص/١٩٣).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الحج، باب: ما ذكر في الحجر الأسود (٣/٥٨٣)، رقم (١٥٩٧).

(٣) فتح الباري (٣/٥٨٤)، بتصرف يسير.

(٤) سورة البقرة [٢٥٦].

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «وجعل تعالى ذكره الإيمان الذي تمسَّك به الكافرُ بالطاغوت المؤمنُ بالله، من أوثق عرى الأشياء ...

والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله، وتبرئه من الأنداد التي تُعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره.. »[١].

وقال العلامة ابن عطية رحمه الله: «ولما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات (سميع) من أجل النطق و(عليم) من أجل المعتقد»[٢].

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فدلت الآية على أنه لا يكون مستمسكاً بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها ومن لم يعتقد هذا فليس بمسلم لأنه لم يتمسك بلا إله إلا الله»[٣].

وقال العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله: «فبين تعالى أن المستمسك بالعروة الوثقى هو الذي يكفر بالطاغوت، وقَدَّم الكفر على الإيمان بالله لأنه قد يدَّعي المدعي أنه يؤمن بالله وهو لا يتجنب الطاغوت فتكون دعواه كاذبة»[٤].

---

(١) جامع البيان (٣/٢٠-٢١).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٣٨٣).

(٣) الدرر السنية (١١/٢٦٣)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٣٣٩).

(٤) الدرر السنية (١٠/٥٠٢).

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «وأشار إلى أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت... ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو كذلك ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزل عن الإيمان؛ لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقى والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله أو ركن منه»[١].

فيتضح من كلام العلماء -رحمهم الله- على الآية قوة العلاقة بينهما وأثر الكفر بالطاغوت في الإيمان بالله وتقديمه عليه في الآية مما يدل على أنه الركن الثاني من كلمة التوحيد.

ومن الأدلة التي توضح أثر الكفر بالطاغوت في الإيمان بالله قول النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم مالُه ودمُه وحِسَابُه على الله»[٢].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله»[٣].

---

(١) أضواء البيان (١/٢٦١).

(٢) سبق تخريجه (ص/٩).

(٣) كتاب التوحيد، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله (ص/٣٣)، دار السلام.

فلا تعصم لا إله إلا الله الدم والمال إلا بالكفر بالطاغوت مما يدل على أثره في الإيمان بالله.

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: (وكفر بما يعبد من دون الله) فهذا شرط عظيم لا يصح قول: لا إله إلا الله إلا بوجوده وإن لم يوجد لم يكن من قال: (لا إله إلا الله) معصومَ الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى (لا إله إلا الله) فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه من ترك الشرك والبراءة منه ومن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلماً، معصومَ الدم والمال، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]»[2].

ولقد اعتنى أهل العلم ببيان هذا الأمر الذي اشتملت عليه كلمة التوحيد ولأنه متعلق بأصل الأصول ومن لم يحققه لا يعد من المسلمين فبينوا ما تضمنته من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

قال الوزير أبو المظفر رحمه الله: «وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فإنك لما نفيت الإلهية

---

(١) سورة البقرة [٢٥٦].

(٢) قرة عيون الموحدين (ص/٤٩-٥٠).

وأثبت الإيجاب لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله»[(١)].

ومما يوضح علاقة الكفر بالطاغوت بالإيمان بالله أنه قرن بينهما، وقَدَّم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله مما يبين أن بينهما تلازمًا، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «ولما نهى نوح بنيه عن الشرك، أمرهم بلا إله إلا الله، فليس هذا تكرارًا.

بل هذان أصلان مستقلان كبيران، وإن كانا متلازمين، فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، ولا إله إلا الله الإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازماً، فنوضح لكم الواقع، وهو: أن كثيرًا من الناس يقول: لا أعبد إلا الله، وأنا أشهد بكذا، وأقر بكذا، ويكثر الكلام؛ فإذا قيل له: ما تقول في فلان وفلان، إذا عُبدا أو عَبدا من دون الله؟ قال: ما علي من الناس، الله أعلم بحالهم، ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه.

فمن أحسن الاقتران: أن الله قرن بين الإيمان به والكفر بالطاغوت، فبدأ بالكفر به على الإيمان بالله، وقرن الأنبياء بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك...»[(٢)].

وبيَّن رحمه الله أن الكفر بالطاغوت هو ملة إبراهيم عليه السلام حيث قال: «ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله»[(٣)].

---

(١) الإفصاح في معاني الصحاح نقلا عن قرة عيون الموحدين (ص/٤٩-٥٠).

(٢) الدرر السنية (١٠/١٠٢).

(٣) مجموعة التوحيد (ص/٢٥).

واستنبط من النصوص رحمه الله فرضية الكفر بالطاغوت على جميع العباد حيث قال: «وافترض الله على جميع العباد: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله»[١].

وقال رحمه الله: « اعلم -رحمك الله- أن أول ما فرض الله على ابن آدم: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[٢]»[٣].

واستدل رحمه الله من النصوص بأن الكفر بالطاغوت هو أول واجب أوجبه الله على العبد.

قال رحمه الله: «إن أول واجب أوجبه الله على عبده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله والدليل قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤]»[٥].

ومما يبين علاقة الكفر بالطاغوت والإيمان بالله أنهما يمثلان إذا اجتمعا معنى لا إله إلا الله.

---

(١) الدرر السنية (١٣٦/١).

(٢) سورة النحل [٣٦].

(٣) الدرر السنية (١٦١/١).

(٤) سورة البقرة [٢٥٦].

(٥) الدرر السنية (١٣٧/١).

قال العلامة سليمان بن عبد الله ﷺ: «فهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت وإيمان بالله»[(١)].

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن ﷺ: «والقرآن كلُّه في معنى (لا إله إلا الله) فهي كلمة الإخلاص وكلمة التقوى، والعروة الوثقى، ولا يتمسك بها إلا من كَفَر بالطاغوت وآمن بالله»[(٢)].

ومما يدل دلالة واضحة على أثر الكفر بالطاغوت في الإيمان بالله ما قرَّره أهل العلم -رحمهم الله- من عدم صحة إسلام من لم يكفر بالطاغوت.

قال العلامة عبد الله أبا بطين ﷺ: «ومن المعلوم أنه لا يصح إسلام إنسان حتى يكفر بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله»[(٣)].

وقال العلامة أحمد بن إبراهيم النجدي ﷺ: «.... الكفر بالطاغوت شرطاً في صحة الإيمان بالله واجبًا لا يمكن وجود الإيمان إلا بوجوده»[(٤)].

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: «فالإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت فالكفر بالطاغوت ركن الإيمان»[(٥)].

وبعد عرض الأدلة من القرآن والسنة وما استنبطه العلماء منها في

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٧٣).

(٢) الدرر السنية (١١/٤٩٠).

(٣) الدرر السنية (١٠/٤١٧).

(٤) شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٦٩).

(٥) إعانة المستفيد (٢/١٦٩).

بيان أثر الكفر بالطاغوت في الإيمان بالله وقوة العلاقة بينهما يتضح أن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله، ولا يصح إسلامُ أحد حتى يأتي به، فعدم قبول الفرائض والعبادات يكون بعدمه، وهو أول واجب على المكلَّف، وأول ما فُرِض الله على بني آدم حيث إنه ركن لا إله إلا الله والنفي فيها، فمن كفر بالطاغوت ولم يؤمن بالله لا ينفعه ذلك إلا إذا اجتمع الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وهذا هو حقيقة كلمة التوحيد ومعناها، فمن أراد كمال الشيء لا بُدّ له من السعي في ذلك.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «بدأ الله لأ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت، ولهذا يقال التخلية قبل التحلية»[١].

(١) شرح الأصول الثلاثة (ص/١٦٠).

المبحث الخامس: الجهل بمعنى الكفر بالطاغوت

تقرر فيما سبق بيان حقيقة الكفر بالطاغوت وأنه ركن لا إله إلا الله وحقيقة معناها والنفي فيها وأنه لا يصح إسلام أحد إلا بالإتيان به على الوجه المشروع فالذي لا يكفر بالطاغوت ليس بمسلم كما بينه أهل العلم، فالكفر بالطاغوت يكون بالقول والفعل والاعتقاد الموافق للكتاب والسنة، وهذا لا يتأتى إلا بالعلم الشرعي على نهج السلف الصالح لئلا يقع المسلم في الخطأ والجهل ويطبق أحكام الكفر بالطاغوت على مَنْ لا تنطبق عليه شرعاً، بسبب الجهل وقلة البضاعة ومفارقة العلماء الأجلاء.

والشرع المطهر قد بين حقائق الألفاظ الشرعية لئلا تفهم على غير مراد الشارع الحكيم فيقع اللبس ويفهم كل واحد على مراده وهواه كما حصل من بعض الناس في القديم والحديث فالعلم بمراد الألفاظ الشرعية أمر مهم يترتب عليه معرفة الأحكام؛ لأن النبي ﷺ قد بين ذلك أوضح بيان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر، هي أعظم من هذا كله؛ فالنبي ﷺ قد بين المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك؛ فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف؛ بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٦/٧-٢٨٧).

فمن عَرَف حقيقة الكفر بالطاغوت مستنداً في معرفته على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لن يضل في براءته منه، وعداوته له ومنابذته، لأنها مبنية على الفهم الصحيح المستند على النقل الصحيح.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: «اعلم أن من تصور حقيقة أي شيء على ما هو عليه في الخارج وعرف ماهيته بأوصافها الخاصة عرف ضرورة ما يناقضه ويضاده، وإنما يقع الخفاء بلبس إحدى الحقيقتين، أو بجهل كلتا الماهيتين، ومع انتفاء ذلك وحصول التصور التام لهما لا يخفى ولا يلتبس أحدهما بالآخر، وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة، وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمة، مثال ذلك أن الإسلام والشرك نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والجهل بالحقيقتين أو إحداهما أوقع كثيراً من الناس في الشرك وعبادة الصالحين، لعدم معرفة الحقائق وتصورها»[1].

فمعرفة مراد الشارع من الألفاظ الشرعية أمر مطلوب لكي يعرف حد هذا اللفظ ولا يتجاوزه، فمعرفة مواقع الخطاب وتفاصيله يحصل بها خير كثير وعدم المعرفة تحصل به الفتن والشر المستطير.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: «فإن الإجمال والإطلاق، وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب، وتفاصيله يحصل به من اللبس والخطأ، وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان، ويشتت الأذهان، ويحول

---

(١) منهاج التأسيس (ص/١٢).

بينها وبين فَهْم السنة والقرآن»[(١)].

فالعلم بمعنى الكفر بالطاغوت يزيل الشُّبَه الشيطانية التي بسببها ضَلَّ كثير من الناس حيث ظنوا أن الكفر بالطاغوت والبراءة منه ومن أهله يكون باليد فقط وهذا من أعظم الضلال؛ فإن النبي ﷺ كَفَر بالطاغوت وعلَّمنا كيفية الكفر به وحقيقة معناه، وبيَّن لنا صفة إسلام مَنْ كفر به بقوله واعتقاده فقط دون اليد.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «إن الله تعالى لما أرسل محمدًا ﷺ يدعو الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً تعبدها قريش، وكانوا يعبدون اللات والعزى ومناة وهي أكبر الطواغيت التي يعبدها أهل مكة والطائف ومن حولهم، فاستجاب للنبي ﷺ من استجاب من السابقين الأولين، وهاجر من هاجر منهم إلى الحبشة، وكلٌّ من آمن منهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رغبة عن الشرك وعبادة الأوثان وكفرًا بها، وبراءة منها، ومسبة لها، فصح إسلامهم وإيمانهم بذلك مع كونها موجودة يعبدها من يعبدها ممَّن لم يرغب عنها وعن عبادتها.

فبهذا يتبين أنه ليس المراد من نفي الأوثان والأصنام وغيرها في كلمة الإخلاص زوال ماهية الأصنام ونفي وجودها، وإنما المراد إنكار عبادتها والكفر بها وعداوتها كما تقدم بيانه، وكل من تبرأ منها ورغب عنها فقد نفاها بقول لا إله إلا

---

(١) الدرر السنية (١/٤٦٩).

الله، وأثبت الألوهية لله تعالى دون كل ما يعبد من دونه.

فلما تمكن ﷺ من إزالة هذه الأصنام كسرها وبعث من يزيل ما بعد عنه منها فخلت الجزيرة من أعيانها»[١].

فبهذا يعلم حقيقة الكفر بالطاغوت فالذي لا يعذر فيه المسلم هو اعتقاد القلب وقول اللسان أما عمل الجوارح فعند القدرة وعدم حصول مفسدة أعظم، فالصحابة -رضوان الله عليهم- كفروا بالطاغوت وحقَّقوا أعلى مراتب التوحيد مع وجود الطواغيت حول الكعبة، ممّا يوضح لمن جَهِل معنى الكفر بالطاغوت أن المقصود ليس هو إنكار باليد فقط، وإنما هو على مراتب بحسب حال المكلف وقدرته؛ لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، والجاهل هو الذي يكلّف نفسه بأمور لم يأمره الله بها شرعاً حيث يفهم بعض الجهال فهماً مخالفاً لأهل السنة والجماعة فيجعل العصاة طواغيت ومن خالفه ولم يأت على مراده وفكره وهواه فهو الطاغوت الذي يجب أن يُكْفَر به بل قد يصل الأمر إلى إباحة الدماء والأموال والأعراض والعياذ بالله، كما حصل مِن فعل الخوارج عندما كَفَّروا صحابة رسول الله ﷺ وقاتلوهم لاعتقادهم أنهم كفار بسبب جهلهم بالكتاب والسنة فاستحلوا دماءَهم وأموالهم وأعراضهم.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله عن هذا المذهب المخالف للكتاب والسنة: «أما مذهب الخوارج فإنهم يكفِّرون أهل الإيمان بارتكاب

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٣٤٣-٣٤٤).

الذنوب، ما كان منها دون الكفر والشرك، وإنهم قد خرجوا في خلافة علي ﷺ وكفَّروا الصحابة بما جرى بينهم من القتال، واستدلوا على ذلك بآيات وأحاديث لكنهم أخطؤوا في الاستدلال»[١].

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: «وإنما أشكل الأمر وخفيت المعاني والتبست الأحكام على خلوف من العجم، والمولدين الذين لا دراية لهم بهذا الشأن، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن»[٢].

فالجهل بمعنى الكفر بالطاغوت من أعظم أسباب الفتن وانتشار فتنة التكفير بين الناس، ففي القديم ظهر الخوارج وكَفَّروا خيار هذه الأمة وما ذاك إلا بسبب جهلهم بمعنى النصوص الشرعية، واتباعهم للهوى والشيطان، وعدم وقوفهم عند الأدلة وما زالت هذه الفتنة منتشرة في كل زمان ومكان، وممن عاصرها من العلماء العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن حيث التقى بمن جهل بمعنى الكفر بالطاغوت فأصبح يكفّر الناس بدون دليل ولا برهان، قال رحمه الله: «وقد رأيت سنة أربع وستين ومائتين وألف[٣]، رجلين .... بالأحساء[٤] قد اعتزلوا الجمعة والجماعة، وكَفَّرا من في تلك البلاد من

---

(١) الدرر السنية (١٠/٣٤٨).

(٢) الدرر السنية (١/٤٧٤).

(٣) وهذا حين بعثه الإمام فيصل بن تركي في مهمة لإصلاح أوضاع المنطقة.

(٤) الأحساء: في اللغة العربية الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى أهلابه أمسكته، والأحساء: مدينة بالبحرين معروفة مشهورة، وأحساء القطيف. [معجم البلدان- ياقوت الحموي].

المسلمين،... يقولون: أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممَّن لم يكْفُر بالطاغوت، ولم يصرّح بتكفير جده الذي يرد دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها.

قالوا: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسه فهو مثله، ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام، حتى تركوا رَدَّ السلام، فرفع إلي أمرهم فأحضرتهم وتهددتهم، وأغلظت لهم القول، فزعموا أولاً: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفِّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله، من الشرك الأكبر وقد أظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم، وزعما: أن الحق ظهر لهما، ثم لحقا بالساحل، وعادا إلى تلك المقالة، وبلغنا عنهم: تكفير أئمة المسلمين، بمكاتبة الملوك المصريين، بل كفروا مَنْ خالط مَنْ كاتبهم؛ من مشايخ المسلمين، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، والحور بعد الكور»[1].

فالجهل بمعنى كلمة التوحيد وما تنفيه من الطواغيت والبراءة منها ومن أهلها من أعظم الأسباب التي ساعدت في انتشار فتنة التكفير بين المسلمين، مع أن التكفير حكم شرعي ليس لأحد من الناس، إنما هو للشارع الحكيم.

---

(١) الدرر السنية (١/٤٦٧-٤٦٨) وعيون الرسائل والمسائل (١/١٦٤).

الباب الثاني: الضوابط في أنواع الطاغوت، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: من ادّعى صفة من صفات الله.

الفصل الثاني: من ادّعى الربوبية.

الفصل الثالث: من ادّعى الألوهية.

الفصل الرابع: من جعل نفسه مشرعاً من دون الله.

الفصل الخامس: من ادّعى علم الغيب.

الفصل الأول: من ادعى صفة من صفات اللّه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع.

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضابط هذا النوع.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله عز وجل بصفات الكمال.

المطلب الثالث: وجه تسمية من ادعى صفة من صفات الله طاغوتاً.

توطئة:

لقد اعتنى أهل العلم -رحمهم الله- ببيان جملة من أنواع الطاغوت والضابط لها؛ لأنه لا يمكن لأحد حصر أنواعه لكثرتها وتجددها في الخارج وما ذاك إلا لأهمية هذا الأمر ومنزلته من الدين وليتبين للناس حقيقة الطاغوت من غيره فليس كل من عُبِد من دون الله أو صُرِف له أيُّ نوع من العبادة يعدُّ داخلاً في نوع من أنواع الطاغوت؛ لأن الأنبياء والملائكة والصالحين عُبِدوا من دون الله ومع ذلك لا يسمَّون طواغيت؛ لأنهم لم يرضوا بعبادتهم ولم يأمروا بها، وإنما الطاغوت هو الشيطان الذين زيَّن لهم هذه العبادة، ومما قاله العلماء في أنواع الطاغوت ما يلي:-

قال شيخ ابن تيمية رحمه الله: «والطغيان: مجاوزة الحد؛ وهو الظلم والبغي فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك: طاغوت؛ ولهذا سَمَّى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: «ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت»[1]. والمطاع في معصية الله والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق، سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله هو طاغوت، ولهذا سُمِّي من تحوكم إليه، من حاكم بغير كتاب الله طاغوتاً وسَمَّى الله فرعون وعاداً طغاة»[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الفصل الرابع والعشرون في ذكر

---

(١) سبق تخريجه (ص/١٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠١).

الطواغيت الأربع التي هَدَم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين وانتهكوا بها حرمة القرآن ومحوا بها رسوم الإيمان وهي:

الأول: قولهم: إن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين.

الثاني: وقولهم: إن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازاتٌ لا حقيقة لها.

الثالث: وقولهم: إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول، لا تفيد العلم، وغايتها أن تفيد الظن.

الرابع: وقولهم: إذا تعارض العقل ونصوص الوحي، أخذنا بالعقل ولم نلتفت إلى الوحي.

فهذه الطواغيت الأربع، هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت وهي التي محت رسومه، وأزالت معالمه، وهدمت قواعده، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب، ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق ومُلحد، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت واعتصم به. واتخذه جُنَّة يصد به عن سبيل الله، والله تعالى بحوله وقوته ومنّه وفضله، قد كسر هذه الطواغيت طاغوتاً طاغوتاً، على ألسنة خلفاء رسله وورثة أنبيائه، فلم يزل أنصار الله ورسوله يصيحون بأهلها من أقطار الأرض ويرجمونهم بشهب الوحي وأدلة المعقول، ونحن نفرد الكلام عليها طاغوتاً طاغوتاً» [(١)].

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٦٣٢-٦٣٣).

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان، الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

الثاني: الحاكم الجائر، المغيِّر لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(٢).

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣).

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾(٤).

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ

---

(١) سورة المائدة [٦٠] .

(٢) سورة النساء [٦٠].

(٣) سورة المائدة [٤٤].

(٤) سورة الجن [٢٦].

﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)]))[(٢)].

وقال رحمه الله: ((والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

١- إبليس لعنه الله.

٢- ومن عُبِد وهو راض.

٣- ومن ادعى شيئاً من علم الغيب.

٤- ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه.

٥- ومن حكم بغير ما أنزل الله))[(٣)].

وقال رحمه الله: ((والطواغيت: مَنْ عُبِد وهو راضٍ، أو ترشح للعبادة))[(٤)].

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: ((والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته ويدعو الناس إلى عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير الله ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها))[(٥)].

فبين رحمه الله من خلال كلامه بعض أنواع الطواغيت من هذه الأمة والتي تتفق هي وجميع أنواع الطواغيت في الأمم السابقة في محاربة دين الله

---

(١) سورة الأنبياء [٢٩].

(٢) الدرر السنية (١/١٦١.١٦٢.١٦٣).

(٣) الدرر السنية (١/١٣٦).

(٤) الدرر السنية (٢/١٢٢).

(٥) فتح المجيد (٢/٦١٨).

والصد عن سبيله، وهذا ديدنها في كل زمان ومكان.

وقال العلامة سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ: ((وحاصله: أن الطاغوت ثلاثة أنواع؛ طاغوت حُكْمٍ وطاغوت عِبادةٍ وطاغوت طاعةٍ ومُتَابعةٍ))[١].

وبعد ذكر كلام أهل العلم -رحمهم الله- في أنواع الطاغوت يتضح أن الطاغوت ينقسم قسمين: -

طاغوت حسي وطاغوت معنوي.

الأول: طاغوت حسي وهذا ينقسم قسمين:-

١- طاغوت يَعقِل، وهو مَنْ يرضى أن يُعْبد من دون الله كفرعون وأشباهه من الطواغيت.

٢- وطاغوت لا يعقِل؛ كالأصنام والجمادات والقبور وغيرها التي تُعبد من دون الله.

الثاني: طاغوت معنوي:

كالقوانين الوضعية والأفكار والآراء التي تُجْعل وتُتَّخذ لمصادمة نصوص الكتاب والسنة، مثل قولهم: إن النصوص لا تفيد علمًا ولا يقينًا، وغيرها من الطواغيت المعنوية كثير جداً. هذا -والله تعالى- أعلم.

---

(١) الدرر السنية (١٠/٥٠٣).

المطلب الأول: ضابط هذا النوع

لقد تفرد الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال التي لا ينازعه فيها أحد من خلقه على الإطلاق كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأخبر أن المثَل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كُلِّها له وحده، ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعل تفضيل أي أعلى من غيره.... والمثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الربُّ تعالى هو الأعلى ووَجْهُه الأعلى وكلامه الأعلى وسَمْعُه الأعلى وبَصَرُه وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى، وكان أحقَّ به من كلِّ ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، يستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلىِ مِثْلٌ أو نَظِير. وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة. ونظير هذا القهر المطلق مع الوحدة فإنهما متلازمان فلا يكون القهار إلا واحداً إذ لو كان معه كُفْؤٌ له فإن لم يقهره لم يكن قَهَّاراً على الإطلاق وإن قهره لم يكن كُفْؤًا وكان

---

(١) سورة الروم [٢٧].

القهار واحداً، فتأمل كيف كان قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١].

وقوله ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[٢] من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله سبحانه»[٣].

وبهذه الآية وغيرها من الآيات التي تدل على اتصاف الله بصفات الكمال يُعلم تفرد الله سبحانه وتعالى من جميع الوجوه بصفات الكمال، وهذا الأمر هو ما حرص سلفنا الصالح على تقريره واعتقاده لدى عامة الناس حتى أصبح منهجاً لأهل السنة والجماعة يمتازون به عن منهج أهل الأهواء والبدع من المتكلمين وغيرهم الذين لا يصفون الله بصفات الكمال، وممن حكى مذهب السلف وقَرَّره شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «ولهذا كان مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه، مُنَزَّه عن صفات النقص مطلقاً و مُنَزَّه عن أن يماثله غيره في صفات كماله، فهذان المعنيان جمعا التنزيه وقد دلَّ عليهما قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فالاسم (الصمد) يتضمن صفات الكمال والاسم (الأحد) يتضمن نفي المثل»[٤].

---

(١) سورة الشورى [١١].

(٢) سورة الروم [٢٧].

(٣) الصواعق المرسلة (٣/١٠٣٠-١٠٣١).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٣٢٩).

ومع تقرير السلف لهذا الأمر لم يغفلوا دفع شبهة أن الاتفاق في المسمَّيات يقتضي التشبيه، بل أثبتوا للخالق صفاتٍ تليق به وللمخلوق صفاتٍ تليق به، وأن الاشتراك في الألفاظ لا يلزم منه الاشتراك في المسميات.

ولقد تصدى علماءُ السلف لهذه الشبهة ومنهم الإمام أبو نصر السجزي[1] رحمه الله حيث قال: ((والأصل الذي يجب أن يعلم أن اتفاق التسميات لا يوجب اتفاق المتسمّين بها، فنحن إذا قلنا: إن الله موجود رؤوف واحد عليم سميع بصير متكلم، وقلنا إن النبي ﷺ كان موجوداً حيّاً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً لم يكن ذلك تشبيها ولا خالفْنا به أحدًا من السلف والأئمة))[2].

وبهذا تظهر وسطية أهل السنة والجماعة فهم في باب الأسماء والصفات وسط بين أهل التعطيل والتشبيه فهم لم يعطلوا الخالق عن صفاته التي تليق به وفي المقابل لم يشبّهوا صفات المخلوق، بل يثبتون للخالق صفات تليق بعظمته وجلاله وللمخلوق صفات تليق بضعفه وعجزه، وليس للمخلوق حق في منازعة الخالق في شيء من صفاته، بل هذا يعد من الكفر الأكبر، والضلال والطغيان ومجاوزة الحد الشرعي الذي أمر الله سبحانه

---

(١) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري السجزي شيخ السنة وشيخ الحرم، مصنف كتاب الإبانة الكبرى في الرد على الجهمية والمعتزلة، توفي -رحمه الله- بمكة في محرم سنة ٤٤٤هـ، [سير أعلام النبلاء (١٧/٦٥٤-٦٥٧). برقم (٤٤٥)].

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/٨٩).

وتعالى بامتثاله قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ((فمن قال إن علم الله كعلمي أو قدرته كقدرتي أو كلامه مثل كلامي أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي أو استواءُه على العرش كاستوائي أو نزوله كنزولي أو إتيانه كإتياني ونحو ذلك فهذا قد شبَّه الله ومثَّله بخلقه تعالى الله عما يقولون وهو ضالّ خبيث كافر))(١).

وهذا من أعظم الافتراء والكذب على الله لأنه ادعى صفات الخالق وتسربل بسربال النقص والذم؛ لأن هذا لا يجوز في حقه، بينما هو جائز في حق الخالق فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب المدح والثناء على النفس، وهو أهل لذلك وله الكبرياء والعظمة وهذا من صفات كماله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ((والتعالي والتكبر والثناء على النفس وأمر الناس بعبادته ودعائه والرغبة إليه ونحو ذلك مما هو من خصائص الربوبية هذا كمال محمود من الرب تبارك وتعالى، وهو نقص مذموم من المخلوق وهذا كالخبر عما هو من خصائص الربوبية كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾(٢)... وأمثال هذا الكلام الذي يذكر الرب فيه عن نفسه بعض خصائصه، وهو في ذلك صادق في إخباره عن نفسه بما هو من نعوت الكمال هو أيضاً من كماله فإن بيانه لعباده وتعريفهم ذلك هو أيضاً من كماله وأما غيره فلو أَخْبَرَ بمثل ذلك عن نفسه

---

(١) الفتاوى (١١/٤٨٢).

(٢) سورة طه [١٤].

لكان كاذباً مفترياً والكذب من أعظم العيوب والنقائص»[١].

فمن ادعى من المخلوقين أي صفة من صفات الخالق فهو كاذب مفتر على الله، بل هو طاغوت ضالّ خبيث؛ لأنه تجاوز حده في الطغيان فضابط هذا النوع يكون بمجاوزة المخلوق حده الشرعي وادعائه أيَّ صفة من صفات الكمال التي تفرد الله تبارك وتعالى، فبهذا يصبح العبدُ طاغوتاً؛ لأنه تعدى وتجاوز حدّه الشرعي. ومن هنا تظهر قوة العلاقة بين المعنى اللغوي للطاغوت ومعناه في هذا النوع لأن الجامع بينهما هو مجاوزة الحد والله أعلم.

---

(١) الفتاوى (١٣٨/٦).

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله ﷻ بصفات الكمال

لقد تفرد الله ﷻ بصفات الكمال من كل الوجوه فهو ﷻ له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله منزه عن الشبيه والمثيل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولا إله إلا الله الذي في شرعه أعظم آية تدل على تفرده بالإلهية وتوحده بالربوبية وأنه الموصوف بصفات الكمال المستحق لنعوت الجلال الذي له الأسماء الحسنى والصفات العُلى وله المثل الأعلى فلا يدخل السوء في أسمائه ولا النقص والعيب في صفاته ولا العبث والجور في أفعاله بل هو منزه في ذاته وأوصافه وأفعاله وأسمائه عما يضاد كماله بوجه من الوجوه»[١].

فهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله ﷻ حيث يثبتون له الكمال المطلق وينزهونه عن مشابهة المخلوق استنادًا على الكتاب والسنة بناء على فهم سلف الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وطريقة سلف الأمة وأئمتها: أنهم يصفون الله بما وصف به نَفْسَه وبما وَصَفَه به رسولُهُ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل؛ إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوق قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا رد على الممثّلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطّلة.

---

(١) إعلام الموقعين (٣/١٦٢).

فقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله ﷻ منزه عن صفات النقص مطلقاً كالسِّنَةِ والنوم والعجز والجهل وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات»[(١)].

ولا مجال عندهم لتقديم العقل على النقل، كما هو حال المتكلمين وغيرهم من أهل الضلالة والبدع الذين جعلوا العقل حاكماً على الكتاب والسنة فما أقره العقل فهو الحق المقبول عندهم وما نفاه العقل فهو الباطل المردود، وهذا الاعتقاد هو أحد أنواع الطواغيت المعنوية التي يُهْدَم الدين بها، ولهذا يقوم اعتقاد أهل السنة في باب الأسماء والصفات على ثلاثة أسس رئيسة استنبطها أهل العلم من نصوص الكتاب والسنة يحسن ذكرها قبل الشروع في ذكر الأدلة على صفة الكمال لله وهي:-

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نُصوصُ القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتاً ونفياً.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يُشْبِه شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات[(٢)].

---

(١) منهاج السنة (٢/٥٢٣).

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص/٧١). وما بعدها.

فهذه الأسس الثلاثة التي ذكرها أهل العلم -رحمهم الله- هي التي تميز عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات عن غيرها من العقائد.

ولقد دلت الأدلة على تفرد الله ﷻ بصفات الكمال ومنها قوله تعالى ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((والذي يجب القطع به أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعاً))[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((هذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل؛ أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكُلَّما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته))[3].

ومن الأدلة على إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى قوله:

---

(١) سورة الشورى [١١].

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٥٧٨).

(٣) حادي الأرواح (ص/٢٠٣).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((فسورة (قل هو الله أحد): متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال التي لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية وغناه وأحديته ونفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير. فتضمنت هذه السورة إثباتَ كلَّ كمالٍ له ونَفْيَ كلِّ نقص عنه ونفي إثبات شبيه أو مثيل له في كماله ونفي مطلق الشريك عنه وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك))[2].

ولقد دل القرآن الكريم على ثبوت معنى الكمال لله سبحانه، وهذا المعنى فطر عليه الناس، فهم مُقِرُّون بأن الخالق له الكمال المطلق من كل الوجوه، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وثبوت معنى الكمال قد دلّ عليه القرآن بعبارات متنوعة دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد لله وتفصيل محامده وأن له المثل الأعلى وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك كله دال على هذا المعنى.

---

(١) سورة الإخلاص [١-٤].

(٢) زاد المعاد (٤/١٨٠)، بدائع الفوائد (٥/٣٦٨).

وقد ثبت لفظ الكمال فيما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[1] في تفسير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أن الصمد هو المستحق للكمال وهو السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكم الذي قد كمل في حكمه، والغنى الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الشريف الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه وتعالى.

وهذه صفة لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ ولا كمثله شيء وهكذا سائر صفات الكمال، ولم يُعلَم أحد من الأمة نازع في هذا المعنى؛ بل هذا المعنى مستقر في فطر الناس بل هم مفطورون عليه فإنهم كما أنهم مفطورون على الإقرار بالخالق فإنهم مفطورون على أنه أجل وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء»[2].

فالأدلة التي تقرر إثبات صفات الكمال لله تعالى تتضمن الكفر بالطاغوت فالعلاقة وثيقة لأن إثبات الكمال يوجب على العبد الكفر بما سواه من الطواغيت وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له، وقد وضَّح هذا الأمر شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ما ذكر الأدلة الدالة على إثبات صفات الكمال لله تعالى حيث قال: «والله سبحانه وتعالى لم يذكر هذه

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/٣٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٧٢).

النصوص لمجرد صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون من سواه، فأفاد الأصلين اللذين بهما يتم التوحيد وهما:

١- إثبات صفات الكمال ردًا على أهل التعطيل.

٢- وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو ردًا على المشركين»[1].

وبعد هذا العرض لبعض الأدلة من القرآنً التي تدل على تفرد الله ﷻ بصفات الكمال وأنه لا منازع له ﷻ في كماله وسؤدده، وأن الغاية من ذكر هذه الأدلة ليس مجرد أن الله متصف بالكمال فقط، بل الغاية من ذكرها هو أن المتفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأن يكفر بكل ما سواه من الطواغيت والآلهة والأنداد، فهذه الغاية العظمى التي من أجلها خَلَق الخلق، والتي تضمنتها أدلة إثبات الكمال لله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/٨٣).

المطلب الثالث: وجه تسمية من ادعى صفة من صفات الله طاغوتًا

لقد شرَّف الله بني آدم وكرَّمهم بأن خلقهم لعبادته كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١) فإطلاق اسم العبودية على بني آدم شرفٌ يفتخرون به كيف لا وقد سمَّى به الرب ﷻ أفضل الخلق وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(٢) وكذلك سمَّى به أفضلَ خلقه نبينا محمدًا ﷺ، كما قال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾(٣) فإطلاق هذا الاسم على العبد مقيد بالتزام حدود الله التي بينها على لسان رسوله ﷺ.

ومن المعلوم عند أهل العلم أن العبودية تنقسم قسمين عبودية عامّة وخاصّة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «العبودية نوعان عامّة وخاصّة؛ فالعبودية العامة: عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله بَرّهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ

---

(١) سورة الذاريات [٥٦].

(٢) سورة ص [٤٥].

(٣) سورة الكهف [١].

وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[1].

فهذا يدخل فيه مؤمنُهُم وكافرُهُم وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾[2] فسماهم عباده مع ضلالهم، لكن تسمية مقيدة بالإشارة، وأما المطلقة فلم تجيء إلا لأهل النوع الثاني كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[3] وقال: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[4] وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾[5] فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾[6] وقال ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟

---

(١) سورة مريم [٨٨-٩٣].

(٢) سورة الفرقان [١٧].

(٣) سورة الزمر [٤٦].

(٤) سورة غافر [٣١].

(٥) سورة غافر [٤٨].

(٦) سورة الزخرف [٦٨].

ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[1] وقال ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[2]..... فالخلق كلهم عبيد ربوبيته. وأهلُ طاعته وولايته: هم عبيد إلاهيته ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقاً إلا لهؤلاء»[3]. فالعبودية العامة التي هي عبودية القهر والملك باقية على العبد حتى لو تجاوز الحدود الشرعية لأنه يشترك فيها المؤمن والكافر.

وأما العبودية الخاصة فتسلب من العبد إذا تجاوز حدَّه الشرعي وطغى في الكفر والضلال وتسربل بسربال الطاغوتية، كأنْ يدَّعي صفة من صفات الله تعالى الذي توعد الله ﷻ من نازعه فيها بالعذاب، كما ثبت ذلك في السنة المطهرة وأقوال أهل العلم -رحمهم الله- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وله من الأمور التي يستحق بها الكبرياء والعظمة ما هو من خصائصه تبارك وتعالى فالكبرياء والعظمة له بمنزلة كونه حياً قيوماً قديماً واجباً بنفسه وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه العزيز الذي لا يُنَال وأنه قَهَّارٌ لكلّ ما سواه، فهذه كلُّها صفاتُ كمال لا يستحقها إلا هو -سبحانه- فما لا يستحقّه إلا هو كيف يكون كمالاً من غيره وهو معدوم

---

(١) سورة الزمر [١٧-١٨].

(٢) سورة الفرقان [٦٣].

(٣) مدارج السالكين (١/١١٨-١١٩).

لغيره؟ فمن ادعاه كان مفترياً منازعاً للربوبية في خواصها، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما عذّبته»[1].

وجملة ذلك: أن الكمال المختص بالربوبية ليس لغيره فيه نصيب، فهذا تحقيق اتصافه بالكمال الذي لا نصيب لغيره فيه، ومثل هذا الكمال لا يكون لغيره فادعاؤه منازعة للربوبية وفرية على الله»[2].

فدل الحديث على أنه لا يجوز للعبد منازعة الخالق في أي صفة من صفاته وأن المنازع له ﷻ مستحق للعذاب لمجاوزته حد العبودية الخاصة، فكلُّ مَنْ نازع الله في شيء من خصائصه فهو طاغوت متعدٍّ، فبهذا يظهر وجه تسميته بالطاغوت؛ لأنه تجاوز حدّه وتعدّى وادَّعى صفات الخالق والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر (٣٨٩/١٦ شرح النووي)، رقم (٦٦٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٨/٦-١٣٩).

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أمثلة لمن ادعى صفة من صفات الله.

المطلب الثاني: أمثلة لمن نُسب إليه صفة من صفات الله.

المطلب الأول: أمثلة لمن ادعى صفة من صفات الله

لقد بَيَّن الله ﷻ في كتابه العزيز أحوال أهل الجنة وأهل النار ومصير كلِّ فريق منهم وبيَّن الأسباب التي بها يحصل العبد على رضاه، ألا وهي إفراده بالعبادة دون من سواه، كما بيَّن الأسباب التي يحصل بها سخطه وغضبه؛ فمن أعظمها ادعاء حق الخالق الذي تفرد به سواء في أسمائه أو صفاته أو ذاته أو أفعاله، ولا يفعل هذا إلا طواغيت البشر الذين استزلهم الشيطان وأجلب عليهم بخيله ورَجْله فأخرجهم من منزلة العبودية التي خلقوا من أجلها إلى الارتكاس في الشرك، وجنسهم كثير على مدى تاريخ البشرية وقد بيَّن لنا ربنا ﷻ بعض قصصهم في القرآن الكريم كفرعون ونمرود وغيرهما، ودون لنا علماء التاريخ سيرهم وأخبارهم من أول طاغية في الأمة الإسلامية إلى وقتنا الحاضر وسوف أذكر بإذن الله بعض الأمثلة التي توضح المقصود.

المثال الأول:

أحد حكام دولة بني عبيد الفاطمية وهو المعز[1] الذي اجتمع فيه كل شر الذي يقول شاعرهم:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكُم فأنت الواحد القهار

وكأنما أنت النبيُّ محمدٌ وكأنما أنصارَك الأنصارُ

---

(١) هو المعز لدين الله أبو تميم معد بن منصور القائم العبيدي، ولد سنة ٣٤١هـ، أعلن الأذان في الشام ومصر (بحي على خير العمل) مات سنة ٣٦٥هـ، [المنتظم (٧/٨٢-٨٣). وسير أعلام النبلاء (١٥/١٥٩-١٦٧)].

أنت الذي كانت تبشرنا به ... في كُتْبها الأحبَار والأخْبَارُ[١]

إلى آخر ما قال نعوذ بالله من الضلال، وأيُّ كُفْرٍ بعد هذا.

وقال مصطفى غالب وهو إسماعيلي: ((الإسماعيلية يَعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليهم وجه الله ويدَ الله وجَنْبَ الله وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم إلى غير ذلك من الصفات))[٢].

المثال الثاني: بعض السحرة الذي أصبح له أتباع وأفسد في بلاد المسلمين وهو من يدعى: المقنع كما ذكره الإمام الذهبي[٣] رحمه الله بقوله: ((هو عطاء المقنع الساحر العجمي الذي ادعى الربوبية من طريق التناسخ وربط الناس بالخوارق والأحوال الشيطانية والأخبار عن بعض المغيبات، حتى ضَلَّ به خلائق من الصم والبكم، وادعى أن الله تحول إلى صورة آدم ولذلك أمر الملائكة بالسجود له وأنه تحول إلى صورة نوح ثم إبراهيم وإلى حكماء الأوائل ثم إلى صورة أبي مسلم صاحب الدعوة ثم إليه فعبدوه وحاربوا دونه

---

(١) انظر: ديوان ابن هانئ، (١/٣٦٥).

(٢) الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب (ص/٤٠).

(٣) الإمام الحافظ علم النقاد وخاتمة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي المشهور بالذهبي ولد سنة ٦٧٣هـ، من مصنفاته ميزان الاعتدال وسير أعلام النبلاء، توفي سنة ٧٤٨هـ، [طبقات الشافعية للسبكي (٩/١٠٠). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص/٥٤٧-٥٤٨) برقم (١١٤٦)].

مع ما شاهدوا من قبح صورته وسماجة وجهه المشوَّه..))[1].

فهذه أمثلة لبعض الطواغيت الذين أفسدوا في البلاد والعباد، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) سير أعلام النبلاء (٧/٣٠٦-٣٠٧).

المطلب الثاني: أمثلة لمن نُسب إليه صفة من صفات الله

لقد نسَبَ أهل الزيغ والضلال من أهل البدع والانحلال بعضَ صفات ذي الجلال إلى بعض عباده المتقين، وهم منها براء، وما ذاك إلا ترويجٌ لمذهبهم الباطل ودعمه بالأكاذيب على هؤلاء الأتقياء، كما تفعل الإسماعيلية والإثنى عشرية في دعواهم أن آل بيت النبي ﷺ يعلمون الغيب ويفرّجون الكربات وغير ذلك من الأمور العظام التي ستتضح من خلال ذكر بعض أقوالهم في آل البيت -رحمهم الله أجمعين-.

وجاء في كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ما نصه: ((فأخبرَ -جل ثناؤه- أن مغفرته لمن ظلم نفسه لا تكون إلا من قِبَل أوليائه؛ إذْ هم أبواب رحمته وأسباب مغفرته لعباده ومن استشفع بهم شُفِّع ومن استرحم بهم رُحِم ومن توسَّل بهمَ وَصل، والذي جعل الله ﷻ من ذلك لرسوله -صلى الله عليه وعلى آله- فهو لمن وصل طاعته بطاعة الأئمة من أهل بيته، ولو لم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله ﷻ عن عباده وارتفعت مغفرته لخلقه وسدّت أبواب التوبة دونهم وعدموا عفوه عنهم...))[1].

وهذا القول من أبطل الباطل ولا يدعيه عاقل فكيف بمن عرف منه التقى والصلاح؟ ولكن أبى أهلُ الضلال إلا فضيحة معتقداتهم الباطلة وترويج أكاذيبهم والغلو في آل البيت حتى وصفوهم بصفات الخالق وهم برآء منهم.

---

(١) للقاضي النعمان (ص/٥٠-٥١). انظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص/٣٧٢).

الفصل الثاني: من ادعى الربوبية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضابط هذا النوع.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع.

المبحث الأول: **ضابط هذا النوع وأدلته، وفيه ثلاثة مطالب**:

المطلب الأول: ضابط هذا النوع.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بالربوبية.

المطلب الثالث: وجه تسمية من ادعى الربوبية طاغوتاً.

المطلب الأول: ضابط هذا النوع

لقد أقرَّ بتوحيد الربوبية أغلبُ الخلق ولم ينازع فيه إلا مكابرٌ؛ لأن الخلق فُطِروا على توحيد الله والإقرار به كما دل على هذا قول الرسول ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه))[١].

ومما يدل على إقرار الناس بتوحيد الربوبية قوله تعالى عن الرسل -عليهم السلام- الذين بعثوا إلى الأمم السابقة ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطَبين وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار))[٣].

فبهذا يتضح أن الإقرار بتوحيد الربوبية فطرة في النفس البشرية، ولكن منهم من وفقه الله واتبع الرسل فعلم أنه لا ينفع ولا يضرّ ولا يعطِي ولا يمنع ولا يُعِزّ ولا يذِلّ ولا يَخلق ولا يَرزق ولا يُحيي ولا يُميت إلا الله -سبحانه وتعالى- فأقر بربوبية الله وأفرده بأفعاله ولم يجعل له شريكاً فيها، ومع هذا لا ينفعه هذا التوحيد إذا لم يلزم منه توحيد العبادة الذي هو غاية إرسال الرسل، فتوحيد الربوبية هو المدخل إلى توحيد الألوهية كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم:

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي.. (٣/٢٧٩).

(٢) سورة إبراهيم [١٠].

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٤١).

حيث قال: ((فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية أي باب توحيد الإلهية: هو توحيد الربوبية، فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عبادَه في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ويحتج عليهم به ويقرّرهم به))[1].

فيجب على العبد إفراد الله بالربوبية، التي تستلزم إفراده بالألوهية وأن لا ينازع الله في أي خِصِّيصة من خصائص الربوبية؛ لأنه مخلوق عاجز ليس له أمر ولا خلق ولا إحياء ولا إماتة، فإذا ادعى شيئًا مما تفرد الله به في أفعاله التي لا ينازعه فيها أحد، فهو بهذا الادعاء يصبح طاغوتاً، لأنه تجاوز حدَّه وادَّعى صفة من صفات الربوبية، ومما يوضح هذا الضابط قول العلامة سليمان بن عبد الله: عند حديثه عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[2] حيث قال: ((واعلم -رحمك الله- أن هذه الآية لا ينتفع بها إلا من مَيَّز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الإلهية تمييزًا تامًا وَعَرف ما عليه غالب الناس؛ إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل إليه شركُ المشركين، وإمّا مصدِّق لهم تابع لهم، وإما شاكّ لا يدري ما

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٤٣).

(٢) سورة الكهف [١١٠].

أنزل الله على رسوله ولا يميِّز بين دين الرسول ﷺ وبين دين النصارى»[١].

وبهذا يتضح سبب إطلاق لفظ الطاغوت على من ادّعى صفة من صفات الربوبية وأن الضابط فيها هو مجاوزة المخلوق حدَّه الذي أُمر بالوقوف عنده، والله أعلم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٢٦).

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بالربوبية

لقد خَلَق الله العباد وأودع في فطرهم الإقرار بربوبيته وأخذ عليهم الميثاق وهم في صُلْب أبيهم آدم بأنه المتفرد بالربوبية وأنه لا ربَّ سواه، وهذه الفطرة السليمة يوافقها العقل السليم فالإنسان صاحب العقل السليم يقر بأن هناك رَبًّا وخالقاً؛ لأن هذا الكون وما فيه من أفلاك وكواكب وما يحدث في سيرها من دقة وانتظام من أعظم الأدلة على تفرد الله بالربوبية، وأنه لا بدَّ لها من خالق أوجدها، وكذلك خَلْق الإنسان الذي أمرنا الله بالتفكر فيه من أعظم الأدلة الدالة على تفرد الله بالربوبية. وقد بين الله ﷻ ذلك كلَّه في كتابه العزيز؛ فتارة يذكر تفرده بالربوبية بدليل الفطرة وتارة بالحث على التفكر في آياته ومخلوقاته الكونية وتارة بالحث على التفكر في خلق النفس البشرية، إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة الدالة على تفرد الله بالربوبية وهذا أمر لايحتاج إلى دليل.

ولله دَرُّ شيخ الإسلام ابن تيمية عندما يقول: «كيف يطلب الدليل على من هو دليل كل شيء، ويتمثَّل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيءٌ ... إذا احتاج النهارُ إلى دَليلِ[1].

وقبل الشروع في ذكر الأدلة لا بد من الإشارة إلى أنواع الربوبية، فربوبية الله على خلقه تنقسم قسمين ربوبية عَّامة ويدخل فيها جميعُ

---

(١) نقله عنه تلميذه ابن القيم. مدارج السالكين (١/٧١)، والبيت للمتنبي، انظر ديوان المتنبي (ص ٣٤٣).

المخلوقات وربوبية خاصَّة، ويدخل فيها عباده المؤمنون وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الربوبية بنوعيها العامّ والخاصّ.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَثُر في القرآن ذِكْر ربوبية الربِّ لعباده ومتعلقاها ولوازمها وهي على نوعين:

ربوبية عامة تدخل فيها المخلوقات كلُّها بَرُّها وفاجرها، بل مكلَّفوها وغيرُ المكلفين حتى الجمادات، وهي أنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وتدبيرها وإعطائها ما تحتاجه أو تضطر إليه في بقائها وحصول منافعها ومقاصدها فهذه التربية لا يخرج عنها أحد.

والنوع الثاني في تربيته لأصفيائه وأوليائه فيربيهم بالإيمان الكامل ويوفقهم لتكميله ويكملهم بالأخلاق الجميلة ويدفع عنهم الأخلاق الرذيلة وييسرهم لليسرى ويجنبهم العسرى وحقيقتها التوفيق لكل خير والحفظ من كل شر وإنالة المحبوبات العاجلة والآجلة وصرف المكروهات العاجلة والآجلة، فحيث أُطلِقت ربوبيته -تعالى- فإن المراد بها المعنى الأول مثل قوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(١)]﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[(٢)] ونحو ذلك وحيث قُيّدت بما يحبه ويرضاه أو وقع السؤال بها على الأنبياء وأتباعهم في القرآن بلفظ الربوبية غالباً فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، ليلحظ العبد هذا المعنى النافع»[(٣)].

---

(١) سورة الفاتحة [١].

(٢) سورة الأنعام [١٦٤].

(٣) القواعد الحسان (ص/١١٧-١١٨).

وبهذا يتضح لنا معنى ربوبية الله على خلقه الخاصّ منها والعامّ، مما يزداد به العبد إيماناً ويقيناً على تفرد الله بالربوبية. وهذا أوان الشروع في ذكر الأدلة:

فمن أدلة الفطرة الدالة على ربوبية الله:

١- قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكَمَّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فَطَر خَلْقَه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره))(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(٣).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربُّهم ومليكُهم، وأنه لا إله إلا هو،

---

(١) سورة الروم [٣٠].

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٢).

(٣) سورة الأعراف [١٧٢].

كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجَبَلَهم عليه[١].

فهذه الأدلة تدل دلالة صريحة على أن الناس فُطِروا على معرفة الله وتوحيده ومن الأدلة الدالة على تفرده بالربوبية النظر والاعتبار والتفكر في آيات الله الكونية، كما قال تعالى:

١ – ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية (إن في خلق السموات والأرض): ((تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها... واختلاف الليل والنهار وهذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة ... (لآيات لقوم يعقلون) أي في هذه الأشياء دلالاتٌ بيّنة على وحدانية الله تعالى))[٣].

وللإمام ابن القيم كلام قيم في آيات الله الكونية فقال: عن السموات ما نصه: ((وكل ما تحت السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر،

(١) تفسير ابن كثير (١٧٢/٢).

(٢) سورة البقرة [١٦٤].

(٣) تفسير ابن كثير (٢٠٧/١).

ولهذا قلّ أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها إما إخبارًا عن عظمتها وسعتها وإما إقسامًا بها وإما دعاء إلى النظر فيها وإما إرشادًا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها.. وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته، وأنَّه الله الذي لا إله إلا هو»[(١)].

ومما قاله عن آية الليل والنهار: «ومن آياته ﷻ الليل والنهار وهما من أعجب آياته وبدائع مصنوعاته، ولهذا يعيد ذكرهما في القرآن ويبديه كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾[(٢)]..فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنتاه من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته»[(٣)].

ومن الأدلة الدالة على تفرده بالربوبية أمره سبحانه بالنظر والتفكر في خلق الإنسان الذي يتوصل به العبد على الإقرار بوحدانية الله، فمن الأدلة قوله تعالى ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[(٤)].

قال الإمام ابن القيم: حول الآيات التي فيها الأمر بالتفكر في خلق الإنسان: «وهذا كثير في القرآن الكريم يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خَلْقِه ووَسَطِه وآخِرِه إذْ نفسُه وخَلْقُه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره»[(٥)].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢٤).

(٢) سورة فصلت [٣٧].

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/٣٩).

(٤) سورة الذاريات [٢١].

(٥) مفتاح دار السعادة (٢/٦).

ومن أدلة السنة المطهرة قوله ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جَمَّاء هل تحسون فيها من جدعاء))[(١)].

وبعد ذكر الأدلة من القرآن والسنة التي يتضح لكل عاقل تفرد الله ﷻ بالربوبية وأنه لا منازع له في ذلك، كما دلَّت عليه دلالة الفطرة ودلالة التفكر في الآيات الكونية ودلالة النفس البشرية في خلقها وتكوينها مما لا يدع مجالاً للضلال في هذا الأمر إلا من طَمَس اللهُ على قلبه وبصره والله الهادي إلى سواء السبيل.

وقبل أن نختم هذا المطلب يحسن ذكر بعض أقوال أهل العلم على تفرد الله بالربوبية وأنه لا ربَّ سواه، بذكر إقرار أفراد جميع أهل الملل والنحل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((ومعلوم أن أحداً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله في خَلْق السموات والأرض، بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلهاً مساويًا لله في جميع صفاته.

وقد ذكر أرباب المقالات: ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ولا مماثل له في جميع الصفات))[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (ص/٢٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٦٦).

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله : «وهو تعالى لا خالق سواه، هذا مِمَّا أجمع عليه أهلُ المِلل كلِّها، فلم ينكر أحد أنه خالق لجميع المخلوقات»[١].

وبعد هذا العرض للأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم التي يتضح من خلالها تفرده سبحانه بجميع خصائص الربوبية، وأنه لا منازع له في ذلك، ومن ادَّعى أي صفة من صفات الربوبية فهو طاغوت كَذَّاب؛ لأن المتفرد بذلك هو الله جل جلاله.

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق (ص/٦٨).

المطلب الثالث: وجه تسمية من ادعى الربوبية طاغوتاً

إن إيمان العبد بتوحيد الربوبية الذي هو إفراد الله بأفعاله الذي يتوصل به إلى توحيد الألوهية وإفراده بالعبادة دون من سواه يلزم منه الاعتقاد بأن الله المتفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة كما قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾(١).

وقال تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٢).

إلى غير ذلك من صفات الربوبية التي اختص بها سبحانه وتعالى لا ينازعه فيها مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبي مرسل، فمن هذا الأساس وجب على العبد عدم منازعة الخالق في صفاته أو ادعاء أي صفة من صفات الربوبية؛ لأن هذا الفعل يخرجه من الحدّ الشرعي الذي حدَّه اللطيف الخبير العالم بأحوال عباده وما يصلحهم في دنياهم وأُخراهم؛ فالالتزام بهذا الحد مما يوجبه الاعتقاد الصحيح الذي دلت نصوص الكتاب والسنة؛ لأن الأصل في بعثة الرسل هو إفراد الله بتوحيد العبادة المتضمن إفراده بتوحيد الربوبية، فإذا جاوز العبد ما يتضمنه هذا الأصل كأن يدعي بأنه يَخلق أو يرزق أو يتصرف في الكون،

---

(١) سورة الأعراف [٥٤].

(٢) يونس [٣١].

أو يدَّعي أيَّ صفة من صفات الربوبية فبسبب هذا الادعاء والفعل يصبح طاغوتاً؛ لأن المنازع لله في ربوبيته طاغوت، كما ذكر ذلك أهل العلم - رحمهم الله- عن الطواغيت التي خالفت هذا الأصل العظيم وتسلك غير سبيل المؤمنين.

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته ويدعو الناس إلى عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان...»[1].

فبهذا يتضح بيان العلة والسبب التي من أجلها أُطْلِق على من تجاوز حدَّه وادَّعى صفات الربوبية طاغوتاً؛ لكونه جاوز حدَّه الشرعي الذي أُمر بالوقوف عنده.

ومما يزيد الأمر إيضاحاً فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء التي أوضحت فيها بعض الأسباب التي يطلق على فاعلها أنه طاغوت، فقد سُئلت اللجنة السؤال التالي: متى نفرد شخصًا باسمه وعينه على أنه طاغوت؟

فأجابت: إذا دعا إلى الشرك أو لعبادة نفسه أو ادعى شيئاً من علم الغيب أو حكم بغير ما أنزل الله متعمِّداً ونحو ذلك..[2].

---

(١) فتح المجيد (٢/٦١٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٨٥)، وقَّع على هذه الفتوى كل من الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- رئيسًا وعضوية عبد الرزاق عفيفي وعبد الله بن غديان وعبد الله بن قعود رحمهم الله جميعاً.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أمثلة لمن ادَّعى الربوبية.

المطلب الثاني: أمثلة لمن نُسِب إليه شيء من صفات الربوبية.

المطلب الأول: أمثلة لمن ادّعى الربوبية

لقد بيَّن الله لنا ﷻ في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم ما أوجبه علينا من توحيده وإفراده بالعبادة وجزاء من قبل هذا التوحيد ومصير من رَدَّه من الطواغيت الذين ذكرهم الله في كتابه وأبطل حججهم على أيدي رسله الذين بعثوا بالتوحيد، ومن هؤلاء الطواغيت الذين ادعوا الربوبية النمرود الذي حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(١)].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «معناه هل انتهى إليك خبر الذي حاجَّ إبراهيم، أي خاصَمَ وجادَلَ وهو نمرود، وهو أوّلُ من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية»[(٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره وطول مدته في الملك»[(٣)].

---

(١) سورة البقرة [٢٥٨].

(٢) تفسير البغوي (١/٣١٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٣٢١).

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «(ألم تر) أي إلى جراءته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك وما حمله على ذلك إلا (أن آتاه الله الملك) فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسًا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاجَّ إبراهيم في ربوبية الله، فزعم أنه يفعل كما يفعل الله فقال إبراهيم (ربي الذي يحيي ويميت) أي هو المنفرد بأنواع التصرف وخصَّ منه الإحياء والإماتة لكونها أعظم أنواع التدابير»[١].

وبهذا يتبين إبطال دعوى هذا الطاغوت بأنه يحيي ويميت لأن هذه من خصائص الرب تبارك وتعالى القادر على كل شيء، وليست من خصائص المخلوق الضعيف العاجز ولا بد من إبطال هذه الحجة الشيطانية؛ لأن خصمه هو إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام الذي بعثه الله بالتوحيد والملة الحنيفية فكان عاقبة هذا الطاغوت كما قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

بل هي عاقبة كل الطواغيت.

وهذا طاغوت آخر يزعم أنه يحيي ويميت وكلُّ شيء ملكه بِيَدِهِ، بل تجاوز هذا كلَّه وادَّعى أنه الخالق، وهذا الطاغوت اللعين هو ابن الفارض[٣]

---

(١) تفسير ابن سعدي (ص/١١١).

(٢) سورة البقرة: [٢٥٨].

(٣) شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري الشهير بابن الفارض، ملأ كتبه كفراً وزندقة من الاتحاد والحلول، توفي سنة ٦٣٢هـ. [سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٦٨). برقم (٢٣٢)].

حيث ذكر في قصيدته الكفرية أصنافاً من الكفر والزندقة والإلحاد والضلال ومما قاله:-

ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن شهودٌ ولم تعهد عهود بذمة

فلا حيَّ إلا مَن حياتي حياتُهُ وطَوْعُ مُرَادي كلُّ نفس مريدة[1]

فهذا غيض من فيض من قصيدته الكفرية التي زعم فيها أنه الخالق والمحيي والمميت، نسأل الله السلامة والعافية، فهذا الطاغوت وإن كان يصرح بهذه الأمور ظاهرًا فهو يعلم حقيقة كذبه وأنَّه أفاكٌ أثيم، وما ذاك إلا أن الله جلَّ جلاله هتك ستره في الدنيا لكي يكون عبرة لكل طاغوت ينازع الله عز وجل في أيِّ صفة من صفاته، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أن ابن الفارض لما احتُضِر أنشد بيتين:-

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيَّعت أيامي

أمنيةٌ ظَفِرت نفسي بها زمنًا واليوم أحسِبها أضغاثُ أحلامِ

وذلك أنه كان يتوهم أنه هو الله وأنه ما ثَمَّ مردّ إليه ومرجع إليه غير ما كان هو عليه فلما جاءته ملائكة الله تنزع روحه من جسمه وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب تبيَّن له أن ما كان عليه أضغاث أحلام من الشيطان»[2].

فهذه هي حال الطواغيت الذلّ والخزي في الدنيا والنار والعذاب في الآخرة لأنهم جاوزوا الحد في الطغيان وأصبحوا من أولياء الشيطان.

---

(١) ديوان ابن الفارض (ص/٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٢٦٧-٢٦٨).

المطلب الثاني: أمثلة لمن نُسِب إليه شيء من صفات الربوبية

لقد افترى أهل الزيغ والضلال على الله جل وعلا وعلى أوليائه ووجْهُ افترائهم أنهم كذَّبوا بالقرآن الذي جاء فيه ذكر صفات الرحمن وخصائصه التي لا ينازعه فيها أحد من خلقه، ونسبوا بعض هذه الصفات لبني الإنسان وهذا من أعظم الظلم والبهتان. حيث زعموا أن علم الغيب الذي اختص به الله ﷻ يعلمه بعض البشر، وهذا واضح بطلانه، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[١] وهذا من أعظم الافتراء والكذب على الله وقد قال تعالى في المفترين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٢].

وممن افْتُرِيَ عليه الكذب وهو منه بريء الإمام جعفر الصادق[٣] رحمه الله حيث زعمت الرافضة وادعت عليه كذبًا وزُورًا أنه يعلم الغيب ومما قالوه عنه: «والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين، فقال له رجل من أصحابه: جُعِلت فداك أعندك علم الغيب؟ فقال له ويحك: إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء»[٤].

وهذا الكلام معلوم بطلانه لأن علم الغيب مما استأثر به الله ﷻ وهذا

---

(١) سورة الأنعام [٥٩].

(٢) سورة النحل [١١٦].

(٣) الإمام جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالصادق، ولد سنة ٨٠هـ صاحب الحكمة، من عباد أتباع التابعين، كذب عليه الرافضة ونسبوا إليه أشياء هو بريء منها. [السير (٦/٢٥٥-٢٧٠)].

(٤) بحار الأنوار (٢٦/٢٧-٢٨).

الإمام معلوم عند أهل السنة والجماعة براءته مما افتراه عليه أهل الزيغ والضلال الذين وصفوه بصفات الربوبية، وقد صرَّح هو بنفسه بأنه عبد الله ليس بيده ضُرٌّ ولا نفع، كما ذُكِر هذا عنه في بعض كتب الرافضة مما يثبت تناقضهم، كما هو حال أهل الباطل ومما ذكروه عنه أنه قال: «فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضرّ ولا نفع وإن رحمنا فبرحمته وإن عذَّبنا فبذنوبنا واللهِ ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله لَبَراءة وإنَّا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ويلهم ما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين .. صلوات الله عليهم .. أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ[1] وما معي براءة من الله إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذابًا شديدًا»[2].

فهذه الرواية عنه: تظهر لنا المخالفة الصريحة الواضحة لما نُسِب إليه من ادّعاء علم الغيب، فليس بغريب على أولياء الشيطان الكذب على أولياء الرحمن، فإذا كان الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لم يسلموا من الكذب عليهم فمن دونهم في المنزلة من باب أولى.

---

(١) يقصد بقوله (ولدني) أنه من ذرية فاطمة بنت الرسول ﷺ.

(٢) رجال الشيعة (ص/١٩٤).

الفصل الثالث: من ادعى الألوهيّة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع.

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ضابط هذا النوع.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بالألوهية.

المطلب الثالث: من دعا إلى عبادة غير الله.

المطلب الرابع: وجه تسمية من ادعى الألوهية طاغوتاً.

المطلب الأول: ضابط هذا النوع

إن من أعظم الطواغيت طغيانًا وكفرًا وظلمًا الذي يدعي أنه إله من دون الله كما قال تعالى عن فرعون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[١] وقال تعالى على لسانه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[٢] وهذا الادّعاء من أكبر الأدلة وأوضحها على كذب هؤلاء الطواغيت لأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم كاذبون، كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾[٣].

فهذه الآية العظيمة تبين حقيقة ادّعاء هذا الطاغوت، وأنه يعلم أنه كاذب مُفْتَرٍ على الله، وهذا ديدن الطواغيت في كل زمان ومكان.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض كلامه عن الدجَّال: «ومن أعظم ما يعرف به كَذِب المسيحِ الدجَّال أنه يدَّعي الإلهية»[٤].

وما ذاك إلا لأنهم ادعوا أمرًا شهد الله سبحانه وتعالى عليه بنفسه كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٥] مما يدل على عظم هذا الأمر وأنه متفرد به سبحانه

---

(١) سورة القصص [٣٨].

(٢) سورة النازعات [٢٤].

(٣) سورة الإسراء [١٠٢].

(٤) هداية الحيارى (١/١٤٩).

(٥) سورة آل عمران [١٨].

لا منازع له فيه وأنه المعبود بحق وغيره معبود بالباطل كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[١].

فأعظم أعداء الله هم الطواغيت بشتى أنواعهم لأنهم يصدون العباد عن عبادة ربهم يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وكل من ادَّعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله))[٢].

بل إن الله توعد كلَّ من ادَّعى الألوهية بالعذاب الشديد يوم القيامة كما جاء بيانه في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣].

ومما يدلّ على عظم هذا الأمر أن من اعتقد في بشر أنه إله من دون الله فإنه يُقْتَل، فكيف بمن يدَّعي أنه إله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فمن اعتقد في بشر أنه إلهٌ أو دعا ميّتًا أو طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكَّل عليه أو سجد له فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضُرِبت عنقه))[٤].

فصفة الألوهية مما تفرد الله بها لا ينازعه فيها لا مَلَك مُقَرَّب ولا نبي مرسَل؛ لأنها من خصائصه -عزَّ وجلَّ- وليس للمخلوق حق في أن يتعدى

(١) سورة الحج [٦٢].

(٢) هداية الحيارى (١/١٤٩).

(٣) سورة الأنبياء: ٢٩.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٤٢٢).

وينازع الله هذه الصفة، بل ولا ينازعه في فرد من أفرادها كالدعاء أو الاستعانة أو غيرها من أفعال العباد التي أمروا أن يفردوا الله بها دون من سواه، فمن المعلوم بالضرورة أن الخالق له صفات تليق بعظمته وكبريائه وجلاله المقدس وللمخلوق صفات تليق بحاله وعجزه وضعفه، فمتى جاوز العبد حده وتعدَّى وادَّعى شيئًا مما اختص به الخالق فهو إذًا طاغوت لتجاوزه حده وادَّعائه فهذا هو الضابط الذي به يُعرف متى يكون العبد طاغوتًا.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بالألوهية

لقد تفرد الله ﷻ بصفات الكمال وتنزه عن النقص والعيب فله سبحانه من كُلِّ صفة كمال أعلاها وله الثناء الحسن وكلّ صفةٍ عُلْيَا واسم حسن وثناء جميل وكلّ حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال وإكرام فهو لله ﷻ على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها. ومما تفرد الله به سبحانه أنه تعالى هو الإله الحق المبين وما سواه من الآلهة فهو باطل، وهذا ما تدل عليه كلمة التوحيد من إفراده بالألوهية والكفر بما سواه من الآلهة وهذا هو حقيقة الكفر بالطاغوت وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله فإذا حَقَّقها العبد انصرف قلبه بكليّته لله وحده، وعلم أنه لا يستحق أن يفرد بالألوهية إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن الفرق بين الخالق والمخلوق: «وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تنفي عن قلبه ألوهية ما سوى الحق وتثبت في قلبه ألوهية الحق، فيكون نافياً لألوهية كلِّ شيء من المخلوقات ومثبتًا لألوهية ربِّ العالمين ربِّ الأرض والسموات، وذلك يتضمَّن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه فيكون مفرّقاً في عمله وقصده في شهادته وإرادته في معرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق، بحيث يكون عالماً بالله تعالى ذاكرًا له عارفاً به، وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه وانفراده عنهم وتوحده دونهم، ويكون محباً لله معظمًا له عابدًا له راجيًا له ... وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلهية الله ﷻ»[1].

---

(١) العبودية (ص/١٢٣-١٢٤).

ومما يدل على تفرده -جلَّ وعلا- بالألوهية ما اشتملت عليه هذه الكلمة العظيمة الطيبة كلمة التقوى التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، من تصدرها بالنفي ثم الإثبات بعده مما يدل دلالة قاطعة على أنه لا منازع لله تبارك وتعالى في ألوهيته.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «واشتمال كلمة الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله على النفي والإثبات، فكان في الإتيان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الإثبات وتحقيق معنى الألوهية وتجريد التوحيد الذي يقصد بنفي الألوهية عن كلِّ ما ادُّعِيت فيه سوى الإله الحق تبارك وتعالى فتجريد التوحيد من العقد واللسان بتصور إثبات الألوهية لغير الله، كما قاله أعداؤه المشركون ونفيه وإبطاله من القلب واللسان من تمام التوحيد وكماله وتقريره وظهور أعلامه ووضوح شواهده وصدق براهينه»[1].

ومما يزداد به الأمر بيانًا ويخاطب به أهل العقول السليمة ويستدل به على هذا الأمر العظيم ما يحصل من الفساد العظيم الذي ينتج من تعدد الآلهة من عدم انتظام أمر الدين والدنيا كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

قال الإمام ابن القيم حول هذه الآية: «ولو كان معه آلهة أخرى، كما يقول أعداؤه المبطلون لوقع من النقص في التدبير وفساد الأمر كله ما لا

(١) طريق الهجرتين (ص/١٧٠).

(٢) الأنبياء [٢٢].

يثبت معه حال ولا يصلح عليه وجود، فإن قوام السموات والأرض والخليقة بأن تُؤَلَّه الإله الحقَّ، فلو كان فيهما إله آخر غير الله لم يكن إلهًا حقًّا إذْ الإله الحقّ لا شريك له ولا سَمِيَّ له ولا مِثْل له، فلو تألهت غيرَه لفَسَدَتْ كُلَّ الفساد بانتفاء ما به صلاحها، إذْ صلاحها بتألّه الإله الحقّ كما أنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار ويستحيل أن تستند في وجودها إلى ربَّينِ متكافِئَينِ فكذلك يستحيل أن تستند في بقائها وصلاحها إلى إلهين متساويين»[(١)].

والقرآن من أوله إلى آخره يقرر هذا الأمر ويؤكده فتوحيد الله وإفراده بالعبادة هو الذي من أجله خُلِقت الخليقة وبُعِثت الرسل وأُنزِلت الكتب، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والقرآن مملوء من هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والسعادة في الآخرة به وحقيقته إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلهية الحق تعالى في قبلك وتنفي إلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات.... وإذا تدبرت القرآن من أوله إلى آخره رأيته يدور على هذا التوحيد وتقريره وحقوقه»[(٢)].

ومما يدل على أهمية الأمر ما ورد من كثرة الأدلة الدالة على تفرد الله - جل وعلا- بالألوهية وتنوعها في نصوص الكتاب والسنة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن الله سبحانه نوّع الأدلة الدالة عليه

(١) طريق الهجرتين (ص/٧٥.١٤٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/٥٠٤-٥٠٦).

والتي تعرّف عباده به غاية التنوع وصرّف الآيات وضرب الأمثال ليقيم عليهم حجته البالغة ويتم عليه بذلك نعمته السابغة، ولا يكون لأحد بعد ذلك حجة عليه -سبحانه- بل الحجة كلُّها له والقدرة كلها له، فأقام عليهم حجته، ولو شاء لسوّى بينهم في الهداية كما قال تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] فأخبر أن له الحجة البالغة وهي التي تبلغ إلى صميم القلب وخالطت العقل واتحدت به فلا يمكن للعقل دفعها ولا جحدها»[2].

فهذا يدل دلالة واضحة على أن من جحد أو أنكر تفرد الله سبحانه بالألوهية إنما هو مكابر معاند وهو يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[3].

وهذا أوان عرض الأدلة على تفرد الله بالألوهية.

الدليل الأول:

قال تعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[4]:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «فإنه خبر منه تعالى ذكره أنه لا ربَّ

---

(١) الأنعام [١٤٩].

(٢) طريق الهجرتين (ص/١٤٦).

(٣) الإسراء [١٠٢].

(٤) سورة البقرة [١٦٣].

للعالمين غيره ولا يستوجب على العباد العبادة سواه، وأنَّ كلَّ ما سواه فهم خَلْقُه، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره وترك عبادة ما سواه؛ من الأنداد والآلهة، وهجر الأوثان والأصنام؛ لأن جميع ذلك خلقه وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ولا تنبغي الألوهة إلا له»[1].

الدليل الثاني:

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]:

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يقول لا معبود بحقٍّ تجوز عبادته وتصلح الألوهية له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين مخلصين له الطاعة مفردين له الألوهية، لا تشركوا في عبادته شيئًا سواه، مِن وَثَن وصَنَم، ولا تجعلوا له ندًّا ولا عدلاً»[3].

فالأدلة كثيرة جدًّا في إفراد الله بالألوهية، بل إن القرآن كله في تقرير هذه المسألة العظيمة، بل إن الغاية من فعله سبحانه وحكمة خلقه وأمره هو إثبات تفرده بالعبادة والكفر بكل طاغوت.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فيجمع غايات فعله وحكمة خلقه وأمره إلى غاية واحدة هي منتهى الغايات وهي إلهية الحقّ التي كلّ إلهية سواها

---

(١) تفسير الطبري (٢/٦٠).

(٢) سورة المؤمن [٦٥].

(٣) تفسير الطبري (٢٤/٨١).

فهي باطل ومحال، فهي غاية الغايات... وذلك من أظهر أدلة توحيد الإلهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد وقادر واحد ورب واحد))(١).

وقبل أن نختم هذا المطلب لابد من الإشارة إلى ما قاله بعض أهل العلم في دلالة لفظ الجلالة الله في إثبات الألوهية له سبحانه والكفر بكل طاغوت، مما يؤكد ويؤيد أن هذا الأمر هو أساس الدين والملة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة فإنه يدل عليه دلالتين أُخْرَيين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ويدل على الصفة الأخرى باللزوم .. فاسم (الله) دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث. فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(٢) ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك، فعلم أن اسمه الله مستلزم لجيمع معاني الأسماء الحسنى دالّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين الإلهية التي اشتق منها اسم الله

---

(١) شفاء العليل (٢/١٧٥).

(٢) سورة الأعراف [١٨٠].

واسم الله دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا تَأْلَهُهُ الخلائق محبةً وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذْ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيّ ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فَعَّال لما يريد ولا حكيم في أفعاله»[1].

(١) مدارج السالكين (٣٩/١)، وما بعدها.

المطلب الثالث: من دعا إلى عبادة غير الله

لقد شرف الله ﷻ أنبياءه ورسله وجعلهم أفضل الخلق وأكرمهم عنده منزلة، وهذا الشرف هو بسبب ما اصطفاهم به عن سائر خلقه برسالاته والدعوة إلى إفراده بالعبادة والنهي عن الشرك وهؤلاء هم أشرف الخلق حيث إنهم دعوا إلى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وفي المقابل لهم شرار الخلق ممن دعوا الناس إلى عبادة غير الله من الطواغيت وغيرها بشتى أنواعها، سواء كانوا يدعون لعبادة أنفسهم أم غيرها من الطواغيت، فهم منهم كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال عند قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾[(١)]: «فإن هؤلاء والذين أمروهم بهذا هم جميعاً معذَّبون... وأما من رَضِي بأن يُعْبَد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد ولو لم يَأْمُر بذلك فكيف إذا أَمَر وكذلك مَنْ أَمَر غيره بأن يَعبد غيرَ الله، وهذا من (أزواجهم) فإن (أزواجهم) قد يكونون رؤساء لهم وقد يكونون أتباعًا، وهم أزواج وأشباه لتشابههم في الدين وسياق الآية يدل على ذلك»[(٢)].

فمن دعا الناس إلى عبادة غير الله فهو طاغوت من الطواغيت؛ لأن الدعوة إلى عبادة غير الله أمر مستقبح نَهَى عنه جميع الأنبياء والمرسلين، كما

---

(١) سورة الصافات [٢٢].

(٢) مجموع الفتاوى (٦٨/٧).

بيَّنه الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز وضرب الأمثال على قُبح عبادة غيره، وأن هذا القبح مُستَقِرٌّ في الفِطَر والعقول السليمة التي تستنير بنور الكتاب والسنة ولم تغيرها لوثة البشر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وكذلك إنكاره سبحانه قبح الشرك به في إلهيته وعبادة غيره معه بما ضربه لهم من الأمثال وأقام على بطلانه من الأدلة العقلية، ولو كان إنما قبح بالشرع لم يكن لتلك الأدلة والأمثال معنى .... وكم في القرآن من مثل عقلي وحسي ينبه به العقول على حُسْن ما أَمَر به وقُبْح ما نَهَى عنه... كقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] يحتج سبحانه عليهم بما في عقولهم من قُبح كونِ مملوكِ أحدِهِم شريكًا له، فإذا كان أحدكم يستقبح أن يكون مملوكُه شريكَه ولا يرضى بذلك، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي، وهذا يبيّن أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقرّ في العقول والفطر»[2].

وكيف لا يكون هذا الأمر قبيحًا ومنكرًا عظيمًا وهو صرف العبادة التي هي حق الخالق للمخلوق الذي لا يستحق العبادة؛ لأن إمامهم في هذا هو إبليس -لعنه الله- الذي يدعو الناس إلى عبادة غير الله وهو من رؤوس

---

(١) سورة الروم [٢٨].

(٢) مدارج السالكين (١/٢٦٤).

الطواغيت بل ذكر بعض أهل العلم بأنه هو الطاغوت باعتبار أنه الداعي إلى كل شرّ (١).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: «الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢)» (٣).

فهذا بيان واضح من الله تعالى بأن الشيطان عدوّ لنا مُبِين، وحذرنا ونهانا عن عبادته لأن كل من عبد غير الله إنما هو في الحقيقة عابد للشيطان أو ما سواه من الطواغيت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمشركون لا يعبدون الله بل يعبدون الشيطان وما يدعونه من دون الله، سواء عَبَدوا الملائكة أو الأنبياء والصالحين أو التماثيل والأصنام المصنوعة فهؤلاء المشركون قد عَبَدوا غير الله كما أخبر الله بذلك» (٤).

فبنو آدم إذا لم يخلصوا العبادة لله أصبحوا عبيدًا للطواغيت؛ فهم إما عبيد لله أو عبيد للطواغيت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكلّ من لم يعبد الله مخلصاً له الدين فلا بد أن يكون مشركاً عابداً لغير الله وهو في

---

(١) انظر: تعريف الطاغوت شرعاً (ص/٦٣).

(٢) سورة يس [٦٠].

(٣) الدرر السنية (١/١٦١-١٦٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/٤٧).

الحقيقة عابد للشيطان، فكل واحد من بني آدم إما عابد للرحمن وإما عابد للشيطان»[(١)].

ومن ضُلاَّل الطواغيت وعابديهم أنهم يعتقدون أن كلَّ معبود من دون الله يعبد فعابده إنما هو عابد لله وحده؛ لأنهم يقولون إن هذه الطواغيت هي الله -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- ولا غرابة في هذا لأن من اتبع الشيطان وما يزيّنه له من الضلال فسوف يصل به الحال إلى أشد من هذا وأعظم.

قال شيخ الإسلام في معرض رَدِّه على بعض أهل الضلال: «وعند هؤلاء: أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله وقال تعالى: ﴿ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[(٢)] فأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات، وعند هؤلاء الملاحدة الملاعين: هو عين هذه الآيات ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أندادًا، وعندهم هذا لا يتصور فإن الأنداد هي عينه، فكيف يكون ندًّا لنفسه والذين عبدوا الأنداد فما عبدوا سواه»[(٣)].

وهذا غاية في الكفر والضلال والعياذ بالله فلا غرابة فالطواغيت وإن كانوا خارجين من الملة وكفارًا لا يشكّ أحدٌ في كفرهم فهم مع ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٤/١٤).

(٢) سورة البقرة [٢١].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥٧/٢).

يتفاوتون في ظلمات الكفر ودركاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يردّ على بعض ما ورد في كتاب فصوص الحكم للطاغوت ابن عربي[١]: «هؤلاء أعظم كفراً من جهة أن هؤلاء جعلوا عابد الأصنام عابداً لله لا عابداً لغيره، وأن الأصنام من الله بمنزلة أعضاء الإنسان من الإنسان وبمنزلة قوى النفس من النفس... هذا وهو أقرب إلى الإسلام من ابن سبعين[٢] ومن القونوي[٣] والتلمساني[٤]

---

(١) هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن عربي، من مصنفاته فصوص الحكم والفتوحات المكية، واتهم بالكفر والزندقة وأفتى جمع من العلماء بكفره، توفي سنة ٦٣٨هـ [سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣-٤٩)].

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين، الأندلسي، ولد في رقوطة بالأندلس سنة ٦١٣هـ، نشأ في الأندلس وتعلم فيها مبادئ العلوم الشرعية والعربية وتعمق في علوم الفلسفة والمنطق والسحر وسلك طريق المتصوفة على يد كبار صوفية الأندلس، ثم نفي إلى المغرب بسبب اعتقاده، وقام بتأليف أغلب كتبه هناك، ثم حكم العلماء عليه بالزندقة وأخرجوه من المغرب، قتل نفسه سنة ٦٦٩هـ. [البداية والنهاية (٢٦١/١٣). وانظر: عقيدة الصوفية لأحمد بن عبد العزيز القصير (ص/١٦٠-١٦١)].

(٣) هو محمد بن إسحاق بن محمد القونوي أكبر تلامذة ابن عربي، ولد في تركيا، وتزوج ابن عربي بأمه، ورباه على طريقة الصوفية، وكان أعلم من شيخه بالفلسفة، من مؤلفاته النصوص في تحقيق الطور المخصوص، وشرح الأسماء الحسنى، وإعجاز البيان، توفي بتركيا سنة ٦٧٢هـ، [انظر: مجموع الفتاوى (١٦١/٢)، والأعلام (٣٠/٦)].

(٤) هو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الملقب بعفيف الدين من أئمة الصوفية، ولد سنة ٦١٠هـ، وأخذ التصوف عن القونوي تلميذ ابن عربي، كان من المصرحين =

وأمثاله من أتباعه فإذا كان الأقرب بهذا الكفر الذي هو أعظم من كفر اليهود والنصارى فكيف بالذين هم أبعد عن الإسلام ولم أصف عشر ما يذكرونه من الكفر»[1]. فهذا هو حال الطواغيت الذين يَدْعُون الناس إلى عبادة غير الله، فنعوذ بالله من الخزي والضلال، ومع أنهم اجتمعوا في الخروج من الملة فهم مع ذلك يتفاوتون في ظلمات الشرك والكفر.

ومن خلال ما ذُكِر في هذا المطلب يتبين أن من دعا إلى عبادة غير الله فهو طاغوت؛ لأن الداعي إلى عبادة غير الله هو الشيطان، وهو رأس الطواغيت كما ذكر أهل العلم.

= بوحدة الوجود، له مؤلفات منها شرح منازل السائرين للهروي، وشرح فصوص الحكم لابن عربي، وشرح المواقف، توفي بدمشق سنة ٦٩٠هـ. [انظر: البداية والنهاية (٣٢٦/١٣)، الأعلام (١٣٠/٣)].

(١) مجموع الفتاوى (١٢٩/٢-١٣١).

المطلب الرابع: وجه تسمية من ادعى الألوهية طاغوتاً

لقد تفرد الله ﷻ بصفات الكمال المطلق من كل الوجوه فله المثل الأعلى في أسمائه وصفاته وذاته سبحانه وتعالى عما يشركون ومن أعظم صفاته صفة الألوهية بحق وإلا فهناك آلهة كثيرة ولكنها باطلة وقد نهانا الله عن اتخاذ إله غيره كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾(١).

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: وقال الله لعباده لا تتخذوا لي شريكاً أيها الناس ولا تعبدوا معبودين فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكاً ولا شريك لي إنما هو إله واحد ومعبود واحد وأنا ذلك فإياي فارهبون: يقول: فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري أو أشركتم في عبادتكم لي شريكاً»(٢).

فالله ﷻ لا يرضى أن يُتَّخذ من دونه آلهة ولا أن ينازعه أحدٌ من خلقه في شيء مما اختص به ﷻ، ولا ينازعه في ذلك إلا طاغوت جعل فرعون قدوة له، حيث ادَّعى أنه هو الله وليس هناك إله غيره، كما بين ذلك ﷻ عند قوله تعالى: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾(٣) وقوله تعالى:

---

(١) سورة النحل [٥١].

(٢) جامع البيان (١١٨/١٤).

(٣) سورة القصص [٣٨].

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾[١].

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ ﴾ فعاقبه الله ﴿ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ يقول: عقوبة الآخرة من كلمته، وهي قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ والأولى قوله: ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾»[٢] فهذا هو مصير الطواغيت الذين تجرَّؤوا ونازعوا الله في صفاته: النار والعذاب الشديد جزاء لهم، ولا غرابة في ذلك لأن من نازع الله في ألوهيته أو أي شيء اختص به سبحانه وتعالى فهذا هو مصيره، فالله سبحانه وتعالى مهما يكن المخلوق عنده في منزلة كريمة وعالية فإذا جاوز حدَّه سقط من هذه المنزلة، وهذا بيِّن فيما أخبر به سبحانه عندما توعد الملائكة الذين هم عباد مكرمون لا يعصونه أبداً بل لم يُخْلَقوا إلا من أجل عبادته وطاعته لا يَمَلُّون ولا يَفْتِرون عن عبادته فمن تجاوز حدَّه منهم وادعى صفة من صفات الله فإن مصيره جهنم قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة إني إله من دون الله ﴿ فَذَٰلِكَ ﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿ نَجۡزِيهِ

(١) سورة النازعات [٢٤-٢٥].

(٢) جامع البيان (٤١/٣٠).

(٣) سورة الأنبياء [٢٩].

﴿جَهَنَّمَ﴾ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة: إني إله من دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كلَّ مَنْ ظلم نفسه فكفر بالله وعَبَد غيره»[(١)].

فهذا يدل دلالة واضحة على أن من تعدى حدَّه من المخلوقين مهما تكن منزلته عند الله وادعى خاصية من خصائص ربِّ العالمين فلا كرامة له عند الله، فأشرف الخلق هم الأنبياء والمرسلون فضلهم الله على سائر خلقه فهم مع هذا الشرف والأفضلية لا يستحقون أي خاصية من خصائص رَبِّ العالمين إلا ما خصّهم به من المعجزات كإحياء عيسى ﷺ للموتى بإذن الله، فهم -صلوات الله وسلامه عليهم- لا يُطْلَب منهم ما تفرد الله به ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا تكلَّمنا فيما يستحقه الله تبارك وتعالى من التوحيد بَيَّنَّا أن الأنبياء وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تبارك وتعالى من خصائص»[(٢)].

فمهما علت درجة المخلوق عند الخالق فهذا لا يجعل له الحقَّ في منازعة خالِقِه فيما تفرد به، فالرسل -صلوات ربي وسلامه عليهم- والملائكة لا ينازعون الله شيئًا من صفاته لأن أعلى درجاتهم هي العبودية لله ﷻ، ولكن الله بيَّن لنا مصير من ينازعه في صفاته وضرب الأمثال على أكرم خلقه لكي يَعْتَبِر مَن هو من دونهم في مراتب العبودية، ولا يتجرأ على

---

(١) جامع البيان (١٧/١٧).

(٢) الفتاوى (١/٣٠٨).

منازعة الله في شيء من صفاته إلا الطواغيت الذين يُضِلُّون عباد الله ويَصُدُّونهم عن عبادة ربهم وخالقهم إلى عبادتهم وطاعتهم وهم أقسام كثيرة في هذه الأمة.

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله عند ما تكلم عن أقسام المخالفين من هذه الأمة في إفراد الله بالألوهية: «والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلى عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير الله»[(١)].

فبهذا يتضح سبب تسمية من ادَّعى حَّق الخالق طاغوتاً؛ لأنه تجاوز حدّه كمخلوق وادَّعى حقَّ الخالق، وقد سُئِلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «متى نفرد شخصًا باسمه وعينه على أنه طاغوت؟.

الجواب: إذا دعا إلى الشرك أو لعبادة نفسه أو ادَّعى شيئاً من علم الغيب أو حكم بغير ما أنزل الله متعمدًا ونحو ذلك. وقد قال ابن القيم رحمه الله: الطاغوت كل ما تجاوز العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع»[(٢)].

ونختم هذا المطلب بقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

---

(١) فتح المجيد (٢/٦١٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة فتوى رقم (٥٩٦٦) (١/٧٨٥). وَقَّع على هذه الفتوى:

١- سماحة الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله-

٢- العلامة عبد الرزاق عفيفي

٣- العلامة عبد الله بن غديان

٤- العلامة عبد الله بن قعود.

حيث أطلق اسم الطاغوت على أشخاص بأعيانهم وسَمَّاهم بأسمائهم؛ لأنهم نازعوا الله فيما هو من خصائصه: «إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسمّيتهم طواغيت؛ وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله، عبادةً أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق؛ لأن عُبَّاد اللات والعزى يعبدونها في الرخاء ويخلصون لله في الشدة وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر»[١].

ومما تقدم ذكره يتضح وجه تسمية من ادعى الألوهية طاغوتاً.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أمثلة لمن ادعى الألوهية.

المطلب الثاني: أمثلة لمن دعا إلى عبادة غير الله.

المطلب الثالث: أمثلة لمن نُسِب إليهم شيء من الألوهية.

المطلب الأول: أمثلة لمن ادعى الألوهية

لقد تفرد الله جلا جلاله بالألوهية، وهي من أعظم خصائص الرب جل وعلا، فهو الإله الحق المبين، وقد عُلِم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله المتفرد بصفات الكمال، ولقد أمر الله -جل وعلا- أنبياءه وأوحى إليهم بتفرده بالألوهية دون من سواه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[(١)].

فأخبر سبحانه أنه يُوَحي إلى كلّ رسول بنفي الألوهية عما سواه، وإثباتها له وحده[(٢)].

وقد أمر الله نبينا محمدًا ﷺ بالعلم بهذه الصفة التي لا يحق لأحد أن ينازعه فيها قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(٣)].

فهذه من أعظم خصائص الله جل وعلا فمن نازعه فيها أو ادَّعاها قَصَمه سبحانه؛ لأنه توعد الملائكة الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم أن من ادّعى الألوهية منهم فسوف يجزيه جهنم، فما دونهم من البشر من باب أولى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٤)] قال ابن كثير رحمه الله: «أي من ادعى منهم أنه

---

(١) سورة الأنبياء [٢٥].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٢٥٦).

(٣) سورة محمد [١٩].

(٤) سورة الأنبياء [٢٩].

إله من دون الله، أي مع الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين، أي كل من قال ذلك، وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه»[(١)].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالآية دليل قاطع على أن حقوق الله الخالصة له من جميع أنواع العبادة لا يجوز أن يصرف شيء منها لأحد ولو مَلَكًا مقرَّبًا أو نبيًّا مرسلاً»[(٢)].

فصفة الألوهية من أعظم وأخص صفات الرب سبحانه، ومما يدل على ذلك تنوع الأدلة في الكتاب والسنة على إثباتها، قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتارة تحصل بالعلم بأنه تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية، وتارة بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتألّه له وحده لا شريك له، وتارة ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنِّعَم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها، وتارة بمعرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عُبِدت مع الله واتخذت آلهة وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضرًّا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا يَنْصُرون من عَبَدَهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه»[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/٣٣٨).

(٢) أضواء البيان (٤/٥٦١-٥٦٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٧/١٦٦-١٦٧).

ومع دلالة الأدلة النقلية والعقلية والفطر السليمة على تفرد الله بالألوهية وأنه المستحق لها وحده إلا إن هناك مَنْ نازع الله في هذه الصفة وادّعاها لنفسه وهم الطواغيت الذين ادعوا حقوق الخالق، وقد ذكرهم الله في كتابه وصرَّح بأمرهم الرسول ﷺ كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، وذكر حالَهم بعد عصر النبوة علماءُ أهل السنة والجماعة، وهم كثير، وسوف أذكر بعض الطواغيت الذين ادعوا الألوهية:

فممن ادعى الألوهية فرعون كما قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[1].

بل صرّح اللعين لمن حوله ممن اتبعه أنه المتفرد بالألوهية وأنه لا يعلم إلهًا غيره كما قال تعالى: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[2] ومن الكبر الذي فيه والغطرسة والطغيان أنه أنكر وجود الرب؛ لأنه يزعم أنه لا رب سواه فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] ومما يدل على زيادة كفره وعناده والغرور الذي أصابه أنه ادَّعى كذب موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ

---

(١) سورة النازعات [٢٣].

(٢) سورة القصص [٣٨].

(٣) سورة الشعراء [٢٣].

ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾[١].

فهذا من الطواغيت الذين ادعوا الألوهية فكان عاقبة أمره أن أهلكه الله بالغرق، وهذا مصير الطواغيت العذاب في الدنيا قبل الآخرة.

ومن الطواغيت الذين ادعوا الألوهية المسيح الدجال، كما أخبر بذلك وحذَّر منه نبينا محمد ﷺ بقوله: ((ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر))[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: ((فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص عُلِم أنه كاذب))[٣].

فدعواه الألوهية أبطلها النبي ﷺ حيث ذكر علامات يستدل بها المؤمن على كفره وكذبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فإنه لما ادعى الربوبية ذكر النبي ﷺ فرقانين ظاهرين لكل أحد.

أحدهما: أنه أعور، والله ليس بأعور. الثاني: أن أحدًا مِنّا لن يرى ربَّه حتى يموت، وهذا إنما ذكره في الدجال مع كونه كافراً، لأنه يظهر عليه من الخوارق التي تقوي الشبهة في قلوب العامة))[٤].

ومن الطواغيت الذين ادعوا الألوهية الحاكم العبيدي فقد ادعى

---

(١) سورة غافر [٣٦-٣٧].

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (١١٤/١٣).

(٣) فتح الباري (١٢٠/١٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٩٧/٢).

الألوهية، فأمر الناس أن يقوموا على أقدامهم صفوفاً إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه، إعظاماً لذكره، واحتراما لاسمه، وقد فعل ذلك في سائر ممالكه، حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خرُّوا سجداً له، حتى أنه ليسجد بسجودهم مَن في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره، ويسجدون للحاكم، حتى أن قوماً من الجهال إذا رأوه يقولون له: يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت»[1].

وقد ادعى الألوهية كثير من الطواغيت كأمثال زنادقة الرافضة وغلاة المتصوفة وغيرهم كثير مِمَّن نازعوا الله في صفة الألوهية كذباً وبهتاناً، وتعالى الله أن يكون له شريك في الألوهية.

(١) البداية والنهاية (١١/٩/١٢)، والمنتظم (٧/٢٩٧-٣٠٠)، وسير إعلام النبلاء (١٥/١٧٣-١٧٦).

المطلب الثاني: أمثلة لمن دعا إلى عبادة غير الله

إن العبودية حق لله فلا تصرف إلا له، فما خلق الجن والإنس إلا لعبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١] وقد أمر الله جل وعلا بعبادته كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٢] فالعبادة لا يجوز صرفها لغير الله؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا الله، وغيره مخلوق لا ينفع ولا يضر، فمن كانت هذه صفاته لا يستحق أن يعبد والعبادة بجميع أفرادها القولية والاعتقادية والعملية حقّ محض لله فولاية الله تنال بصرف العبادة له، والبراءة من كل طاغوت يُعبد من دونه.

قال العلامة أبا بطين رحمه الله: «إن موالاة الله بعبادته، والبراءة من كلّ معبود سواه، هو معنى لا إله إلا الله ، إذا تبين ذلك، فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة ...، كالحب والتعظيم، والخوف، والرجاء، والدعاء، والتوكل، والذبح، والنذر، وغير ذلك، فقد عَبَد ذلك الغير، واتخذه إلهاً وأشركه مع الله في خالص حَقِّه، وإن فَرّ من تسمية فعله ذلك تألّهاً وعبادةً وشركًا»[٣].

فالعبادة إذا صُرِفت لغير الله تكون شركاً، والمعبود يكون قد اتخذه هذا المشرك إلها، لأنه عبده من دون الله بأيّ نوع من أنواع العبادة، وقد بيّن الله

---

(١) سورة الذاريات [٥٦].

(٢) سورة النساء [٣٦].

(٣) فتاوى الأئمة النجدية (٦٨/٢).

-جل وعلا- في كتابه بالأدلة العقلية والنقلية بُطلانَ الشرك كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[2] فإذا كان أحدكم يَستقبح أن يكون مملوكُه شريكَه ولا يرضى بذلك، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي، وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفِطَر[3]، لأنه إعطاء حقِّ الخالق للمخلوق، وهذا من تزيين الشيطان الذي يأمر بعبادة غير الله، وقد نهانا الله عنه وحذرنا كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[4].

فالشيطان هو رأس الطواغيت وإمامهم في الدعوة إلى عبادة غير الله،

---

(١) سورة يونس [٦٦].

(٢) سورة الروم [٢٨].

(٣) مدارج السالكين (١/٢٦٤).

(٤) سورة يس [٦٠].

فكل طاغوت يدعو إلى عبادة غير الله يَقْتدي به، فهم جميعاً يَصْدق عليهم قولُ الحقّ -تبارك وتعالى- في الطواغيت وعابديها: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾[1] أي: احشروا مع الكفار الشركاء الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ليدخل العابدون والمعبودات جميعاً في النار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[2] [3].

فكلّ من لم يعبد الله فهو عابد للشيطان؛ لأنه رأس كل شر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من لم يَعبد الله مخلصًا له الدين فلا بدّ أن يكون مشركًا عابدًا لغير الله وهو في الحقيقة عابد للشيطان»[4].

فالشيطان اللعين أول من دعا إلى عبادة غير الله، واستزل الناس بالحيل والمكائد حتى عبدوا غير الله من القبور، والأشجار وغيرها من الطواغيت.

قال ابن القيم رحمه الله: «ومن أعظم مكائده التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عُبِد أربابها من دون الله، وعُبِدت قبورهم، واتُّخِذت أوثاناً، وبُنِيت عليها الهياكل، وصُوِّرت أربابها

---

(١) سورة الصافات [٢٢].

(٢) سورة الأنبياء [٩٨].

(٣) أضواء البيان (٦/٤٤١).

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/٢٨٤).

فيها، ثم جُعِلت تلك الصور أجسادًا لها ظلّ، ثم جُعِلت أصناماً وعبدت مع الله تعالى»[١].

وممن دعا إلى عبادة غير الله الإماميةُ الضالّة حيث دعوا إلى عبادة القبور والأولياء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن هؤلاء الإمامية أوتوا نصيبًا من الكتاب إذ كانوا مُقِرِّين ببعض ما في الكتاب المنزل، وفيهم شعبة من الإيمان بالجبت وهو السحر والطاغوت وهو ما يُعْبَد من دون الله، فإنهم يعظمون الفلسفة لذلك، ويرون الدعاء والعبادة للموتى واتخاذ المساجد على القبور، ويجعلون السفر إليها حَجًّا له مناسك ويقولون مناسك حجّ المشَاهد.

وحدثني الثقات أن فيهم من يرون الحجّ إليها أعظمَ من الحجّ إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت»[٢].

وممن دعا إلى عبادة غير الله ما ورد في القرآن الكريم عن السامريّ الذي دعا بني إسرائيل إلى عبادة العجل كما قال تعالى حاكياً عنه: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «وهذا من بلادتهم وسخافة عقولهم،

---

(١) إغاثة اللهفان (٢٠٨/١).

(٢) منهاج السنة (٤٥١/٣).

(٣) سورة طه [٨٨].

حيث رأوا هذا العِجْل الغريب الذي صار له خُوَار بعد أن كان جَمَادًا، فظنوه إله الأرض والسموات»[١].

وممَّن دعا إلى عبادة غير الله عَمْرُو بن لُحَيّ الخزاعي؛ لإنه أول من بدّل دين إبراهيم ودعا إلى عبادة الأصنام، فكان من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث قال: «رأيت عمرو بن عامر بن لُحَيّ الخزاعي يَجُرُّ قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب»[٢].

وأما عن دعوته لعبادة الأصنام فإن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة، فأتاه ليلة فقال: أَجِب أبا ثمامة، فقال: لبيك من تهامة، فقال: ادخل بلا ملامة، فقال: ائت سيفَ جدة، تجد آلهة مُعَدَّة، فخذها ولا تهب، وادعُ إلى عبادتها تُجَب، قال: فتوجه إلى جدة فوجد الأصنام التي كانت تُعبد في زمن نوح وإدريس، وهي وَدّ وسُوَاع ويَغُوث ويَعُوق ونَسْر، فحملها إلى مكة، ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب[٣].

وممن دعا إلى عبادة غير الله غلاة الرافضة حيث دعوا إلى عبادة القبور وأئمتهم وكذلك غلاة المتصوفة حيث دعوا إلى الاستغاثة بالأولياء ودعائهم، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، فالشاهد أن الأمثلة على دعوة الطواغيت كثيرة جدًّا وما ذُكِر إنما هو على سبيل المثال.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/١٠٣٩-١٠٤٠).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب: قصة خزاعة (٦/٦٦٩)، رقم (٣٥٢١).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/٦٧١).

المطلب الثالث: أمثلة لمن نسب إليهم شيء من الألوهية

لقد زيَّن الشيطان لأوليائه عبادة الطواغيت، واتَّبعه كثير من الناس على ذلك، بل إنه دعا إلى عبادة الأنبياء والملائكة والصالحين من دون الله ولبَّس على أتباعه بأنهم يرضون بذلك ويستجيبون لعبادتهم وقضاء حوائجهم حتى صرفوا لهم العبادة من دون الله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله: «وقد بلغ الشيطان مراده من أكثر الخلق، وصدَّق عليهم إبليس ظنَّه فاتبعه الأكثر، وتركوا ما جاءت به الرسل من دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وتلطَّف الشيطان في التحيل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين وغيرهم على كثير ممن ينتسب إلى دين الإسلام في قالب محبة الصالحين والأنبياء والتشفع بهم، وأن لهم جاهًا ومنزلة يُشْفَّع بها مَن دعاهم ولاذ بحماهم»[1].

فهذا هو وحي الشيطان ومكائده ودسائسه يريد إغواء الناس عن عبادة الله، سواء كان المعبود من الأبرار كالأنبياء والملائكة والصالحين أم كان من الفجار كفرعون وغيره من الطواغيت، فهدفه الوحيد أن يُعبد غير الله، فمن رضي بصرف العبادة له من دون الله فهو طاغوت مثله وأما الذي لا يرضى بذلك فقد برأه الله -جل وعلا- لأن الأنبياء عُبِدُوا من دون الله وهم لا يرضون بذلك، وكذلك الملائكة عُبِدوا وهم لا يرضون بذلك والصالحون أيضاً عُبِدوا من دون الله وهم لا يرضون بذلك، وكذلك الخليفة الراشد عَلِيّ

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٤٣٩).

رضي الله عنه فقد عبده الضُلاَّل وادَّعوا فيه الألوهية، فهؤلاء وأمثالهم قد نُسِبَ إليهم شيء من الألوهية فبرأهم الله -جل وعلا- ، فممن نُسِب إليه الألوهية عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾[1].

قال الشيخ محمد رشيد رضا[2] رحمه الله: «أي ليس من شأني ولا مما يصح وقوعه مني أن أقول قولا ليس لي أدنى حقّ أن أقواله، لأنك أيدتني بالعصمة من مثل هذا الباطل. ولا يخفى أن هذا أبلغ في البراءة من نفي ذلك القول وإنكاره إنكارًا مجردًا، لأن نفي الشأن يستلزم نفي الفعل نفيا مؤيدا بالدليل، فهو بتنزيه الله تعالى أولا أثبت أن ذلك القول الذي سئل عنه تمهيدًا لإقامة الحجة على من اتَّخذوه وأمَّه إلهين»[3].

ولقد بيَّن الله جل وعلا في كتابه الكريم حال الأنبياء والملائكة والأولياء، الذين عبدوا من دون الله وهم بَرَآء من ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ

(١) سورة المائدة [١١٦].

(٢) هو الشيخ محمد رشيد رضا القلموني، البغدادي، ولد عام ١٢٨٢هـ، من مؤلفاته الوحي المحمدي، ومجلة المنار، توفي عام ١٣٥٤هـ. [الأعلام (٦/٣٦١). معجم المؤلفين (٩/٣١٠)].

(٣) تفسير المنار (٧/٢٦٥-٢٦٦).

أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا الجواب إنما يحسن من الملائكة والمسيح وعُزَير، ومَن عَبَدهم المشركون من أولياء الله»[3].

وقال رحمه الله مبيناً معنى الآية على قراءة الجمهور (نَتَّخِذَ) بفتح النون وكسر الخاء على البناء للفاعل: «قد أخبروا أنهم لا يليق بهم، ولا يحسن منهم أن يتخذوا وليا من دونه، بل أنت وحدك ولينا ومعبودنا، فإذا لم يحسن بنا أن نشرك بك شيئاً، فكيف يليق بنا أن نَدْعوا عبادك إلى أن يعبدونا من دونك»[4].

وهذا يؤيد قوله تعالى: ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾[5].

فهؤلاء الذين نسبب إليهم شيء من الألوهية ظلماً وزوراً قد برأهم الله.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «وقد بيّن تعالى أن الذين عُبِدوا من دون الله

---

(١) سورة سبأ [٤٠-٤١].

(٢) سورة الفرقان [١٧-١٨].

(٣) إغاثة اللهفان (٢/٢٥٦).

(٤) إغاثة اللهفان (٢/٢٦٠).

(٥) سورة القصص [٦٣].

من الأنبياءَ والملائكة، والصالحين كعيسى وعُزَير خارجون عن هذا وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[(١)].

فالله سبحانه وتعالى برَّأ أولياءه مما نسب إليهم في كتابه العزيز وفي هذا دحض لحجة الشيطان وأوليائه، حين زعموا أنهم أُمِروا بذلك كذبًا وزورًا عليهم[(٢)]))[(٣)].

(١) سورة الأنبياء [١٠١].

(٢) أضواء البيان (٦/٤٤١).

(٣) سيأتي بيان براءة الأنبياء والملائكة والصالحين في الفصل الأول من الباب الثالث.

الفصل الرابع: من جعل نفسه مشرِّعًا من دون اللّه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع.

المبحث الثالث: حكم التحاكم إلى الطاغوت وأنواعه.

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضابط هذا النوع.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بالحكم والتشريع.

المطلب الثالث: وجه تسمية من جعل نفسه حاكماً ومشرعاً من دون الله طاغوتاً.

المطلب الأول: ضابط هذا النوع

خَلَق الله الخلقَ وأمرهم بعبادته وبيَّن لهم الصراط المستقيم وحذَّرهم من طريق أصحاب الجحيم، وشَرَع لهم الدين القويم فيه صلاح دنياهم وأُخْراهم؛ لأنه سبحانه أعلم بما يصلح للعباد ويُصلح العباد، فهو المتفرد بالحكم والتشريع فلا حاكم إلا هو ولا مُشَرِّع إلا هو، فهذا مما اختص به سبحانه دون منازع له في ذلك فشرع للخلق ما ينفعهم ففي جانب العبادات وَسَط لا غلوّ ولا جفاء، وفي المعاملات لا إفراط وفي الحُكم لا ضَرَر ولا ضرار إلى غير ذلك مما شرعه الله لعباده، فالخير كل الخير في شرع ربِّنا وخالقنا والشرّ كلّ الشر في شرع الطواغيت قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[(١)] فالله - جلّ وعلا- حكمٌ عدلٌ لا يُشْرِك في حكمه أحدًا قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[(٢)].

وإذا حكم بالشيء فلا معقِّب لحكمه لأنه حكيم عليم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[(٣)] فالتوحيد الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين حقيقته إفراد الله بالعبادة والكفر بكل طاغوت، ومن لوازم توحيد العبادة أن يتحاكم العباد لكتاب الله ولسنة

---

(١) سورة المائدة [٥٠].

(٢) سورة الكهف [٢٦].

(٣) سورة الرعد [٤١].

رسوله ﷺ فالرد إلى الله هو الردّ إلى رسوله والردّ إلى رسوله هو الردّ إلى الله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن الردّ إلى القرآن ردّ إلى الله والرسول فما حكم به الله -تعالى- هو بعينه حكم رسوله وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حكم الله، فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه يعني كتابه فقد رددتموه إلى رسوله وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله فقد رددتموه إلى الله وهذا من أسرار القرآن»[1].

فحقيقة التوحيد وصفها ابن القيم رحمه الله بقوله: «أن تغنى بعبادة الله عما سواه وبمحبته عن محبة ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وكذلك بموالاته وسؤاله والاستغناء به والتوكل عليه ورجائه ودعائه والتفويض إليه والتحاكم إليه واللجأ إليه والرغبة فيما عنده »[2].

فمن خلال كلام ابن القيم رحمه الله تبين أن من لوازم توحيد العبادة التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ لأن هذا من خصائص رب العالمين وقد بين سبحانه كذب هؤلاء الطواغيت الذين يشرعون للناس قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «فقد أوضحت الآية أن المشرعين غير

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٨٣).

(٣) سورة النحل [١١٦-١١٧].

ما شرعه الله إنما تصف ألسنتهم الكذب، لأجل أن يفتروه على الله وأنهم لا يفلحون وأنهم يُمَتَّعون قليلاً ثم يعذَّبون العذاب الأليم، وذلك واضح في بعد صفاتهم من صفات مَن له أن يحلِّل ويحرم))[١].

بل إن الله سبحانه وتعالى استعجز هؤلاء الطواغيت الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله وطلب منهم شهودهم قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾[٢].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ((فقوله: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ صيغة تعجيز فهم عاجزون عن بيان مستند التحريم، وذلك واضح في أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم، ولما كان التشريع وجميع الأحكام؛ شرعية كانت أو كونية قدرية من خصائص الربوبية كما دلَّت عليه الآيات المذكورة كان كلُّ من اتبع تشريعًا غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرِّع ربًّا وأشركه مع الله))[٣].

وقد بين أهل العلم -رحمهم الله- معنى الطاغوت الذي أمرنا بالكفر به وعدم التحاكم إليه عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[٤].

أجابت اللجنة الدائمة بقولها: ((والمراد بالطاغوت في الآية: كل ما

---

(١) أضواء البيان (٧/١٠٨).

(٢) سورة الأنعام [١٥٠].

(٣) أضواء البيان (٧/١٠٨-١٠٩).

(٤) سورة النساء [٦٠].

عَدَل عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إلى التحاكم إليه من نُظُم وقوانين وضعية أو تقاليد وعادات متوارثة أو رؤساء قبائل ليفصل بينهم بذلك أو بما يراه زعيم الجماعة أو الكاهن، ومن ذلك يتبين أن النّظُم التي وُضِعت ليتحاكم إليها مضاهاة لتشريع الله داخلة في معنى الطاغوت»[١].

فضابط هذا النوع من الطواغيت هو الذي يشرّع للناس ولا يرضى بتشريع ربِّ الأرض والسماء فالتشريع خاص بالله ﷻ فإذا تعدى المخلوق حده وشرّع للخلق فهو بهذا الفعل يصبح طاغوتاً.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في هذا النوع من الطواغيت: «فطاغوت كلِّ قوم مَن يتحاكمون إليه غير الله ورسوله»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الطاغوت وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]»[٤]. فبهذا يتضح ضابط هذا النوع من الطواغيت.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٨٤)، رقم (٨٠٠٨)، وَقَّعَ على هذه الفتوى:
١- الإمام ابن باز -رحمه الله-
٢- العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-
٣- عبد الله بن قعود -رحمه الله-
٤- عبد الله بن غديان.

(٢) إعلام الموقعين (١/٤٠).

(٣) سورة الأعراف [٥٤].

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/٣٩).

وهنا مسألة لا بدَّ مِن بيانها ألا وهي التنظيمات الإدارية التي لا تعارض شرع الله هل هي من جنس الأحكام الطاغوتية أو لا؟.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السموات والأرض وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك، وإيضاح ذلك أن النظام قسمان: إداري وشرعي؛ أما الإداري الذي يراد به ضَبْطُ الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع، فهذا لا مانعَ منه ولا مخالفة فيه من الصحابة فمن بعدهم، وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي ﷺ، ككَتْبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط... فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تُفْعَل لإتقان الأمور ممَّا لا يخالف الشرع لا بأس به، كتنظيم شؤون الموظفين وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة وأما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كُفْرٌ بخالق السموات والأرض؛ كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعوى أن تعددّ الزوجات ظُلْمٌ وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك»[1].

وبهذا يتضح أن التشريع الذي لا يخالف شرع الله، وهو ما وُضِع

---

(١) أضواء البيان (٤/٦٦-٦٧).

لمصالح العامة وفق قواعد الشريعة المطهرة لا بأس به، وأما التشريع الذي يخالف شرع الله ويحكم به بين الناس فهو تشريع الطاغوت الذي أُمِرنا الله بالكفر به.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بالحكم والتشريع

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وما خلق الله الخلق إلا لأجل عبادته ﷻ، وهذه دعوة الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- فالغاية العظمى من الخلق هي توحيد الله بالعبادة وعدم الإشراك به، وهذا ما دلت عليه كلمة التوحيد من إثبات الألوهية لله وحده والكفر بما سواه من الطواغيت، فهي متضمنة أيضاً لإفراد الله بالحكم والتشريع؛ فكما أنه لا معبود بحق إلا الله فهذا يستلزم أنه ليس لأحد حق الحكم والتشريع إلا الله، فإفراده بالعبادة يلزم منه إفراده بالحكم والتشريع فالأمران متلازمان.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تفرد الله بالحكم والتشريع، والردّ لحكمه -سبحانه- عند التنازع ونبذ أحكام الطواغيت

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد أَمَرَنا الله برد ما تنازعنا فيه إليه وإلى رسوله ﷺ فلم يبح لنا قط أن نرد ذلك إلى رأي ولا قياس ولا تقليد إمام ولا كشوف ولا إلهام ولا حديث قلب ولا استحسان ولا معقول ولا شريعة الديوان ولا سياسة الملوك ولا عوائد الناس التي ليس على شرائع المسلمين أضر منها، فكل هذه طواغيت من تحاكم إليها أو دعا منازعه إلى التحاكم إليها فقد حاكم إلى الطاغوت»[(١)].

فمن الأدلة قولة تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[(٢)].

---

(١) إعلام الموقعين (١/٢٤٤).

(٢) سورة الأنعام [٥٧].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

ومنها قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤).

ومنها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾(٥).

فهذه بعض الأدلة الدالة على تفرد الله بالحكم والتشريع، وأن هذا حقّ لله سبحانه لا يجوز أن ينازعه فيه أحد من خلقه كما سيتضح من عرض الأدلة على وجه التفصيل:

فمنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ

---

(١) سورة يوسف [٤٠].

(٢) سورة يوسف [٦٧].

(٣) سورة القصص [٧٠].

(٤) سورة القصص [٨٨].

(٥) سورة غافر [١٢].

إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا إنكار من الله عز وجل على من يدّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله.... والآية أعم من ذلك كلّه فإنها ذامة لمن عَدَل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت» إلى آخرها»[٢].

وبهذا يتضح أن التشريع حق لله محض وأن تشريع غيره إنما هو تشريع جاهلي طاغوتي قد أَمَرَنا الله بالكفر به.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: «لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله الله مشتملاً على الإيمان بالرسول ﷺ مستلزمًا له، وذلك هو الشهادتان ولهذا جعلهما النبي ﷺ ركناً واحداً ... نَبَّه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لا بدَّ منه لكل مؤمن، فإن من عرف لا إله إلا الله فلا بد من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ، فمن شهد أن لا إله

---

(١) سورة النساء [٦٠].

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٥٣١).

إلا الله ثم عَدَل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته. إذا تبين هذا فمعنى الآية المترجم لها أن الله تبارك وتعالى أنكر على من يدَّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء قبله وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ... فكلُّ ما تحاكم إليه متنازعان غيرَ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو طاغوت، إذ قد تعدَّى به حدَّه، ومن هذا كلُّ من عبد شيئًا دون الله فإنما عَبَد الطاغوت وجاوز بمعبوده حدَّه فأعطاه العبادة التي لا تنبغي له، كما أن مَنْ دعا إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله ﷺ فقد دعا إلى تحكيم الطاغوت ... وقوله تعالى ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ أي بالطاغوت وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مُنَافٍ للإيمان مضادّ له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم إليه فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ أي: لأن إرادة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من طاعة الشيطان وهو إنما يدعو أحزابه ليكونوا من أصحاب السعير، وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت الذي هو ما سوى الكتاب والسنة من الفرائض وأن المتحاكم إليه غير مؤمن بل ولا مسلم»[١].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «أن الله جل وعلا في سورة النساء بيّن أن مَن يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله يتعجب من زعمهم أنهم

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٥٤-٥٥٧).

مؤمنون، وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب»[(١)].

فبهذا يتضح أن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع الأمور صغيرها وكبيرها من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولازمٌ لها فهذا المقتضى واللازم يجعل الحكم بالكتاب والسنة فرضاً على عباد الله الموحدين، كما جاء في القرآن والسنة بتفرد الله بالحكم والتشريع، والإذعان والقبول والتسليم والانقياد من قِبل العبد لذلك الحكم وإلا كان كاذباً في زعمه للإيمان.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- على هذه الآية: «تدل دلالة واضحة على أن التحاكم إلى ما أنزل الله من التوحيد والعبادة، وأن التحاكم إلى غيره شرك بالله ﷻ وكفر به لأن التشريع والحكم بين الناس الحكم القدري والحكم الشرعي والحكم الجزائي كله لله ﷻ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ «له الخلق» هو الذي خلق «له الأمر» فهو الذي يأمر وينهى ويحلل ويحرم ليس لغيره شِرْك في ذلك، فالتحاكم إلى ما أنزل الله داخل في التوحيد والتحاكم إلى غيره شِرْك؛ لأن معنى «لا إله إلا الله» ومقتضاها ومدلولها التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... وقوله: «يزعمون» الزعم أكذب الحديث وهذا يدل على أنهم كاذبون في دعواهم الإيمان، والدليل على كَذِبهم أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، ولو كان إيمانهم صادقًا لم

(١) أضواء البيان (٤/٦٦).

يتحاكموا إلا إلى كتاب الله وسنة رسول الله، فدل هذا على أن إرادة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله مجرد الإرادة والنية يتنافى مع الإيمان فكيف إذا فعل؟ كيف إذا فعل وتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله؟ إذا كان من نوى بقلبه واستباح هذا الشيء ولو لم يفعل أنه غير مؤمن، فكيف بمن نفذ هذا وتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله في أموره كلها أو في بعضها ... ومن رؤوس الطواغيت من حَكَم بغير ما أنزل الله الذي هو موضوع هذا الباب، وهم الذين يتحاكمون إلى غير شريعة الله ﷻ من القوانين والأنظمة والعادات والتقاليد وأمور الجاهلية والقبلية... وكل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله فإنه طاغوت يجب الكفر به.. فالإيمان بالله لا يصح إلا بعد الكفر بالطاغوت، فالكفر بالطاغوت ركن الإيمان فلا يصح أن يجمع بين الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت، لأن هذا جَمْع بين النقيضين»[1].

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسمًا مؤكَّدًا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكِّموا رسوله في كلّ ما شَجَر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات

---

(١) إعانة المستفيد (٢/١٦٣-١٦٨)، باب: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ النساء: ٦٠.

(٢) سورة النساء [٦٥].

وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم لحكمه كلَّ الانشراح وتنفسح له كلَّ الانفساح وتقبله كلَّ القبول ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض .. وعند هذا يعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق وعند الامتحان تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلب أكثر من يدّعي الإسلام أم لا، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))[١].

وقال رحمه الله: ((فأكد ذلك بضروب من التأكيد.

أحدها: تصدير المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسم عليه، وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بإنَّ.

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: أنه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكّموك.

الرابع: أنه أتى في الغاية بحتى دون إلا المشعرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم لأن ما بعد حتى يدخل فيما قبلها.

الخامس: أنه أتى المحكَّم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم وهو قوله: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص/٤٣٠-٤٣١).

السادس: أنه ضم إلى ذلك انتفاء الحرج وهو الضيق من حكمه.

السابع: أنه أتى به نكرة في سياق النفي، أي لا يجدون نوعاً من أنواع الحرج البتة.

الثامن: أنه أتى بذكر ما قضى به بصيغة (ما) الدالة على العموم فإنها إما مصدرية، أي من قضائك، أو موصولة، أي من الذي قضيته، وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: أنه لم يكتف منهم بذلك حتى يضيفوا إليه التسليم، وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج، فما كلّ من حَكَم انتفى عنه الحرج ولا كلّ من انتفى عنه الحرج يكون مسلماً منقاداً فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنه أكَّد فعل التسليم بالمصدر المؤكد»[١].

وهذا دليل واضح في بيان تفرد الله بالحكم والتشريع وأضاف إليه ما يجب على العبد فعله تجاه حكم الله وشرعه.

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٢].

(١) الصواعق المرسلة (٤/١٥٢٠-١٥٢١).

(٢) سورة المائدة [٤٩-٥٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ينكر تعالى على مَنْ خَرَج عن حكم الله المحكَم المشتمل على كلّ خير الناهي عن كلّ شرّ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يَحْكُمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن مَلِكهم (جنكزخان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحَكَّم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي ومن أعدل من الله في حُكْمه لمن عَقَل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء»[١].

وقال رحمه الله مبينًا حال من تحاكم إلى غير شرع الله من الياسق وغيره من أحكام البشر: «وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/١٣١).

الصلاة والسلام فمن ترك الشرع المحكَّم المنزَّل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى (الياسق) وقدَّمها عليه من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [1]))[2].

بيَّن الله ﷻ أن أي حكم سوى حكمه -عز وجلّ- فهو حكم جاهلي طاغوتي يترتب على تحكيمه فساد عظيم في الدنيا والآخرة، وفي المقابل إن سعادة الدارين هي في إقامة حكم الله ورسوله لأنه أعلم بما يصلح لعباده في أمور دينهم ودنياهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((فأخبر ﷻ: أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى، الذي يضلّ عن سبيله، وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية، وكلّ هذه الآراء والمعقولات المخالفة لما جاء به الرسول هي من قضايا الهوى وأحكام الجاهلية وإن سمَّاها أربابها بالقواطع العقلية والبراهين اليقينية، كتسمية المشركين أوثانهم وأصنامهم آلهة))[3].

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: ((والاستفهام في: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ للإنكار أي لا أَحْسَن من حُكْم الله عند أهل اليقين،

---

(١) سورة المائدة [٥٠].

(٢) البداية والنهاية (١٣/١١٩).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/١٠٤٦).

لا عند أهل الجهل والأهواء»[(١)].

وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي[(٢)]: «وفي التعرض لعنوان إنزاله تعالى إياه تأكيد لوجوب الامتثال وتمهيد لما يعقبه من قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾أي: يصرفوك عنه وإظهار الاسم الجليل لتأكيد الأمر بتهويل الخطب»[(٣)].

وقال العلامة صديق حسن[(٤)]: «﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ للإنكار أي لا يكون أحد حكمه أحسن من حكم الله أو مساوٍ له عند أهل اليقين لا عند أهل الجهل والأهواء وإن كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وإنكارها»[(٥)].

ومن الأدلة على تفرد الله بالحكم والتشريع قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ

---

(١) فتح القدير (٧١/٢).

(٢) هو علامة الشام محيي السنة أبو الفرج محمد جمال الدين القاسمي ولد سنة ١٢٨٣هـ. له مؤلفات كثيرة أشهرها تفسيره، توفي عام ١٣٣٢هـ. [جمال الدين القاسمي، للدكتور نزار أباضه].

(٣) محاسن التأويل (٢٠١٩/٦).

(٤) هو العلامة صديق حسن الحسيني القنوجي، أبو الطيب، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي، ولد سنة ١٢٤٨هـ. من مصنفاته: فتح البيان، والدين الخالص. توفي عام ١٣٠٧هـ. [التاج المكلل (ص/٥٤٦-٥٥٦)].

(٥) فتح البيان (٤٤٧/٣).

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١].

قال ابن جرير رحمه الله: «أي فليس لي أن أتعدَّى حكمَه وأتجاوزه؛ لأنه لا حكَم أعدلُ منه ولا قائل أصدق منه»[٢].

قال القرطبي رحمه الله: «أفغيرَ الله أَطْلُب لكم حَكَمًا وهو الذي كفاكم مؤونة المسألة في الآيات، بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل، أي المبين. ثم قيل الحَكَم أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحَكَم إلا من يحكُم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح، والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يُسمَّى بها من يحكم بغير الحق»[٣].

والحَكَم هو اسم من أسماء الله الحسنى يؤيد هذا ما ورد من حديث أبي شريح[٤] رضي الله عنه قال: إنه كان يُكْنَى أبا الحكم فقال له النبي: «إن الله الحَكَم وإليه الحُكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضِي كلا الفريقين فقال: «ما أحسن هذا: فما لك من الولد»

(١) سورة الأنعام [١١٤-١١٥].

(٢) جامع البيان (٩/٥٠٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/٧٢).

(٤) هو الصحابي الجليل أبو شريح الخزاعي الكعبي، خويلد بن عمرو، وقيل العكس، أسلم قبل الفتح، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، توفي سنة ٦٨هـ. [الإصابة (٧/١٧٣). التقريب (ص/١١٥٩)].

قلت: شريح ومسلم وعبد الله قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُم» قلت: شريح قال: «فأنت أبو شريح»[(١)].

ولا يدل هذا على جواز التحاكم إلى العادات والأعراف؛ لأن النبي ﷺ لا يُقر أحكام الطواغيت فحكم أبي شريح دائر على الصلح، وهذا لا ينافي مقاصد الشريعة المطهرة.

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «(قول النبي ﷺ ما أَحْسَنَ هذا) فالمعنى والله أعلم أن أبا شريح لما عَرَف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحرٍّ للعدل بينهم ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين صار عندهم مرضياً، وهذا هو الصلح لأن مَدَارَه على الرضا لا على إلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على الإستناد إلى أوضاع الجاهلية من أحكام كبرائهم وأسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة، كما قد يقع اليوم كثيراً كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حُكْم الله ولا إلى حُكْم رسوله. وإنما المعتمد عندهم ما حَكَموا به بأهوائهم وآرائهم»[(٢)].

وقال الشيخ محمد القاسمي رحمه الله: «أي قل لهم أفغير الله أطلب مَن يَحْكُم بيني وبينكم ويفصل المحِقَّ مِنَّا من المبْطِل، والمعنى أأطلب معبوداً؟ لأنهم كانوا يتحاكمون إلى طواغيتهم وهذا عندي أظهر»[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب (٥/١٥١)، رقم (٤٩٥٥). والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود (٣/٩٣٦).

(٢) فتح المجيد (٢/٧١٧-٧١٨).

(٣) محاسن التأويل (٦/٢٤٧٤).

يشير رحمه الله إلى أن من ابتغى حَكَماً غير الله فقد جعله معبودًا يستمد منه أحكامه.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: ((أي قل يا أيها الرسول ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أحاكم إليه وأتقيد بأوامره ونواهيه، فإن غير الله محكوم عليه لا حاكِم وكلّ تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص والعيب والجور وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكماً فهو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر))[١].

ومن الأدلة الدالة على تفرد الله بالحكم والتشريع قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[٢].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ((ولا يشرك الله جل وعلا أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جلَّ وعلا، لا حكم لغيره ألبتة، فالحلال ما أحلّه تعالى والحرام ما حرَّمه والدين ما شرعه والقضاء ما قضاه هذا على قراءة ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾

أما من قرأ ﴿ولا تُشرك﴾ أي لا تشرك يا نبي الله أو لا تشرك أيها المخاطب أحدًا في حكم الله -جلّ وعلا-، بل أخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره في الحكم. وحكمه -جلّ وعلا- المذكور في الآية شامل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٥٠٢).

(٢) سورة الكهف [٢٦].

لكل ما يقضيه -جلّ وعلا- ويدخل في ذلك التشريع دخولاً أولياً .. وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض... فتحكيم هذا النوع من النظام في أَنْفُس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفرٌ بخالق السموات والأرض وتمرُّدٌ على نظام السماء الذي وضعه من خَلَق الخلائق كلَّها، وهو أعلم بمصالحها ﷻ عن أن يكون معه آخر علواً كبيراً»[1].

ومن الأدلة الدالة على تفرد الله بالحكم والتشريع قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلفت فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده لا إلى غيره جاء موضحاً في آيات كثيرة. فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته.

قال في حكمه ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[3].

وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[4] فالأمران سواء كما ترى... سبحانه خالق

---

(١) أضواء البيان (٤/٦٥-٦٧).

(٢) سورة الشورى [١٠].

(٣) سورة الكهف [٢٦].

(٤) سورة الكهف [١١٠].

السموات والأرض جل وعلا أن يكون له شريك في حكمه أو عبادته أو ملكه»[١].

فهذه بعض الأدلة الدالة على تفرد الله ﷻ بالحكم والتشريع وغيرها آيات كثيرة بل إن كلَّ دليل على إفراد الله بالعبودية فهو دليل على إفراده بالحكم والتشريع بالتضمن؛ لأن الحكم بشرع الله عبادة لا تصرف إلا له وهو من مدلول شهادة أن لا إله إلا الله فالموحِّد هو الذي يفرد اللهَ بالعبادة، ولا يتحاكم إلاَّ لشرعه، والمشْرِك هو من يَعبد غيرَ الله ويتحاكم إلى الطاغوت، فبهذا يُعْلَم أن كلّ تشريع غير شرع الله هو تشريع جاهلي طاغوتي.

---

(١) أضواء البيان (٧/١٠٤-١٠٧).

المطلب الثالث: وجه تسمية من جعل نفسه حاكمًا ومشرِّعًا من دون الله طاغوتاً

لقد تفرد الله ﷻ بالحكم والتشريع فهو الحاكم بين عباده العالم بما يصلحهم في أمور دينهم ودنياهم فلا بدَّ للعبد من إفراد الله بالحكم والتشريع كما يفرده بالعبادة لأن من مقتضى كلمة التوحيد ومدلولاتها التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا من خصائص ربوبيته ﷻ التي لا ينازعه فيها أحد.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «فإن الربَّ والإله هو الذي له الحكم القدري والحكم الشرعي والحكم الجزائي وهو الذي يؤله ويُعبد وحده لا شريك له ويطاع طاعة مطلقة فلا يُعْصَى، بحيث تكون الطاعات كلُّها تبعاً لطاعته، فإذا اتخذ العبدُ العلماءَ والأمراءَ على هذا الوجه وجعل طاعتهم هي الأصل وطاعة الله ورسوله تبعاً لها فقد اتخذهم أرباباً من دون الله يتألَّهُهم ويُحاكم إليهم ويقدِّم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه فإن الحكم كلَّه لله، كما أن العبادة كلَّها لله، والواجب على كلّ أحدٍ أَن لا يتخذ غير الله حكماً وأن يردَّ ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصًا لوجه الله، وكلّ من حَاكَم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حَاكَم إلى الطاغوت وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب؛ فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه وفي كل الحقوق... فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربًّا وقد

حاكم إلى الطاغوت»[1].

وبهذا يعلم أن الواجب على العبد أن يتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتسليم لحكمه سبحانه وتعالى لأن الأحكام الشرعية والقدرية كلها لله وليس للعبد أن يعارض أو ينازع الله سبحانه وتعالى في أي حكم من أحكامه، بل إن حقيقة عبوديته لله تكمل وتتجلى في تسليمه ورضاه لأمر الله والقبول والانقياد والإذعان له -سبحانه وتعالى- وعدم معارضة حكمه بأحكام الطواغيت أيًّا كانت حسية أو معنوية، فالحكم الشرعي يجب أن يقابله العبد بالتسليم والقبول والعمل به.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله عند كلامه على الحكم الشرعي: «فهذا حقُّه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم وترك المنازعة بل الانقياد المحض، وهذا تسليم العبودية المحضة فلا يعارض بذوق ولا وجد ولا سياسة ولا قياس ولا تقليد ولا يرى إلى خلافه سبيلاً البته وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول، فإذا تلقَّى بهذا التسليم والمسالمة إقرارًا وتصديقًا، بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر له إرادة وتنفيذٌ وعملٌ فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره، وهذا حقيقة القلب السليم الذي سَلِم من شبهة تعارض الحق وشهوة تعارض الأمر، فلا استمتع بخلاقه كما استمتع به الذين يتّبعون الشهوات ولا خاض في الباطل خوضَ الذين يتبعون الشبهات، بل اندرج خلاقه تحت

(١) القول السديد (ص/١٣٥-١٣٦).

الأمر واضمحل خوضه في معرفته بالحق فاطمأن إلى الله معرفة به ومحبة له وعلماً بأمره وإرادةً لمرضاته فهذا حق الحكم الديني»[(١)].

فهذا الذي يجب على العبد تجاه ربه ﷻ، وأما الطواغيت فهم لا يفتؤون في محاربة كتاب الله وسنة رسوله فهم يعترضون على أحكام الكتاب والسنة بشتى أنواع الاعتراضات وبصور مختلفة تجتمع في تحكيم شرع الطاغوت ونبذ الكتاب والسنة، وهذا ديدن الطواغيت الذي أُمِرنا الله بالكفر بهم.

ومن اعتراضاتهم على شرع الله ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله: «الاعتراض على شرعه وأمره وأهل هذا الاعتراض ثلاثة أنواع:

أحدها: المعترضون عليه بآرائهم وأقيستهم المتضمنة تحليل ما حرم الله ﷻ وتحريم ما أباحه وإسقاط ما أوجبه وإيجاب ما أسقطه، وإبطال ما صحّحه وتصحيح ما أبطله، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وتقييد ما أطلقه، وإطلاق ما قيده، وهذه هي الآراء والأقيسة التي اتفق السلف قاطبة على ذمها والتحذير منها وصاحوا على أصحابها من أقطار الأرض وحذروا منهم ونفروا عنهم.

النوع الثاني: الاعتراض على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرعَ دينٍ لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان رسوله، والتعوّض عن حقائق

---

(١) طريق الهجرتين (ص/٥٣-٥٤).

الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفوس الجاهلة ...

النوع الثالث: الاعتراض على ذلك بالسياسات الجائرة التي لأرباب الولايات التي قدموها على حكم الله ورسوله، وحكموا بها بين عِبادِهِ وعطّلوا لها وبها شرعَه وعدلَه وحدوده.

فقال الأولون: إذا تعارض العقل والنقل: قدمنا العقل.

وقال الآخرون: إذا تعارض الأثر والقياس: قدمنا القياس.

وقال أصحاب الذوق والكشف والوجد: إذا تعارض الذوق والوجد والكشف وظاهر الشرع: قدمنا الذوق والوجد والكشف.

وقال أصحاب السياسة: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة.

فَجَعَلَتْ كلُّ طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتاً يتحاكمون إليه»[1].

وهذا هو حال الطواغيت يصدون عن شرع الله في كل زمان ومكان بطرق مختلفة وصور متنوعة تتلبَّس على الجاهل ولا تخفى على العاقل؛ لأن فعلهم مذموم عند الله وعند خلقه وما يجنون منه إلا المصائب في دينهم ودنياهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكما ذمَّ المدَّعين الإيمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة، ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدَّعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الإسلام من ملوك الترك وغيرهم وإذا قيل

---

(١) مدارج السالكين (٢/٧٢-٧٣).

لهم تعالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضًا وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم قالوا إنما أردنا أن نحسِّن بتحقيق العلم بالذوق ونوفِّق بين الدلائل الشرعية والقواطع العقلية التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات أو الذوقية التي هي في الحقيقة أوهام وخيالات))(١).

فالعبد إذا جعل نفسه مشرّعًا من دون الله يُتحاكم إليه من دون الله ونازع ربَّه ﷻ في حكمه فقد أصبح طاغوتاً من الطواغيت؛ لأنه تعدّى حدّه الذي شرعه له ربه ﷻ فاستحق أن يسمَّى طاغوتًا لتعدّيه الحدَّ الشرعي.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: ((وهو كلّ من حَكَم بغير شرع الله فهو طاغوت))(٢).

وقال العلامة محمد بن إبراهيم(٣) رحمه الله: ((فكل من حَكَم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه؛ وذلك أنه من حَدّ كلّ أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبي ﷺ فقط لا بخلافه، كما أنه من حد كل أحد أن يحاكِم إلى ما جاء به النبي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٣٣٩-٣٤٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/١٨٤).

(٣) هو العلامة محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مفتي الديار السعودية ورئيس الجامعة الإسلامية الأسبق، توفي سنة ١٣٨٩هـ [انظر ترجمة تلميذه محمد بن عبد الرحمن بن قاسم في كتاب العالم العابد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ص/٩٧)].

ﷺ، فمن حَكَم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى وجاوز حدّه حُكْماً أو تحكيماً فصار بذلك طاغوتًا لتجاوزه حدَّه »[1].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ((وكل تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت))[2].

ومما سبق من كلام أهل العلم يتضح وجه إطلاق مسمَّى الطاغوت على من قام به هذا الوصف وهو مجاوزة الحدّ الشرعي الذي جاء في الكتاب والسنة بيانه وأُمِر العباد بالوقوف عنده وعدم تجاوزه، ومتى ما كان العبد غنياً بتدبير الله له مسلماً لحكمه غير منازعاً له فقد كفر بالطاغوت الذي أمره الله أن يكفر به وجعله شرطاً لصحة الإيمان.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((فمتى سَلِم العبدُ من علّة فقره إلى السبب ومن علّة منازعته لأحكام الله –سبحانه– ومن علّة مخاصمته للخلق على حظوظ استحق أن يكون غنيًّا بتدبير مولاه مفوّضاً إليه، لا يفتقر قلبه إلى غيره، ولا يسخط شيئًا من أحكامه، ولا يخاصم عباده إلا في حقوق ربه فتكون مخاصمته لله وبالله، ومحاكمته إلى الله، كما كان النبي ﷺ يقول في استفتاح صلاة الليل: (اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت)[3] فتكون مخاصمة هذا

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٢٨٦/١٢).

(٢) أضواء البيان (١٠٦/٧).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل (٥/٣)، رقم =

العبد لله، لا لهواه وحظّه ومحاكمته خصمه إلى أمر الله وشرعه لا إلى شيء سواه... ومن حاكم خصمه إلى غير الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وقد أُمِر أن يَكْفُر به، ولا يَكْفُر العبد بالطاغوت حتى يَجعل الحكم لله وحده))[1].

لأن الحكم بالكتاب والسنة من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ومدلولها ولا يتم الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت ولا يتم الكفر بالطاغوت حتى يجعل العبد الكتاب والسنة حاكمة على كل شيء.

= (١١٢٠).

(١) طريق الهجرتين (ص/٥٢-٥٣)

المبحث الثالث: حكم التحاكم إلى الطاغوت وأنواعه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحاكم إلى الطاغوت دائر بين نوعي الكفر الأكبر والأصغر.

المطلب الثاني: أنواع التحاكم إلى الطاغوت وحكم كل نوع منها.

المطلب الأول: التحاكم إلى الطاغوت دائر بين نوعي الكفر الأكبر والأصغر

الله ﷻ هو الذي خَلَق العباد، وهو الذي شَرَع لهم ما يَصْلُحُ به حالهم في دينهم ودنياهم، والبشر بطبيعتهم الجِبِلِّية والبشرية لا بد أن يقع بينهم خصومة ومنازعات فأمرهم الله عند ذلك بالتحاكم إلى شرعه المطهَّر وأمرهم بالكفر بشرائع الطواغيت، على اختلاف أزمانها وتنوع أساليبها وصورها؛ لأن الإعراض عن حُكْم الله وحُكْم رسوله ﷺ من أعظم الفساد للبلاد والعباد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما؛ وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فِطَرِهم، وظلمة في قلوبهم، وكَدَر في أفهامهم، ومَحْق في عقولهم»[١].

فيجب على العباد توحيد الله بالعبادة وتوحيد نبيه بالمتابعة؛ لأن هذين التوحيدين لا يغني أحدهما عن الآخر، فكما أن العباد يتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة ويراعون فيها الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ فمن أعظم الأعمال الصالحة التعبد لله بتحكيم كتابة وسنة نبيه ﷺ في كل شيء؛ سواء على مستوى الأفراد أم المجتمعات، لا بتحكيم الطاغوت وشرعه لأن إفراد الله بالعبادة ونبيه بالمتابعة عنوان السعادة والفلاح وشرطٌ لقبول العمل.

---

(١) الفوائد (ص/٤٢-٤٣).

قال ابن أبي العز رحمه الله: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسمِّيه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والتوكل فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره...»(١).

فالحكم بين العباد إنما هو لله وحده سبحانه وتعالى، ولا ينبغي للعبد أن يتكلم في أحكام الله بلا علم؛ لأن القول على الله بلا علم من أعظم الذنوب كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾(٢).

فالكلام في دين الله لا يكون إلا لأهل العلم خاصة الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى بسؤالهم، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣) وقد بين أهل العلم -رحمهم الله- أن مسائل الحكم بغير ما أنزل الله لا يتكلم فيها إلا العلماء الراسخون في العلم.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «والحكم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٢٨-٢٢٩).

(٢) سورة الأعراف [٣٣].

(٣) سورة النحل [٤٣].

بغير ما أنزل الله عند البوادي، ونحوهم من الجفاة، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رُزِق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة، وفصل الخطاب))[١].

فالكلام في هذه المسألة إنما هو للعلماء الكبار فيجب على المسلم أن يحتاط لدينه ولا يكفّر أو يفسّق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره وفسقه؛ لأن الحكم بالكفر أو الفسق إنما هو لله ولرسوله كما بيّن ذلك أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فإن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، ليس لأحد في هذا حُكْم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرَّمه الله ورسوله))[٢].

وقال العلامة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله: ((وبالجملة فيجب على من نصح لنفسه أن لا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه أعظم أمور الدين، وقد كُفِينا بيان هذه المسألة))[٣].

ولقد فرق أهل السنة والجماعة بين الحكم المطلق والحكم المعيَّن، فلا يلزم من الحكم المطلق الحكم على المعيَّن فهم يفرقون بين الفعل والفاعل،

---

(١) الدرر السنية (١/٤٦٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٥٥٤-٥٥٥).

(٣) الدرر السنية (٨/٢١٧).

فقد يكون الفعل كُفْرًا، ولكن لا يكفَّر الفاعل حتى تتوفر شروط التكفير وتنتفي موانعه، وأهل السنة والجماعة يكفّرون من كفره الله ورسوله، ولا يكفرون بذنب أو معصية هذا هو منهجهم القائم على الكتاب والسنة.

قال العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((يجب على الإنسان أن يتّقيَ ربَّه في جميع الأحكام فلا يتسرَّع في البتِّ بها خصوصًا في التكفير الذي صار بعضُ أهل الغيرة والعاطفة يطلقونه بدون تفكير ولا رَوِيَّة، مع أن الإنسان إذا كَفَّر شخصًا ولم يكن الشخص أهلاً له عاد ذلك إلى قائله، وتكفير الشخص يترتب عليه أحكام كثيرة، فيكون مباح الدم والمال، ويترتب عليه جميع أحكام الكفر، وكذا يجب ألا نَجْبُن في تكفير من كفَّره الله ورسوله، ولكن يجب أن نفرق بين المعيَّن وغير المعيَّن))[1].

ولقد بيَّن لنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه العزيز حكم التحاكم إلى الطاغوت، وأَمَرَنا بالكفر به، حيث كذَّب من ادَّعى الإيمان وهو يتحاكم إلى الطاغوت كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

قال العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((أي: لأن إرادة التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من طاعة الشيطان، وهو إنما يدعو أحزابه

---

(١) القول المفيد (٢/٢٧١).

(٢) سورة النساء [٦٠].

ليكونوا من أصحاب السعير، وفي الآية دليل على أن ترك التحاكم إلى الطاغوت الذي هو ما سوى الكتاب والسنة من الفرائض، وأن المتحاكم إليه غيرُ مُؤمنٍ ولا مُسْلم»[١].

وقال العلامة بن عثيمين رحمه الله: «والمراد به هنا كلُّ حُكْم خالف حكم الله ورسوله، وكل حاكم يحكم بغير ما أنزل الله على رسوله...... قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ﴾ أي أمرهم الله بالكفر بالطاغوت أمراً ليس فيه لبس ولا خفاء، فمن أراد التحاكم إليه فهذه الإرادة على بصيرة إذ الأمر قد بين لهم»[٢].

ومن التحاكم إلى الطاغوت التحاكم إلى القوانين الوضعية التي هي من الحكم بغير ما أنزل الله وقد بيَّن العلماء ـ رحمهم الله ـ أنه يتناول الكفر الأكبر والأصغر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكُفْرَينِ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعَدَل عنها عصيانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإنْ اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حُكْم الله فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه: فهذا مخطئ، له حكم المخطئين»[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٥٥٦-٥٥٧).

(٢) القول المفيد (٢/٢٧٦).

(٣) مدارج السالكين (١/٣٦٥).

وللحكم بغير ما أنزل الله صور وحالات بيَّنها أهل العلم -رحمهم الله-؛ فمن الصور ما يكون كفرًا أكبر ومنها ما يكون كفراً أصغر، ومنها ما وقع فيه تفصيل عند العلماء.

فمن الصور التي يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر ما يلي:

«الصورة الأولى: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله حقيقة حكم الله ورسوله،... وهو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم؛ فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعياً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.

الصورة الثانية: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًّا، لكن اعتقد أن حُكْمَ غيرِ الرسول ﷺ أحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع: إما مطلقاً، أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضاً لا ريب أنه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصِرْفِ نحاتة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.

الصورة الثالثة: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللَذينِ قبله في كونه كافرًا الكفر الناقل عن الملة؛ لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1].

---

(١) سورة الشورى [١١].

الصورة الرابعة: أن لا يعتقد كون حُكْم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله؛ فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه؛ لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القطعية تحريمه»[(١)].

فهذه الصور اتفق أهل العلم على أنها كفر أكبر مخرج من الملة ولا يوجد فيها خلاف وأما الصور التي يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أصغر فهي كما يلي:-

قال العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله: «وأما القسم الثاني: من قسم كفر الحاكم بغير ما أنزل الله وهو الذي لا يخرج من الملة فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية: «كُفْر دون كُفْر» وقوله أيضاً: «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه»[(٢)]. وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى»[(٣)].

وهذا فيمن التزم بحكم الله ورسوله، ولكن قد يقع منه مخالفة.

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/٢٨٨-٢٨٩)، وانظر كلام الإمام ابن باز -رحمه الله- في «قضية التكفير» للقحطاني (ص/٧٢-٧٣). والعلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في القول المفيد (٢/٢٦٦-٢٦٧).

(٢) جامع البيان (٦/٢٥٦).

(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/٢٩١).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ((أما من حَكَم بغير ما أنزل الله؛ اتّباعاً للهوى أو الرشوة أو لعدوانية بينه وبين المحكوم عليه، أو لأسباب أخرى، وهو يعلم أنه عاص لله بذلك، وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله، فهذا يعتبر من أهل المعاصي والكبائر، ويعتبر قد أتى كفرًا أصغر وظلمًا أصغر وفسقاً أصغر، كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن طاووس وجماعة من السلف الصالح، وهو المعروف عند أهل العلم والله ولي التوفيق))[(١)].

وأما الصورة التي وقع فيها تفصيل عند العلماء -رحمهم الله- فهي إذا كان المسْتَنَد للأحكام حُكْم الطاغوت من القوانين الوضعية وغيرها مع تعطيل حكم الله؛ ففيها قولان:

القول الأول: أنه كفر أكبر.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ((فمن ترك الشرع المحْكَم المنزَّل على محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا[(٢)] وقدّمها عليه، من فعل ذلك كَفَر بإجماع المسلمين))[(٣)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/٩٩٠).

(٢) الياسا: أو الياسق أو الياساق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها -جنكيز خان- من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبّعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. [البداية والنهاية (١٣/١١٩) تفسير ابن كثير (٢/٦٨) بتصرف يسير].

(٣) البداية والنهاية (١٣/١١٩).

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومع هذه ففيهم من المصائب العظيمة، والقبائح الوخيمة، والبلايا الجسيمة، أمور غير موجودة في القسم الأول. منها: أنهم يحكّمون ويتحاكمون إلى من لا يعرف إلا الأحكام الطاغوتية منهم في جميع الأمور التي تنوبهم، وتعرض لهم، من غير إنكار ولا حياء من الله ولا من عباده ولا يخافون من أحد، بل قد يحكمون بذلك بين من يقدرون على الوصول إليهم من الرعايا ومن كان قريبًا منهم. وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على إنكاره ودفعه، وهو أشهر من نار على عَلَم، ولا شكَّ ولا ريب أن هذا كفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبشريعته التي أَمَر بها على لسان رسوله، واختارها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله بل كَفَروا بجميع الشرائع من عهد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الآن، وهؤلاء جهادهم واجب، وقتالهم متعيِّن، حتى يقبلوا أحكام الإسلام، ويذعنوا لها، ويحكموا بينهم بالشريعة المطهرة، ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية، ومع هذا فهم مصرُّون على أمور غير الحكم بالطاغوت والتحاكم إليه وكلّ واحد منها على انفراده يوجب كفر فاعله، وخروجه من الإسلام»[1].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما ذكر رؤوس الطواغيت: «الثاني: الحاكم الجائر، المغير لأحكام الله ...

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ

---

(١) الدواء العاجل (ص/٦٧-٦٨). ضمن الرسائل السلفية.

يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [(١)]» [(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة، إبليس لعنه الله، ومن عُبِد وهو راض، من ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله» [(٣)].

وقال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ عند ذكره لأنواع الكفر الأكبر: «الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقّة لله ولرسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلاً وتفريعًا وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع مستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفَّق من شرائع شتى وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة، وغير ذلك فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكمَّلة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم. فأيُّ كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة

---

(١) سورة المائدة [٤٤].

(٢) الدرر السنية (١/١٦٢).

(٣) الدرر السنية (١/١٣٦).

لشهادة أن محمدًا رسول الله بعد هذه المناقضة»[١].

وقال رحمه الله: «القوانين كفر ناقل عن الملة اعتقاد أنها حاكمة وسائغة وبعضهم يراها أعظم، فهؤلاء نقضوا شهادة أن محمدًا رسول الله ولا إله إلا الله أيضاً نقضوها، فإن من شهادة أن لا إله إلا الله لا مطاع غيرُ الله، كما أنهم نقضوها بعبادة غير الله.

وأما الذي قيل فيه كفر دون كفر إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص وأن حُكْم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها، أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضيع فهو كُفْر، وإن قالوا أخطأنا وحكم الشرع أعدل، ففرق بين المقرر والمثبت والمرجع، جعلوه هو المرجع فهذا كفر ناقل عن الملة»[٢].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي[٣] رحمه الله: «من كان منتسباً للإسلام عالماً بأحكامه، ثم وضع للناس أحكاماً وهيأ لها نظماً ليعملوا بها ويتحاكموا إليها، وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام، فهو كافر خارج عن ملة الإسلام»[٤].

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/٢٨٩-٢٩٠).

(٢) المرجع السابق (١٢/٢٨٠).

(٣) هو أبو أحمد عبد الرزاق عفيفي ولد عام ١٣٢٣هـ بمصر، عمل بالتدريس في المعهد العالي للقضاء، وأصبح نائباً لرئاسة الإفتاء، ومن أعضاء هيئة كبار العلماء، له مصنفات: مذكرة في التوحيد، ورسالة في الحكم بغير ما أنزل الله، توفي عام ١٤١٥هـ. [مقدمة كتاب فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي].

(٤) شبهات حول السنة ورسالة الحكم بغير ما أنزل الله (ص/٦٤-٦٥).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((يجب على طالب العلم أن يعرف الفرق بين التشريع الذي يُجْعل نظاماً يمشي عليه ويستبدل به القرآن، وبين أن يحكم في قضية معينة بغير ما أنزل الله فهذا قد يكون كفرًا أو فسقًا أو ظلمًا))(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((الحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين؛

القسم الأول: أن يبطل حكم الله ليَحِلَّ محلَّه حكم طاغوتي، بحيث يلغي الحكم بالشريعة بين الناس، ويُجعل بدله حكمٌ آخر من وضع البشر كالذين يُنَحُّون الأحكام الشرعية في المعاملة بين الناس، ويُحِلُّون محلَّها القوانين الوضعية، فهذا لا شك أنه استبدال بشريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غيرها، وهو كفر مخرج عن الملة؛ لأن هذا جعل نفسه بمنزلة الخالق، حيث شَرَع لعباد الله ما لم يأذن به الله، بل خالف حكم الله عَزَّ وَجَلَّ، وجعله الحكم الفصل بين الخلق، وقد سمَّى الله تعالى ذلك شركاً في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾(٢))) (٣).

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-: ((والحاكم بذلك التشريع فيه تفصيل: فإن حكم مرّة أو مرتين أو أكثر من ذلك ولم يكن ذلك ديدنًا له وهو يعلم أنه عاص بتحكيم غير شرع الله، فهذا له

(١) القول المفيد (٢٤/٣).

(٢) سورة الشورى [٢١].

(٣) فقه العبادات (ص/٦٠).

حكم أمثاله من أهل الذنوب، ولا يكفر حتى يستحل؛ ولهذا تجد أن بعض أهل العلم يقول: الحاكم بغير شرع الله لا يكفَّر إلا إذا استحل، وهذا صحيح، ولكن لا تنزَّل هذه الحالة على حالة التقنين والتشريع، كما قال ابن عباس: ليس الكفر الذي تذهبون إليه، هو كفر دون كفر. يعني: أن مَن حكم في مسألة أو في مسألتين بهواه بغير شرع الله وهو يعلم أنه عاص ولم يستحل، هذا كفر دون كفر.

أما الحاكم الذي لا يَحْكُم بشرع الله بتاتًا ويحكم دائماً ويُلزِم الناس بغير شرع الله فهذا من أهل العلم من قال: يكفَّر مطلقاً ككفر الذي سنَّ القانون؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ فَجَعل الذي يحكم بغير شرع الله مطلقاً طاغوتاً وقال: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ ومن أهل العلم من قال حتى هذا النوع لا يكفَّر حتى يستحل؛ لأنه قد يعمل ذلك ويحكم وهو يعتقد في نفسه أنه عاصٍ، فله حكم أمثاله من المدمنين على المعصية الذين لم يتوبوا منها»[1].

فأصحاب هذا القول يفرقون بين من يجعل حكم الله ورسوله هو المستَنَد له ولكنه يخالف في قضية أو أكثر وبين من يجعل حكم الطاغوت مستَنَداً له، وقد ذهب إلى هذا القول جمع من أهل العلم -رحمهم الله- وما ذكرنا منهم على سبيل التمثيل.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/٤٢٩-٤٣٠).

القول الثاني:

قالوا: لا يكفَّر الكفر الأكبر إلا إذا استحل. فاشترطوا الاستحلال وقد قال بهذا القول جماعة من أهل العلم -رحمهم الله- فنذكر بعضاً منهم على سبيل التمثيل:

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: «وإنما يحرم التحكيم إذا كان المستند إلى شريعة باطلة تخالف الكتاب والسنة، كأحكام اليونان والإفرنج والتتر وقوانينهم التي مصدرها آراؤهم وأهواؤهم، وكذلك سوالف البادية وعاداتهم الجارية فمن استحلّ الحكم بهذا في الدماء أو غيرها فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[١] وهذه الآية ذكر فيها بعض المفسرين: أن الكفر المراد هنا: كفر دون الكفر الأكبر؛ لأنهم فهموا أنها تتناول مَنْ حَكَم بغير ما أنزل الله، وهو غير مُسْتَحِلّ لذلك، لكنهم لا يتنازعون في عمومها للمستحِلّ، وأن كفره مخرج عن الملة»[٢].

وممن قال بهذا القول العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني[٣] رحمه الله

---

(١) سورة المائدة [٤٤].

(٢) منهاج التأسيس (ص/٧١).

(٣) هو العلامة المحدث أبو عبد الرحمن محمد ناصر الألباني، ولد عام ١٩١٤م، في ألبانيا، وهاجر إلى الشام وتعلم بها واشتغل بعلم الحديث حتى صار من أبرز العلماء فيه، له مصنفات من أشهرها السلسلة الصحيحة والضعيفة وإرواء الغليل، وغيرها، توفي عام =

في فتوى له طويلة[١].

وقال العلامة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في إجابته على سؤال نصه: هل يُعتبر الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله كفارًا؟ وإذا قلنا: إنهم مسلمون فماذا نقول عن قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، فأجاب رحمه الله: «الحاكم بغير ما أنزل الله أقسام، تختلف أحكامهم بحسب اعتقادهم وأعمالهم؛ فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله؛ فهو كافر عند جميع المسلمين، وهكذا من يحكم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله، ويرى أن ذلك جائز ولو قال: إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر، لكونه استحل ما حرم الله»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأما إذا كان يَشْرع حُكْمًا عامًّا تمشي عليه الأمة، يرى أن ذلك من المصلحة، وقد لُبِّس عليه فيه، فلا يكفَّر أيضاً؛ لأن كثيراً من الحكام عندهم جهل في علم الشريعة، ويتصل بهم من لا يعرف الحكم الشرعي وهم يرونه عالماً كبيراً فتحصل بذلك المخالفة، وإذا كان يعلم الشرع لكنه حَكَم بهذا أو شرع هذا وجعله دستورًا يمشي الناس عليه يعتقد أنه ظالم في ذلك وأن الحق فيما جاء به الكتاب والسنة فإننا لا نستطيع أن نكفّر هذا وإنما نكفّر من يرى أن حُكْم غير الله أولى أن يكون

= ١٤٢٠هـ. [حياة الألباني وآثاره].

(١) فتنة التكفير للألباني.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٩٩٠).

الناس عليه أو مثل حكم الله ﷻ فإن هذا كافر لأنه مكذِّب لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ثم هذه المسائل لا تعني أننا إذا كفَّرنا أحداً فإنه يجب الخروج عليه؛ لأن الخروج تترتب عليه مفاسد عظيمة أكبر من السكوت»[1]. وهذا القول الأخير للشيخ: في هذه المسألة، حيث كان قبل وفاته بسنة وأشهر قليلة.

---

(١) إجابة الشيخ في شريط على سؤال لأحد طلبة العلم في ٢٠/ربيع الأول/١٤٢٠هـ.
وانظر: جريدة الوطن عدد ١٤٤ الأحد ٢٦/شوال/١٤٢١هـ.

المطلب الثاني: أنواع التحاكم إلى الطاغوت وحُكْم كل نوع منها

تقدم فيما سبق أن الله ﷻ فرض علينا الكفر بالطاغوت، ومن الكفر به عدم تحكيمه أو التحاكم إليه بجميع أنواعه الحسيه أو المعنوية، فالله جل وعلا أمرنا بالرد إليه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد أَمَرنا الله بردّ ما تنازعنا فيه إليه وإلى رسوله ﷺ، فلم يبح لنا قط أن نردَّ ذلك إلى رأي ولا قياس ولا تقليد إمام ولا كشوف ولا إلهام ولا حديث قلب ولا استحسان ولا معقول ولا شريعة الديوان ولا سياسة الملوك ولا عوائد الناس التي ليس على شرائع المسلمين أضرُّ منها، فكل هذه طواغيت من تحاكم إليها أو دعا منازعه إلى التحاكم إليها فقد حاكم إلى الطاغوت»[1].

فالتحاكم إلى الطاغوت بشتَّى أنواعه لا يجتمع مع الإيمان كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾: «ولا ريب أن الحكم المعلق على شرط ينتفي عند انتفائه»[3].

---

(١) إعلام الموقعين (١/٢٤٤).

(٢) سورة النساء [٥٩].

(٣) إعلام الموقعين (١/٣٩).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنه سبحانه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة؛ انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكلٌّ منهما ينتفي بانتفاء الآخر، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم وأن عاقبته أحسن عاقبة، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حَكَّم الطاغوت وتحاكم إليه»[1].

وقد بينت اللجنة الدائمة حال من يتحاكم إلى حكومة غير مسلمة في جواب سؤال نصه: «لا يجوز لمسلم أن يتحاكم إلى حكومة غير مسلمة قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وهذا واضح ولله الحمد»[2].

بل قد ذكر بعض أهل العلم أن رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ سبب لحبوط العمل فكيف بمن قَدَّم أحكام الطواغيت على اختلافها وتنوعها على حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان رفع أصواتهم[3] فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم

---

(١) المرجع السابق (١/٤٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٧٨٧). فتوى رقم (٥٢٣٦).

(٣) إشارة لآية الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ سورة الحجرات [٢].

على ما جاء به ورفعها عليه؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم))[١].

وقد بيَّن أهل العلم -رحمهم الله- أحوال من تحاكم إلى الطاغوت وحكم كلّ نوع منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله، يكونون على وجهين:-

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدَّلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم فكان من اتَّبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله؛ مُشْرِكاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب))[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: ((واعلم أن اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) إعلام الموقعين (١/٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٧٠).

الأول: أن يتابعهم في ذلك راضيًا بقولهم مقدِّمًا له ساخطاً لحكم الله فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله فأحبط الله عمله ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكلّ من كَرِه ما أنزل الله فهو كافر.

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيًا في حكم الله وعالماً بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ولكن لهوى في نفسه اختاره كأن يريد مثلاً وظيفة، فهذا لا يُكفَّر ولكنه فاسق.

الثالثة: أن يتابعهم جاهلاً فيظنّ أن ذلك حكْمُ الله فينقسم إلى قسمين:

أ- أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه فهو مفرِّط أو مقصِّر فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب- أن لا يكون عالماً ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدًاويظن أن هذا هو الحق فهذا لا شيء عليه لأنه فعل ما أمر به وكان معذوراً بذلك»[1].

وبهذا يتضح أحوال الناس في التحاكم إلى الطاغوت فإنهم ليسوا على درجة واحدة في الحكم عليهم.

ومما قد يُبْتَلى به العبد أن يكون له حق ولا يصل إليه إلا بالتحاكم إلى الطاغوت فبيَّن أهل العلم -رحمهم الله- الحكم في هذه الحالة وفرَّقوا بين المكْرَه وغيره ممن له أغراض دنيوية ونحوها، كما جاء في سؤال ورد على اللجنة الدائمة وفيه: (فما حكم من يتحاكم إلى القوانين الوضعية وهو يعلم

---

(١) القول المفيد (٢/٢٦٤).

بطلانها فلا يحاربها ولا يعمل على إزالتها).

فأجابت: «الواجب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند الاختلاف، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾. والتحاكم يكون إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن لم يكن يتحاكم إليها مستحلاً التحاكم إلى غيرهما من القوانين الوضعيه بدافع طمع في مال أو جاه أو منصب؛ فهو مرتكب معصية، وفاسق فسقاً دون فسق، ولا يخرج من دائرة الإيمان»[1].

وقد ذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز –حفظه الله– التفصيل في هذه المسألة حيث قال: «الحالة الثالثة: حال المتحاكمين، يعني الذي يذهب هو وخصمه ويتحاكمون إلى قانون، فهذا فيه تفصيل أيضاً وهو: إن كان يريد التحاكم إلى الطاغوت، وله رغبة في ذلك، ويرى أن الحكم بذلك سائغ ولا يكرهه، فهذا كافر أيضاً؛ لأنه داخل في هذه الآية[2]، ولا تجتمع –كما قال العلماء– إرادة التحاكم إلى الطاغوت مع الإيمان بالله بل هذا ينفي هذا،

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٧٨١/١-٧٨٢). رقم (٦٣١٠).

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ النساء [٦٠].

والله جل وعلا قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾، وأما إن كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه، وإنما أُجْبِر على ذلك، كما يحصل في البلاد الأخرى، من إلزامه بالحضور مع خصمه إلى قانونيّ أو إلى قاض يحكم بالقانون، أو أنه عَلِم أن الحق له في الشرع فرفع الأمر إلى القاضي في القانون لعلمه أنه يوافق حكم الشرع، فهذا الذي رفع أمره في الدعوى على خصمه إلى قاض قانونيّ لعلمه أن الشرع يعطيه حقَّه وأن القانون وافق الشرع في ذلك فهذا الأصح أيضاً عندي أنه جائز. وبعض أهل العلم يقول: يتركه ولو كان الحقّ له، والله -جلّ وعلا- وصف المنافقين بقوله: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾[1] فالذي يرى أن الحق ثبت له في الشرع وما أجاز لنفسه أن يترافع إلى غير الشرع إلا لأنه يأتيه ما جعله الله جل وعلا له مشروعاً، فهذا لا يدخل في إرادة التحاكم إلى الطاغوت فهو كَاره ولكنّه حَاكَم إلى الشرع فعلِم أن الشرع يحكم له، فجعل الحكمَ الذي عن القانوني وسيلة للوصول إلى الحقّ الذي ثبت له شرعاً»[2].

(١) سورة النور [٤٩].

(٢) التمهيد بشرح كتاب التوحيد (ص/٤٣٠-٤٣١).

الفصل الخامس: من ادَّعى علم الغيب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضابط هذا النوع وأدلته.

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع.

المبحث الأول: ضابط هذا النوع، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ضابط هذا النوع.

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بعلم الغيب.

المطلب الثالث: وجه تسمية من ادَّعى علم الغيب طاغوتاً.

المطلب الأول: ضابط هذا النوع

لقد تفرد الله ﷻ بعلم الغيب وهذه من خصائص صفاته -عزّ وجل- التي لا ينازعه فيها أحد من خلقه لا نبي مرسل ولا مَلَك مقرَّب، فمن صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب ولا يدّعونه ومن صفات الطواغيت أنهم يدّعون علم الغيب وهم كذبة في ذلك؛ لأن الله -جلّ وعلا- استأثر بعلمه كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١]، والغيب هو ما غاب واستتر وقد يكون غيباً مطلقًا أو نسبياً، وسُمِّي بذلك باعتبار غيابه عن الناس أما الله -عزّ وجل- فالغيب عنده شهادة.

قال الألوسي رحمه الله: «والغيب في الأصل مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت بحق العين، واستُعمل في الشيء الغائب الذي لم تنصب له قرينة، وكون ذلك غيباً باعتباره بالناس ونحوهم لا بالله عز وجل؛ فإنه سبحانه لا يغيب عنه تعالى شيء، لكن لا يجوز أن يقال إنه -جلّ وعلا- لا يعلم الغيب قصداً إلى أنه لا غيب بالنسبة إليه ليقال يعلمه»[٢].

والغيب نوعان؛ نوع لا يعلمه إلا الله ﷻ، وغيب يعلمه بعض مخلوقاته من علم الله لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين الذي قال فيه ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ والغيب المقيَّد ما

---

(١) سورة النمل [٦٥].

(٢) روح المعاني (١٠/٢٠).

علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنما هو غيب عمَّن غاب عنه، ليس هو غيباً عمن شهده، والناس كلُّهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيباً مقيَّدًا، أي غيباً عمّن غاب عنه من المخلوقين لا عمن شهده، ليس غيباً مطلقاً غاب عن المخلوقين قاطبة»[1].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «الغيب قسمان: غيب حقيقي مطلق، وهو ما غاب علمه عن جميع الخلق حتى الملائكة، وفيه يقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2].

وغيب إضافي وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض كالذي يعلمه الملائكة من أمر عالَمِهم وغيره، ولا يعلمه البشر مثلاً»[3].

فالغيب المطلق تفرد الله سبحانه وتعالى بعلمه ومن ادّعى علمه من المخلوقين فهو طاغوت؛ لأنه ادّعى صفة من صفات الرب ﷻ وتجاوز حدّه فهذا هو ضابط هذا النوع.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الغيب هو ما غاب عن الإنسان وهو نوعان: واقع، ومستقبل، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده، أو من أطْلَعه عليه من الرسل. فمن ادَّعى علمه فهو كافر؛ لأنه مكذِّب لله ﷻ

---

(١) الفتاوى (١٦/١١٠).

(٢) سورة النمل [٦٥].

(٣) تفسير المنار (٧/٤٢٢).

ولرسوله، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[(١)].

وإذا كان الله ﷻ يأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم مَن في السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادَّعى علم الغيب فقد كَذَّب الله ﷻ ورسوله في هذا الخبر، ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ ؟! فإن قالوا نحن أشرف من الرسول كفروا بهذا القول، وإن قالوا هو أشرف، فنقول: لماذا يُحْجَب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟! وقد قال الله ﷻ عن نفسه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[(٢)].

وهذه آية ثانية تدل على كُفْر من ادّعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾[(٣)] [(٤)].

فبهذا يتضح كُفْر من ادَّعى علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فإذا

---

(١) سورة النمل [٦٥].

(٢) سورة الجن [٢٦-٢٧].

(٣) سورة الأنعام [٥٠].

(٤) شرح الأصول الثلاثة (ص/١٥٣-١٥٤).

كان صفوة الخلق محمد ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله فمن ادعى علم الغيب فهو طاغوت، وقد بيَّن أهل العلم -رحمهم الله- الفرق بين ما يعلم بأسباب محسوسة وبين ما يدّعيه الطواغيت من الأمور الغيبية حتى لا يقع خلط في إطلاق الحكم على من أخبر بذلك الغيب النسبي.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «وأما ما يعلمه بعض البشر بتمكينهم من أسباب واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس فليس من علم الغيب وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب، ويقولون إن التصديق بها تصديق بالكهانة... فالذي يعلم بالحس لا يمكن إنكاره ولو أن أحدًا أنكره مستندًا بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعنًا بالشرع»[2].

فبهذا يظهر الفرق بين معرفة الأمور الغيبية النسبية لبعض الناس وبين ما يدّعيه الطواغيت من معرفتهم الكاذبة للغيب الذي تفرد الله -جلّ وعلا- بعلمه.

---

(١) تفسير المنار (٧/٤٢٢).

(٢) القول المفيد (٢/٤٨).

المطلب الثاني: أدلة تفرد الله بعلم الغيب

من أصول أهل السنة والجماعة أنه ﷻ متفرِّد بعلم الغيب لا يشركه في ذلك؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، بخلاف بعض الطوائف الضالة الذين يعتقدون أن الأولياء وغيرهم من البشر يعلمون الغيب، فالطواغيت بعضهم يدعي معرفة علم الغيب وهو كاذب، ولقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة المطهرة على تفرد الله بعلم الغيب قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٢).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: ((يخبر تعالى أنه المنْفَرد بعلم غيب السماوات والأرض، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وكقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها، فلم يعلمها مَلَكٌ مقرَّب ولا نبي مرسَل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك، والمحيط بالسرائر والبواطن والخفايا، فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له))(٣).

---

(١) سورة هود [١٢٣].

(٢) سورة النمل [٦٥].

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص/٦٠٨).

ولقد دلت الأدلة على أن مفاتيح الغيب عند الله ولا يعلمها إلا هو كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس، أو ما لا يخفى عليهم، فأخبر الله تعالى، أن عنده علمَ كلَّ شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب))[2].

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلِّها، التي يُطْلَع منها ما شاء من خلقه وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقرَّبين، والأنبياء المرسَلين، فضلاً على غيرهم من العالمين ... ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ قد حواها واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته،

---

(١) سورة الأنعام [٥٩].

(٢) جامع البيان (٢١٣/٧).

لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد، المحيط بجميع الحوادث»[(١)].

ومفاتح الغيب التي ذكرت في الآية السابقة جاء بيانها في آية أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾[(٢)].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها، فلا يعلمها أحدٌ إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبيٌّ مرسل ولا مَلَك مقرَّب ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكَّلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى، أو شقيًّا أو سعيدًا عَلِم الملائكة الموكَّلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخراها، ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ ﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك»[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/٢٥٩).

(٢) سورة لقمان [٣٤].

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/٣٥٢).

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: ((ومن حِكْمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك)) (١).

فهذه الأدلة تدل على تفرد الله بعلم الغيب، وكلّ طريق يراد بها معرفة الغيب باطلة ماعدا طريق الكتاب والسنة.

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله: ((عند الله تعالى علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلا هو، فمن شاء إطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه))(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (٣).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يَطَّلِعُ أحدٌ من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري))(٤).

وقد دلت السنة المطهرة على تفرد الرب -جلّ وعلا- بعلم الغيب فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/٦٥٣).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٧٣٨).

(٣) سورة الجن [٢٦].

(٤) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٤٧).

الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[١].

ونقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: عن ابن أبي جمرة قوله: «استعار للغيب مفاتيح اقتداء بما نطق به الكتاب العزيز ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ وليقرب الأمر على السامع لأن أمور الغيب لا يحصيها إلا عالمها وأقرب الأشياء إلى الاطلاع على ما غاب الأبواب، والمفاتيح أيسر الأشياء لفتح الباب، فإذا كان أيسر الأشياء لا يعرف موضعها فما فوقها أحرى أن لا يعرف قال: والمراد بنفي العلم عن الغيب الحقيقي فإن لبعض الغيوب أسبابًا قد يستدل بها عليها لكن ليس ذلك حقيقياً قال: فلما كان جميع ما في الوجود محصورًا في علمه شبَّهه المصطفى بالمخازن واستعار لبابها المفتاح وهو كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ قال والحكمة في جعلها خمساً الإشارة إلى حصر العوالم فيها»[٢].

والأنبياء الذين هم أفضل الخلق لا يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله- جلّ وعلا- كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿قُل

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ رقم (٧٣٧٩).

(٢) فتح الباري (١٣/٤٤٦).

لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[٢].

قال العلامة صديق حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((أي لو كنت أعلم جنس الغيب، لتعرضت لما فيه الخير، فجلبته إلى نفسي، وتوقَّيت ما فيه السوء حتى لا يمسني، ولكني عبد لا أدري ما عند ربي، ولا ما قضاه فيَّ، وقدَّره لي، فكيف أدري غير ذلك، وأتكلّف علمه))[٣].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((فقد ظهر أن أعلم المخلوقات وهم الرسل، والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما علَّمهم الله تعالى، وهو – تعالى– يُعْلِم رسله من غيبه ما شاء، كما أشار له بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[٤] وقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[٥]))[٦].

والاستثناء الوارد في الآية يدل على أن الله قد يُطْلِع أنبياءه على بعض

---

(١) سورة الأنعام [٥].

(٢) سورة الأعراف [١٨٨].

(٣) الدين الخالص (١/٤٣٤).

(٤) سورة آل عمران [١٧٩].

(٥) سورة الجن [٢٦-٢٧].

(٦) أضواء البيان (١/٤٨٢).

المغيبات ليكون ذلك دليلاً على صدق كلامه ونبوته.

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: ((أن علوم الغيب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصَّه بعلم شيء منها))[1].

فمما تقدم من الأدلة وعرض كلام أهل العلم -رحمهم الله- يتضح تفرد الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب وأن مفاتحه بيده سبحانه وتعالى وما أخبر به رسله -صلوات الله وسلامه- عليهم إنما هو بإخبار الله لهم، وأما ما يدعيه الطواغيت من معرفة العلوم الغيبية فهذا كَذِب وافتراء وهو من وحي الشيطان.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/٨٩٢).

المطلب الثالث: وجه تسمية من ادَّعى علم الغيب طاغوتًا

لقد تفرَّد الله ﷻ بصفات الكمال التي لا ينازعه فيها أحد من خلقه لا مَلَك مقرب ولا نبي مرسل، فمن صفاته ﷻ أنه يعلم الغيب وهذه الصفة قد امتدح الله عباده المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] فمدحه الله ﷻ وأثنى عليهم وأخبر أنهم على الحق والهدى بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2] فالموحِّد هو الذي يؤمن بالغيب ولا ينازع الله في أي صفة من صفاته ﷻ وأما الطاغوت فبخلاف ذلك تمامًا فهو يدَّعي علم الغيب وينازع الله في صفاته ﷻ؛ لأنه تجاوز حدَّه فأصبح طاغوتًا مثل الكُهَّان والسَّحَرَة والعرَّافين، وغيرهم كثير ممن يدَّعي علمَ الغيب.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله مبيناً أن مدَّعي علم الغيب من الطواغيت: «فالمتبوع مثل الكهَّان، والسحَرَة، وعلماء السوء والمعبود مثل الأصنام، والمطاع مثل الأمراء الخارجين عن طاعة الله، فإذا اتخذهم الإنسان أرباباً يحلّ ما حرَّم الله من أجل تحليلهم له، ويحرم ما أحل الله من أجل تحريمهم له فهؤلاء طواغيت، والفاعل تابع للطاغوت»[3]. فاستحقاق اسم الطاغوت لمن ادَّعى علم الغيب

---

(١) سورة البقرة [٢].

(٢) سورة البقرة [٥].

(٣) القول المفيد (١/٢٣).

ظاهر كما بيَّنه أهل العلم -رحمهم الله- وقد بينت اللجنة الدائمة متى يطلق على الشخص أنه طاغوت في سؤال نصه: «متى نفرد شخصًا باسمه وعينه على أنه طاغوت؟ الجواب: «إذا دعا إلى الشرك أو لعبادة نفسه أو ادّعى شيئاً من علم الغيب أو حكم بغير ما أنزل الله متعمِّداً ونحو ذلك...». بل قد عدَّ بعض أهل العلم -رحمهم الله- المدَّعي لعلم الغيب من رؤوس الطواغيت، كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة، الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1]»[2].

والسبب في جعله من رؤوس الطواغيت لأنه ادعى علماً لم تدَّعِهِ الأنبياء والملائكة ولا الجن، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[3] وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾[4] ففي هذه الآيات دليل على أن الأنبياء لا تعلم الغيب وقال - جلّ وعلا- عن الملائكة: ﴿قَالُوا۟

---

(١) سورة الجن [٢٦-٢٧].

(٢) مجموعة التوحيد (ص/١٠).

(٣) سورة الأنعام [٥].

(٤) سورة هود [٣١].

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(١) وقال عن الجن في بيان أنهم لا يعلمون الغيب: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾(٢).

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة أن علم الغيب لا يعلمه الأنبياء ولا الملائكة ولا الجن مما يدل على عظم ادِّعاء هذا العلم الذي تفرد الله به، وفي هذه الآيات وغيرها دليل على كَذِب هؤلاء الطواغيت فيما يدَّعونه من علم الغيب.

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: ((وفي الآية رد على المنجِّمين وعلى كلِّ مَن يدعي أنه يطَّلِع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك؛ لأنه مكذِّب للقرآن، وهم أبعد شيء من الارتضاء مع سلب صفة الرسلية عنهم))(٣).

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ((لما جاء القرآن العظيم بأن الغيب لا يعلمه إلا الله كان جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي من الضلال المبين، وبعضها يكون كفراً))(٤).

ولقد بيَّن أهل العلم -رحمهم الله- حكم هذا الطاغوت المدَّعي عِلْمَ

---

(١) سورة البقرة [٣٢].

(٢) سورة سبأ [١٤].

(٣) فتح الباري (١٣/٣٦٤-٣٦٥).

(٤) أضواء البيان (٢/١٧٦).

الغيب وأنه خارج من الملة بهذه الدعوى.

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: «مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله لا إمارة عليها، ولا علامة عليها، إلا ما أخبر به الصادق المجتبى ... وأما من ادَّعى علمَ الكسب في مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريب في كفره أيضاً ..»[1].

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختصّ به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كُفْر، فكيف يكون المدَّعي لذلك وليًا لله»[2].

وقال العلامة صديق حسن رحمه الله: «فمن اعتقد في نبي، أو وليٍّ، أو جنٍّ، أو مَلك، أو إمام، أو ولد الإمام، أو شيخ، أو شهيد، أو منجِّم[3]، أو رمّال[4]، أو جفار أو فاتح فال أو برهمن أو راهب[5] أو جنيّة أو خبيث

---

(١) أحكام القرآن (٢/٧٣٨).

(٢) فتح المجيد (٢/٤٩٦).

(٣) المنجم: هو من يتكلم في معرفة الأمور الغائبة؛ كالدلالة على مسروق ومكان الضالّة ونحوها، أو المستقبلة كمجيء المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلم إلا من طريق الوحي. [معارج القبول (٢/٥٧٢) بتصرف يسير].

(٤) الرمَّال: الذي يخط بالأرض أو غيرها ويخبر عن المغيبات. [معارج القبول (٢/٥٧٢) بتصرف].

(٥) الراهب: هو العابد.

أن له مثل هذا العلم، وهو يعلم الغيب بعلمه ذلك فهو مشرك بالله، وعقيدته هذه من أبطل الباطل، وأكذب المكذوبات، وهو منكر لهذه الآية القرآنية[١] وجاحد لها»[٢].

فوجه تسمية من ادّعى علم الغيب طاغوتًا؛ لأنه تجاوز حدَّه وادّعى حق الخالق.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدَّعي الاطّلاع على علم الغيب أنه ادَّعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه وكَذَّب القرآنَ الوارد بذلك»[٣].

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الأنعام: ٥٩.

(٢) الدين الخالص (١/٤٢٥-٤٢٦).

(٣) أضواء البيان (٢/١٧٨).

المبحث الثاني: أمثلة هذا النوع، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الساحر.

المطلب الثاني: الكاهن.

المطلب الثالث: غلاة المتصوفة.

المطلب الرابع: زنادقة الرافضة.

المطلب الأول: الساحر

تقرر فيما سبق أن مدعي علم الغيب طاغوت لتجاوزه حدَّه الشرعي، ومن هؤلاء الطواغيت الساحر الذي يشرك بالله ويستعين بالشياطين لمعرفة علم الغيب؛ لأن الساحر طاغوت، وقد جاء في تعريف بعض أهل العلم للطاغوت بأنه الساحر[1].

ولقد دلت الأدلة على عِظَم هذا الذنب حيث جعله النبي ﷺ من السبع الموبقات كما جاء عنه ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

فالسحر من الشرك بالله؛ لأن عطف السحر على الشرك هو من عطف الخاص على العام، فالسحر شرك بالله وكفر به إذا كان باستعانة الشياطين، وهو الغالب على السِّحْر والسحرة، كما قال بعض أهل العلم -رحمهم الله-: «السحر من عمل الشيطان يفعله في الإنسان بنفثه ونفخه وهمزه ووسوسته ويتلقاه الساحر بتعليمه إياه، ومعونته عليه، فإذا تلقاه عنه استعمله إلى غيره بالقول والنفث»[3].

---

(١) جامع البيان (٣/١٩)، (٥/١٣٢).

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب/الوصايا (٥/٣٩٣)، رقم (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب/ الإيمان (١/٩٢)، رقم (٨٩).

(٣) شرح السنة للبغوي (١٢/١٨٨).

ولأجل اختلاف وتنوع صُوَر السحْر اختلفت عبارات العلماء في تعريفهم للسحر.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «اعلم أن السِّحْر في الاصطلاح لا يمكن حدُّه بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدِّه اختلافاً متبايناً»[١].

ومن أجمع التعريفات للسحر: «أنه عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويَقْتُل ويفرِّق بين المرء وزوجه»[٢].

والساحر مشرك طاغوت؛ لأنه أشرك بالله وأطاع الشيطان وادعى علمَ الغيب، قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «فالسحر يدخل في الشرك من جهتين: أولاً من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربَّما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

ثانياً: ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك من شُعَب الشِّرك والكُفْر.

وفيه أيضاً من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابّين والصَّرْف والعَطْف والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله، ولذلك تعيَّن قَتْل الساحر لشدة مضرّته وإفساده»[٣].

---

(١) أضواء البيان (٤/٤٤٤).

(٢) المغني لابن قدامة (٨/١٥٠).

(٣) القول السديد (ص/٩٧).

ومما يدل على عِظَم ذَنْب الساحر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((من نصيب))[2].

قال قتادة: ((وقد عَلِم أهل الكتاب فيما عُهِد إليهم أن الساحر لا خَلاَقَ له في الآخرة))[3].

وقال الحسن: ((ليس له دين))[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[5].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ((فاعلم أن قوله تعالى في هذه الآية الكريمة يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وأكد ذلك بالتعميم في الأمكنة بقوله: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ وذلك دليل على كفره؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً إلا عمَّن لا خير فيه، وهو الكافر... وقد عُرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة (لا يفلح) يراد بها الكافر كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا

---

(١) سورة البقرة [١٠٢].

(٢) الدر المنثور (١/٢٥١).

(٣) جامع البيان (١/٤٦٤).

(٤) جامع البيان (١/٤٦٥).

(٥) سورة طه [٦٩].

مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾»[1].

وهذا يدل على أن الساحر لا يفلح أبدًا ولقد بيَّن أهل العلم -رحمهم الله- حال السحر والساحر حيث بيَّنوا أن لكل نوع من أنواعه حُكْمًا يختص به فإذا كان السحر قائماً على الاستعانة بالشياطين فهذا كفر أكبر، ومن هنا أصبح الساحر طاغوتاً.

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- : «فحقيقة السحر إذن أنه استخدام للشياطين في التأثير، ولا يمكن للساحر أن يصل إلى إنفاذ سحره حتى يكون متقربًا إلى الشياطين، فإذا تقرَّب إليها خدمته شياطين الجن بأن أثرت في بَدَن المسحور، فلكل ساحر خادم من الشياطين يخدمه ولكل ساحر مستعان به من الشياطين، فلا يمكن للساحر أن يكون ساحرًا على الحقيقة إلا إذا تقرَّب إلى الشياطين؛ ولهذا فإن السحر شرك بالله»[2].

فالساحر الذي يستعين بالشياطين قد دلَّت النصوص على كُفْره، وهو طاغوت لتجاوزه حدَّه الشرعي، حيث أشرك بالله بعبادته للشيطان وطاعته لهم في الكفر من أجل إضرار الناس وإدعائه علم الغيب.

---

(١) أضواء البيان (٤/٣٣٥).

(٢) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص/٢٩٧).

يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن وليًّا لله، وهو من أولياء الشيطان»[١].

ولقد جاءت السنة المطهرة بالوعيد الشديد لمن أتى الكاهن أو صدقه لما في ذلك من منافاة لأصل التوحيد أو كماله، قال ﷺ: «من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كَفَر بما أنزل على محمد ﷺ»[٢].

وقال ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطُيِّر له، أو تكهن أو تُكُهِّن له، أو سحر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[٣].

وهذا الوعيد في حق الكاهن؛ لأنه جاوز حدَّه الشرعي فأصبح طاغوتاً من جهتين:

الأولى: أنه جاوز حدَّه بدعواه علم الغيب ومن فعل هذا فهو طاغوت.

والثانية: أنه جاوز حده في حكمه بين الناس بغير ما أنزل الله من أحكام الجاهلية وغيرها مما توحيه إليه الشياطين.

والكاهن لا بد له من قرين من الشياطين، ولا تخدمه إلا بعد أن يُشْرِك بالله، وهذا عندهم من الاستمتاع بالجن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن استمتاع الإنس بالجن

---

(١) فتح المجيد (٢)٤٨٧

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطب، باب: في الكاهن (٤/٢٢٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٧/٦٨).

(٣) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٥٢) وقال: إسناده جيد.

المطلب الثاني: الكاهن

إن مدّعي الغيب طواغيت وهم كُثُر، ولهم أسماء تختلف باختلاف أحوالهم مع الجن والشياطين، والجامع لهم مجاوزة الحدّ الشرعي وهذا تعريف الطاغوت، والطاغوت أفراده كثيرة، فمن أفراده الكاهن كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بتسمية الكهان التي كانت في أحياء العرب طواغيت، قال: «كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حيٍّ واحد كهان ينزل عليهم الشيطان»[1]. وزاد ابن جريج رحمه الله: «قال: كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم».

والكاهن هو الذي يدَّعي علم الغيب قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العرَّاف: اسم الكاهن والمنجِّم والرمَّال ونحوهم كالحازر الذي يدَّعي علم الغيب، أو يدَّعي الكشف»[2].

والكهان كانوا قبل البعثة كثيرين وبعد مبعث نبينا محمد ﷺ أصبحوا قليلين.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا، وأما بعد المبعث فإنهم قليل؛ لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة: ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس، عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة، وقد اغترَّ بذلك كثير من الناس،

---

(١) سبق تخريجه (ص/٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٣/٣٥).

استخدامهم في الأخبار بالأمور الغائبة، كما يخبر الكهان، فإن في الإنس من له غرض في هذا؛ لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك»[١].

فالكهان لما ادَّعوا علم الغيب كانوا طواغيت، وقد جاء عن بعض أهل العلم أن الطاغوت: اسم جنس يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدرهم والدينار وغير ذلك[٢].

وقال العلامة ابن سعدي في الكهان ونحوهم: «هم كلُّ من يدَّعي علم الغيب بأي طريق من الطرْق، وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادَّعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها أو صدَّق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وقد كذَّب الله ورسوله. وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله»[٣].

ومما تقدم يتضح كون الكاهن طاغوتًا من الطواغيت الذين نازعوا الله في صفاته وتجاوز الحد الشرعي.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٥٦٥).

(٣) القول السديد (ص/١٠٠).

المطلب الثالث: غلاة المتصوفة

تقرر فيما سبق أن الله -جلّ وعلا- متفرد بصفات الكمال المطلق وأنه لا يعلم الغيب إلا الله ومن ادعى علم الغيب فهو طاغوت لادّعائه صفة من صفات الله ﷻ وتجاوزه لحدِّه الشرعي، ومن أصناف الطواغيت الذين يدّعون علم الغيب غلاة المتصوفة، فهم يكذِبون على الناس ويزعمون أنهم يعلمون الغيب، بل يدعون مشاهدة اللوح المحفوظ ومعرفة ما فيه، فهم يفترون الكذب ويتكهنون، وهذا طريق من خرج عن شريعة الأنبياء والمرسلين واتبع الطواغيت والشياطين فهم الذين يوحون إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومعنى الكهانة والشعر موجود في كثير من المتفلسفة، والمتصوفة، والمتكلمة، والمتفقهة، والعامة، والمتفقرة، الخارجين عن الشريعة، الذين يتكلَّمون بالغيوب عن كهانة، ويحركون النفوس بالشعر ونحوه، وهم من أتباع المتنبئين الكذّابين، لهم مادة من الشياطين، كما قد رأيناه كثيرًا في أنواع من هذه الطوائف وغيرها»(١).

فكل من خَرَجَ عن الشريعة المحمدية فهو داخل في الشريعة الطاغوتية وكلام غلاة المتصوفة ينكره من له أدنى مسكة عقل، وكلامهم في معرفة الغيب كثير في كتبهم، وسأذكر بعض النقول عنهم مما يدلُّ على أنهم طواغيت ينازعون الله في معرفة علم الغيب.

«فإذا كشف الحجاب وفتح لهم الباب عِلْم العوالم بأجمعها على ما

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٥٣).

هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد، وعِلْم كل شيء كيف كان، وكيف هو كائن، وكيف يكون، وعلم ما لم يكن ولم لا يكون ما لم يكن، ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون، كل ذلك علمًا أصليًا كميًا كشفيًا ذوقيًا من ذاته لسريانه في المعلومات علمًا إجماليًا تفصيلاً كلّياً جزئياً مفصلاً في إجماله، ومنهم من تجلّى عليه بصفة السميع فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات، وكان البعيد عنه كالقريب»[(١)].

فهذا هو حال غلاة وطواغيت الصوفية يدعون معرفة الغيب، فينازعون الله فيما استأثر به ويدعون صفة من صفاته، ومن إفكهم وضلالهم أنهم يدعون معرفة مفاتيح الغيب التي استأثر الله ﷻ بعلمها ولا يعلمها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهؤلاء الطواغيت يدعون معرفتها.

قال صاحب كتاب الإبريز: «قلت للشيخ ﷺ: إن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[(٢)].

فقال: كيف يخفى أمر الخمس عليه، والواحد من أهل التصوف من

---

(١) الإنسان الكامل (١/٦٣-٦٤).

(٢) سورة لقمان [٣٤].

أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس» [١].

فأيُّ ضلال فوق هذا وأيُّ زندقة بعد هذا، فلا غرابة أن يقع هذا من الطواغيت مما يدل على أن الكفر بهم فرض ولا يصح دين العبد إلا بالكفر بكل طاغوت ينازع الله فيما اختص به ﷻ. وقال بعض طواغيتهم مبيناً ما يحصل للذاكر باسم الحي من الكشوف والأمور الغيبية كما هو ديدنهم: «من عَبَد الله باسمه الحيَّ واستغرق فيه ليلا ونهارشاهد حياة كل شيء وكُوشف بسرِّ الملك والملكوت، ومن عَبَد الله باسمه الأحد المحيي وأكثر منه ولا حدَّ لأكثره شاهد حياة كل شيء ومحييه ومن ذكر بهم جمعًا صعدت روحه إلى الملأ الأعلى وصعدت روحه إلى العرش ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين» [٢].

فهذا كلامهم من كتبهم شاهد على كفرهم وضلالهم وطاغوتيتهم فهم أولياء للشيطان لا أولياء للرحمن.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله مبيناً أحوال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان: «ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله تعالى من صفاتهم في سورة الرعد، والمؤمنون، والفرقان، والذاريات، والطور، فالمتصفون بتلك

---

(١) الإبريز (ص/٢٧٤).

(٢) أبو الحسن الشاذلي، د. عبد الحليم محمود (ص/٦١٤)، وانظر: الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق (ص/٢٣٥)، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، د. محمد أحمد لوح (١/١٨٤-٢٢٠).

الصفات هم الأولياء الأصفياء لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة ربِّ العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كفْرٌ فكيف يكون المدّعي لذلك ولياً لله؟ وقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولبَّسوا بها على خفافيش القلوب، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة»[1].

(١) فتح المجيد (٢/٤٩٦).

المطلب الرابع: زنادقة الرافضة

لقد ادّعى معرفة علم الغيب بعض الطوائف التي خالفت الكتاب والسنة، ومن هذه الطوائف الرافضة فقد زعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب وهذا كذب صريح؛ لأنه لا يعلم الغيبَ إلا الله — جلّ وعلا – ، وهذه أقوالهم ننقلها شاهدة على ما يقولون من كتبهم ففي كتاب الكافي باب بعنوان: «أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا عَلِموا».

وزعم أن جعفر الصادق يقول: «إن الإمام إذا شاء أن يعْلَم عَلِم».

وعنه أيضاً: «أيُّ إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة الله على خلقه»[1].

وهذا الذي ينسبونه إلى جعفر الصادق من الكذب الصريح الذي هو منه براء، حيث لا يليق بأحد أفراد الأمة أن يقول هذا، فكيف بإمام من أئمة السنة والجماعة؟!

ومن كذبهم وافترائهم عليه وزعمهم أنه يقول بعلم الغيب ما ذكروا أن جعفراً الصادق كان مع جماعة من شيعته: « فقال: أعلينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: وربِّ الكعبة، وربِّ البيّنة ثلاث مرات . لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام لأخبرتهما أني أعْلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد

---

(١) الكافي كتاب الحجة (٢٥٨/١).

ورثناه من رسول الله ﷺ»[١].

ومما نسبوه إليه كذبًا وبهتانًا أنه قال: « لا يريد أحدٌ منا عِلْم أمر من الأرض أو أمر من أمر السماء إلى الحجب التي بين الله وبين العرش، إلا رفع طرفه إلى ذلك النور فرأى تفسير الذي أراد فيه مكتوباً»[٢].

وقال بعض زعمائهم: «إن الله أيد أنبياءه وأولياءه بالمعجزات والكرامات، وهي فروع إظهار الربوبية، والقدرة والسلطنة والولاية في العوالم العالية والسافلة، ولكنهم رغم جَعْل الله هذه الربوبية في أيديهم، إلا أنهم يأبون إظهارها إلا عند الضرورة، وذلك لقوة سلوكهم وطهارة نفوسهم وعدم ظهورهم بالربوبية التي هي شأن الرب المطلق مع أن هيولي[٣] عالم الإمكان مسخرة تحت يدي الولي يقلبها كيف يشاء»[٤].

فهذه بعض النقول عن كتب وأئمة الرافضة التي توضح زعمهم في معرفة علم الغيب، وهذا كذب؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، فمن جاوز حدَّه وادَّعى علم الغيب فهو طاغوت من الطواغيت الذين يحادُّون الله ورسَلَه، ولقد أوضح أهل العلم -رحمهم الله- حال الرافضة وافتراءاتهم على آل البيت.

---

(١) الكافي كتاب الحجة (١/٢٦٠-٢٦١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الهيولي: لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية. [التعريفات للجرجاني: (ص/٣٢١)].

(٤) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (ص/٩٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له، وأصلُ مَن وَضَع ذلك لهم زنادقة، مثل رئيسهم الأول: عبد الله بن سبأ[١]، الذي ابتدع الرفض، ووضع لهم أن النبي ﷺ نص على عليٍّ بالخلافة، وأنه ظُلِم ومُنع حقه، وقال: إنه كان معصوماً، وغرض الزنادقة بذلك التوصل إلى هدم الإسلام، ولهذا كان الرفض باب الزندقة والإلحاد»[٢].

وقال رحمه الله: «ولهذا كان أعظم الأبواب التي يدخلون منها باب التشيع والرفض؛ لأن الرافضة هم أجهل الطوائف وأكذبها وأبعدها عن معرفة المنقول والمعقول، وهم يجعلون التُّقْية من أصول دينهم، ويكذبون على أهل البيت كَذِبًا لا يحصيه إلا الله، حتى يرووا عن جعفر الصادق أنه قال: التُّقْيَة ديني ودين آبائي»[٣].

ومما سبق يتضح أن الرافضة يزعمون أن أئمتهم يعلمون الغيب ويفترون الكذب على آل البيت.

---

(١) عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل أحسب أن عليًّا حرقه بالنار، وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، فنهاه عليّ بعد ما همّ به. [ميزان الاعتدال (٤/١٠٥)].

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٦٧).

(٣) المرجع السابق (١٣/٢٦٣).

الباب الثالث: لوازم الكفر بالطاغوت، وفيه فصلان:

الفصل الأول: البراءة من الطاغوت وأتباعه وشرائعه.

الفصل الثاني: وجوب التحذير من الطواغيت ومقاومتها.

الفصل الأول: البراءة من الطاغوت وأتباعه وشرائعه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: البراءة من الطاغوت وأتباعه.

المبحث الثاني: اجتناب شرائع الطاغوت.

المبحث الأول: البراءة من الطاغوت وأتباعه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالبراءة من الطاغوت.

المطلب الثاني: النصوص الدالة على وجوب البراءة من الطاغوت.

المطلب الثالث: براءة الأنبياء والصالحين مما ادعاه في حقهم المبطلون.

المطلب الأول: المراد بالبراءة من الطاغوت

بعث الله الأنبياء والمرسلين لإعلاء كلمة التوحيد ودفع الشرك وإزالته والبراءة منه وأهله؛ لأن الشرك ظلم عظيم ولا يدفعه إلا ما هو أعظم منه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فظهور هذا التوحيد وانجلاؤه ووضوحه وشهادة الفِطَر والعقول به من أعظم الأدلة أنه أعلى مراتب التوحيد، وذروة سنامه، ولذلك قَوِي على نفي الشرك الأعظم؛ فإن الشيء كلما عَظُم لا يدفعه إلا العظيم، فلو كان شيء أعظمَ من هذا التوحيد لدفع الله به الشرك الأعظم، ولعظمته وشرفه نُصبت عليه القبلة وأسست عليه المِلَّة، ووجبت به الذمة وانفصلت به دار الكفر من دار الإسلام وانقسم به الناس إلى سعيد وشقيّ ومهتدٍ وغويّ»[(١)].

فهذا التوحيد حقيقته ومعناه إفراد الله بالعبادة والكفر والبراءة من الطواغيت، فلا يصح الإيمان بالله إذا لم تتبرأ من الطاغوت الذي هو النفي في لا إله إلا الله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمه الله: «بين النفي والإثبات هنا تلازم من كلِّ وجه، فلا براءة من الشرك وعبادة غير الله إلا بتوحيده، ولا توحيد إلا بالبراءة من كل معبود سوى الله، وكما تضمنت العلم، فهي تتضمن العمل، ولا يتصور وجود شهادة، وإذعان وإتيان بمدلولها إلا مع العلم والعمل»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (١/٥٠٧).

(٢) الدرر السنية (١/٣٢٧).

فالبراءة من الطاغوت منهج الأنبياء والمرسلين الذين بُعِثوا بكلمة الإخلاص التي هي البراءة من كل معبود سوى الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص وهي البراءة من كل معبود إلا من الخالق الذي فطرنا»[1].

فالذي يوالي في الله لا بدَّ له من المعاداة في الله، فلا يصح أحدهما دون الآخر.

قال ابن القيم رحمه الله: «فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] فلم يصح لخليل الله ﷺ هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه»[3].

فالبراءة من الطاغوت تكون بالقول والاعتقاد والعمل، وقد تجتمع هذه الثلاثة للعبد في آن واحد وقد يتخلَّف بعضها مثل القول أو العمل أما الاعتقاد فلا بدَّ منه في جميع الأحوال فالنبي ﷺ في الفترة المكية تبرأ من الطواغيت بالقول والاعتقاد والعمل؛ لأن تركها وإنكار عبادتها وبغضها من العمل، ولكنه ﷺ لم يتمكن من إزالتها وتحطيمها إلا بعد ما أصبح له قوة ومنعة، فلا بدَّ للموحد من البراءة بقوله واعتقاده وعمله وتقييد العمل الذي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٢).

(٢) سورة الشعراء [٧٥-٧٧].

(٣) الجواب الكافي (ص/٣٠٠).

هو إزالتها وتحطيمها عند القدرة وعدم الفتنة بحصول منكر أعظم.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله تعالى أرسل محمدًا يدعو الناس أن يَشهدوا أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا تعبدها قريش، وكانوا يعبدون اللات والعزى ومناة وهي أكبر الطواغيت التي يعبدها أهل مكة والطائف ومن حولهم، فاستجاب للنبي ﷺ من استجاب من السابقين الأولين، وهاجر مَنْ هاجر منهم إلى الحبشة، وكل من آمن منهم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله رغبة عن الشرك وعبادة الأوثان وكفرًا بها، وبراءة منها، ومسبَّة لها، فصح إسلامهم وإيمانهم بذلك مع كونها موجودة يعبدها من يعبدها ممَّن لم يرغب عنها، وعن عبادتها فبهذا يتبين أنه ليس المراد من نفي الأوثان وغيرها في كلمة الإخلاص زوال ماهية الأصنام ونفي وجودها، وإنما المراد إنكار عبادتها والكفر بها وعداوتها كما تقدم بيانه، وكل من تبرأ منها ورغب عنها فقد نفاها بقول لا إله إلا الله، وأثبت الألوهية لله تعالى دون كل ما يعبد من دونه، فلما تمكن ﷺ من إزالة هذه الأصنام كسرها وبعث مَنْ يزيل ما بَعُد عنه منها فخلت الجزيرة من أعيانها»[1].

فالعبد مأمور بالبراءة من الطاغوت فإذا تبرأ بلسانه انعكس ذلك على قلبه وطهر من أدناس الشرك والمعاصي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما المؤمن نفسه فهو مأمور بأن

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٣٤٤).

ينشئ قوة الإخلاص لله وحده وعبادته وحده، والبراءة من كلِّ معبود سواه وعبادته، وبراءته منه ومن عابديه وقوله: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ وإن كان لفظها خبرًا ففيها معنى الإنشاء كسائر ألفاظ الإنشاءات كقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» فكل هذه الأقوال فيها معنى الإنشاء كما ينشئه المؤمن في نفسه من زيادة البراءة من الشرك وهي المقشْقِشَة التي تُقَشْقِش من الشرك، كما يُقَشْقِش المريض من المرض. فإن الشرك والكفر أعظم أمراض القلوب، فأمر المؤمن بقول يوجب في قلبه من البراءة من الشرك ما لم يكن في قلبه قبل ذلك، وكلَّما قاله ازداد براءة من الشرك، وقلبه شفاء من المرض»[1].

وقد بين العلماء -رحمهم الله- البراءة بالقلب واللسان والعمل وعلاقتها بالإيمان.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وجعل المنْكَر بالقلب من مراتب الإيمان، وهو بغضه وكراهته المستلزم لتركه، فلم يكن الترك من الإيمان إلا بهذه الكراهة والبغض والامتناع والمنع لله، وكذلك براءة الخليل وقومه من المشركين ومعبودهم ليست تركًا محضًا بل تركًا صادرًا عن بغض ومعاداة وكراهة هي أمور وجودية، هي عبودية للقلب يترتب عليها خلو الجوارح من العمل، كما أن التصديق والإرادة والمحبة للطاعة من عبودية القلب يترتب عليها آثارها في الجوارح»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٥٩-٥٦٠).

(٢) شفاء العليل (٢/٤٤).

فكراهة الطواغيت وعداوتهم وبغضهم هي البراءة منهم وقد ذكر أهل العلم -رحمهم الله- معنى البراءة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والبراءة ضد الولاية، وأصل البراءة البغض وأصل الولاية الحب، وهذا لأن حقيقة التوحيد أن لا يحبَّ إلا اللهَ ويحبّ ما يحبّه لله، فلا يحبّ إلا لله، ولا يبغض إلا لله»[١].

وقال رحمه الله: «فإذا قال: ما أنا عابد ما عبدتم: دل على البغض والكراهة والمقت لمعبودهم ولعبادتهم إياه وهذه هي البراءة»[٢].

والبراءة بالقول والفعل والقلب تكون من العابد والمعبود وقد أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «فهذا البغض والعداوة والبراءة مما يُعبد من دون الله ومن عابديه هي أمور موجودة في القلب، وعلى اللسان والجوارح، كما أن حبَّ الله وموالاته وموالاة أوليائه أمور موجودة في القلب وعلى اللسان والجوارح، وهي تحقيق قول لا إله إلا الله، وهو إثبات تأليه القلب لله حبًّا خالصًا وذلاً صادقاً ومنع تأليهه لغير الله، وبغض ذلك وكراهته، فلا يُعبد إلا الله ويحب أن يعبده ويبغض عبادة غيره، ويحبّ التوكل عليه وخشيته ودعاءه ويبغض المتوكِّل على غيره وخشيته ودعاءه»[٣].

والبراءة من الطاغوت هو معنى لا إله إلا الله فلا يصح إيمان العبد إلا

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٦٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحسنة والسيئة (ص/٤٥-٤٦).

بهذه البراءة من الطواغيت وممن عبدها، ومما يدل على ذلك ما ذكر أهل العلم في البراءة وحقيقتها.

قال الإمام الصنعاني[(١)] رحمه الله: «رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل، وهو قول لا إله إلا الله، والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها إفراد الله بالعبادة والإلهية، والنفي والبراءة من كل معبود دونه، وقد عَلِم الكفار هذا المعنى؛ لأنهم أهل اللسان العربي فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[(٢)]»[(٣)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله موضحاً حقيقة دين الإسلام وأنه لا يصح إلا بالبراءة من الطواغيت حيث قال: «بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء -أي الطواغيت- وتكفيرهم كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[(٤)]»[(٥)].

وقال رحمه الله: «وأنت يا من منَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما من إله

---

(١) هو أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني المعروف بالأمير، من كتبه تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد وسبل السلام شرح بلوغ المرام، وغيرها، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف. [انظر: البدر الطالع (١٣٣/٢)].

(٢) سورة ص [٥].

(٣) تطهير الاعتقاد (ص/٦).

(٤) سورة البقرة [٢٥٦].

(٥) الدرر السنية (٥٣/١٠).

إلا الله؛ لا تظن أنك إذا قلت هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أتعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئاً، لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل لا بد من بغضهم، وبغض من يحبهم، ومسبتهم، ومعاداتهم.... ولو يقول رجل أنا أتَّبع النبي ﷺ وهو على الحق، لكن لا أتعرَّض للاَّت، والعُزَّى، ولا أتعرَّض أبا جهل وأمثاله، ما عليَّ منهم، لم يصح إسلامه»[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاللهَ اللهَ، إخواني تمسَّكوا بأصل دينكم أولِه وآخرِه، أُسِّه ورَأْسِه، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ؛ واعرفوا معناها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوا مَن أحبَّهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفِّرْهم، أو قال ما عليَّ منهم، أو قال ما كلَّفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، بل كلَّفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانه، وأولاده، فاللهَ اللهَ تمسَّكوا بأصل دينكم، لعلكم تلقون ربكم، لا تشركون به شيئًا، اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى الكفر بالطاغوت أن تَبْرأ من كلِّ ما يعتقد فيه غير الله، من جنِّي أو أنسي، أو شجر أو حجر، أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر، والضلال، وتبغضه، ولو كان أنه أبوك أو أخوك، فأما من قال: أنا

---

(١) المرجع السابق (٢/١٠٩)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٢٠).

(٢) الدرر السنية (٢/١١٩-١٢٠).

لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرَّض للسادة والقباب على القبور، وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت))(١).

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: ((وحاصله هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله، وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وهو معنى لا إله إلا الله ... الذي هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد، وإفراد الله بالعبادة فهذا هو الهدى، ودين الحق الذي أَرْسَلَ به رسلَه، وأنزل به كتبه))(٢).

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله: ((فالحنفاء أهل التوحيد، اعتزلوا هؤلاء المشركين، لأن الله أوجب على أهل التوحيد اعتزالهم وتكفيرهم، والبراءة منهم، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣).... فلا يتم لأهل التوحيد توحيدُهم إلا باعتزال أهل الشرك، وعداوتهم وتكفيرهم، فهم معتزلة بهذا الاعتبار، لأنهم اعتزلوا أهل الشرك، كما اعتزلهم الخليل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام))(٤).

وقال رحمه الله حاكياً إجماع الأمة على أن العبد لا يصبح مسلمًا حتى

---

(١) المرجع السابق (٢/١٢٠-١٢١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/١٣٩-١٤٠).

(٣) سورة مريم [٤٨-٤٩].

(٤) الدرر السنية (١١/٤٣٤).

يتبرأ من الطاغوت ومن عابديه حيث قال: «وأجمع العلماء سلفًا وخلفًا، من الصحابة والتابعين، والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر، والبراءة منه وممن فعله، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة، والقدرة وإخلاص الأعمال كلها لله»[١].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن نفي الأوثان الذي دلّت عليه كلمة الإخلاص يحصل بتركها والرغبة عنها والبراءة منها، والكفر بها وبِمَن يعبدها واعتزالها واعتزال عابديها وبغضها وعداوتها وكل هذا في القرآن مبينًا، وقد انتفت عبادة كلٍّ ما عُبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلَفاً وخَلَفًا بهذه الكلمة (أي لا إله إلا الله)»[٢].

وقال العلامة سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن جميع المرسلين قد بعثوا باجتناب الطاغوت، فمن لم يجتنبه فهو مخالف لجميع المرسلين،... والمراد من اجتنابه هو بغضه، وعداوته بالقلب، وسبه وتقبيحه باللسان، وإزالته باليد عند القدرة، ومفارقته، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق»[٣].

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالبراءة تكون من عبادة غيره سبحانه... وهذا هو مدلول هذه الكلمة ومعناها ومفهومها، وحقيقتها البراءة من عبادة

---

(١) الدرر السنية (١١/٥٤٥).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٣٤٣).

(٣) الدرر السنية (١٠/٥٠٢-٥٠٣).

غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانها والإيمان بأن العبادة بحق لله وحده))[١].

وبعرض كلام أهل العلم -رحمهم الله- حول البراءة من الطاغوت يتضح أنها تكون من العابد والمعبود ببغضه والكفر به وعداوته ومفارقته حيث لا يقبل الإيمان إلا بالبراءة من الطواغيت بالقول والاعتقاد والفعل بشرط القدرة على ذلك وعدم حصول منكر أعظم، والله أعلم.

---

(١) أركان الإسلام (ص/٤٢-٤٣).

المطلب الثاني: النصوص الدالة على وجوب البراءة من الطاغوت

لا إله لا الله هي كلمة التوحيد التي بعث بها جميع الأنبياء والمرسلين وهي أساس الدين والملة، ورأس الأمر كله، وحقيقتها إفراد الله بالعبادة والكفر بكل طاغوت والبراءة منه، فهي تتضمن بمدلولها ومعناها البراءة من الطواغيت والكفر بها.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((وهذه الكلمة دلت على البراءة من الشرك والكفر به تضمنًا، ودلّت على إخلاص العبادة لله تعالى مطابقة))[1].

فهذه الكلمة لها واجب عظيم على من قالها بصدق ويقين ((فيجب بلا إله لا الله البراءة من كل ما يعبده المشركون من دون الله فلا بدَّ من نَفْي هذا كلِّه بالبراءة من عبادته ومن عابديه، فمن تبرَّأ من عبادتها كلِّها وأنكرها وكفر بها فقد قال لا إله إلا الله وأخلص العبادة لله وحده، وصار بهذا التوحيد مسلمًا مؤمنًا))[2].

فهذه الكلمة أمرها عظيم جدًّا، ولها مدلولها ومعناها الذي يعرفه صاحب العقل الصحيح، والفطرة السليمة، فهي حقيقة الدين، ومنهج الأنبياء والمرسلين.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٣٢٧).

(٢) المرجع السابق (٤/٣٤٤).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمسلم الموحِّد يعلم من الكتاب والسنة، ومن قول أهل العقول الصحيحة والفطر السليمة أن لا إله إلا الله لها موضوع عظيم، ومدلولها هو حقيقة الإسلام والإيمان، فإنها إنما وُضِعت للرغبة عن عبادة كلّ ما يُعبد من دون الله، والبراءة منه والكفر به، وإنكار ذلك وبُغْضه وعداوته وعداوة من اتخذ الشرك في العبادة دينًا، وهذا هو أظهر ما في القرآن، وأبينه إيضاحًا وتقريرًا»[1].

فالبراءة من الطاغوت تنوَّعت النصوص من الكتاب والسنة في الدلالة عليها، وما هذا التنوع إلا دليلٌ على عظم الأمر ومنزلته من الدين، فكلّ دليل على إفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك فهو متضمن للبراءة من الطواغيت إذ لا تستقيم العبادة دون البراءة من الطواغيت، فهناك نصوص تدل على البراءة بالتضمن والالتزام وهى النصوص التي تدل على النفي والإثبات وإفراده بالعبادة والنهي عن الشرك فمنها قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾[3] وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٣٥٠).

(٢) سورة النساء [٣٦].

(٣) سورة المائدة [٧٢].

عَظِيمٍ ﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[(٤)] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[(٥)].

فهذه الأدلة التي فيها إفراد الله بالعبادة تتضمن البراءة من كل معبود سوى الله من الطواغيت وغيرها، وهناك نصوص تنص على البراءة من الطواغيت، وبغضها والكفر بها وعداوتها واجتنابها واعتزالها، فمنها قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[(٦)].

قال العلامة صديق حسن خان رحمه الله: «وإنما قدَّم الكفر بالطاغوت

---

(١) سورة الأعراف [٥٩].

(٢) سورة الأعراف [٦٥].

(٣) سورة الأعراف [٧٣].

(٤) سورة الأعراف [٨٥].

(٥) سورة الأنبياء [٢٥].

(٦) سورة البقرة [٢٥٦].

على الإيمان بالله، لأن الشخص ما لم يخالف الشيطان ويترك عبادة غيره تعالى لم يؤمن بالله، كما قالوا إن التخلية مقدمة على التحلية»[١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[٢].

وقال تعالى آمرًا نبيَّه محمدًا ﷺ بالبراءة من الطواغيت: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٣].

وهذا إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي أمر نبينا محمد ﷺ باتباع ملته والتأسي به في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٤] يوضح منهج الأنبياء في البراءة من الطواغيت وعابديها، وكيف تكون البراءة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: «أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود

---

(١) فتح البيان (٢/٩٩-١٠٠).

(٢) سورة الزمر [١٧].

(٣) سورة الأنعام [١٩].

(٤) سورة النحل [١٢٣].

(٥) سورة الزخرف [٢٦-٢٨].

سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة لا إله لا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلي يوم القيامة»[١].

وهذا التبرؤ جعله باقياً في عَقِبه كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى عن إمام الحنفاء: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[٣].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن رحمه الله حول هذه الآية: «أمر تعالى بالتأسِّي بخليله عليه السلام وإخوانه من المرسلين بالعمل بدينه الذي بعثهم به... فذكر أموراً خمسة لا يقوم التوحيد إلا بها علمًا وعملاً، وعند القيام بهذه الخمسة مَيَّز الله الناس لما ابتلاهم بعدوهم»[٤].

فالتأسِّي هنا في ثلاثة أمور:

أولاً: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله.

ثانياً: الكفر بهم.

ثالثاً: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبدًا إلى الغاية المذكورة

---

(١) الجواب الكافي (ص/٣٠٠).

(٢) انظر: أضواء البيان (١٣٩/٨).

(٣) سورة الممتحنة [٤].

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢٩١/٤).

حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبدًا، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم»[١].

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «أي إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين من قومهم المشركين، ومما يعبدون من دون الله، ثم صرَّحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا﴾ أي ظهر وبان ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم على كفركم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ أي فإذا آمنتم بالله وحده، وزالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودّة وولاية، فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان بالتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده»[٢].

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٣].

---

(١) أضواء البيان (٨/١٣٨-١٣٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص/٨٢٦).

(٣) سورة الكافرون [١-٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وقد أمره الله بالبراءة من كل معبود سواه وهذه ملة إبراهيم الخليل وهو مبعوث بملته))[١].

وقال رحمه الله: ((فقوله: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ براءة من كل ما عبدوه في الأزمنة الماضية، كما تبرأ أولاً مما عبدوه في الحال والاستقبال، فتضمنت الجملتان البراءة من كل ما يعبده المشركون والكافرون في كل زمان ماض، وحاضر، ومستقبل ... فهو يتضمن نفي الفعل بغضاً فيه وكراهة له))[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: ((فإنها سورة البراءة من الشرك، كما جاء في وصفها أنها براءة من الشرك، فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين، ولهذا أتى بالنفي في الجانبين، تحقيقاً للبراءة المطلوبة، وهذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحاً، فقوله: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ براءة محضة ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ إثبات أن له معبوداً يعبده وحده، وأنتم بريئون من عبادته، فتضمنت النفي والإثبات، وطابقت قول إبراهيم إمام الحنفاء: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾[٣] وطابقت قول الفئة الموحدة: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[٤] فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله، ولهذا كان النبي ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٤٦).

(٢) المرجع السابق (١٦/٥٥٢-٥٥٥).

(٣) سورة الزخرف [٢٦-٢٧].

(٤) سورة الكهف [١٦].

يقرأ بسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[١] في سُنَّة الفجر وسُنَّة المغرب»[٢].

فهذه النصوص توضح حقيقة البراءة من الطواغيت في كونها دائمة ومستمرة لا تزول إلا بزوال سببها فلا بد من البغض والكره والمفارقة، وهذه أوثق عُرَى الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد جعل النبي ﷺ البغض في الله من أوثق عُرَى الإيمان، وهو أصل الترك، وجعل المنع لله من كمال الإيمان، وهو أصل الترك وكذلك براءة الخليل من قومه المشركين ومعبوديهم ليست تركاً محضاً؛ بل صادراً عن بغض وعداوة»[٣].

فالتوحيد لا بدَّ فيه من البراءة من الشرك وأهله، ولا يكفي حبّ التوحيد وكُرْه الشرك، فالعبد لا بد أن يتبرأ من الطاغوت وأهله.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: «والمرء قد يَكْرَه الشرك، ويحبّ التوحيد، لكن يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك، وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم، فيكون متَّبِعًا لهواه داخلاً من الشرك في شُعَب تهدم دينه وما بناه، تاركًا من التوحيد أصولاً وشُعَبًا، لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه، فلا يحب ولا يبغض لله، ولا يعادي ولا

---

(١) سورة الإخلاص [١].

(٢) بدائع الفوائد (١/٢١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/٢٢٤).

يوالي الجلال من أنشأه وسواه، وكل هذا يؤخذ من شهادة لا إله إلا الله»[1].

ومما تقدم تتَّضح أهمية البراءة من الطواغيت ومنزلتها من الدين، ولا حظَّ في الإسلام لمن لم يتبرأ من الطواغيت.

(١) الدرر السنية (٣٩٦/٨)، فتاوى الأئمة النجدية (٤٣٦/١).

المطلب الثالث: براءة الأنبياء والصالحين مما ادعاه في حقهم المبطلون

لقد بعث الله رسله بالهدى ودين الحق وأمرهم بالتوحيد الذي هو إفراده بالعبادة ونهاهم عن الشرك، فقاموا -صلوات الله وسلامه عليهم- بالبلاغ أتمَّ قيام، حيث لم يبق لأحد حجة في صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، ومع قيامهم -صلوات الله وسلامه عليهم- بالتوحيد والأمر بإفراد الله بالعبادة ومع هذا البيان منهم لأممهم لم يسلم الأنبياءُ والملائكةُ والصالحون من صرف العبادة لهم، فهؤلاء الجهلة عبدة الطاغوت عبدوا الأنبياء والملائكة والصالحين من دون الله وهم غير راضين بذلك ولا يعلمون، وحاشاهم فالأنبياء يدعون للتوحيد ويحمون جنابه ويسدّون كل طريقة وذريعة توصل إلى الشرك بالله فهذا موسى عليه الصلاة والسلام لما طلب منه قومه أن يجعل لهم إلهاً من دون الله أنكر عليهم ولم يرض أن تصرف العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] فهذا موسى عليه الصلاة والسلام يتبرأ من الشرك ووسائله، ويبيّن أنه باطل ولا يجوز أن يُتَّخذ إله إلا الله الواحد القهار،

---

(١) سورة الأعراف [١٣٨-١٤٠].

وهذا عيسى عليه الصلاة والسلام يأمر قومه بالتوحيد وينهاهم عن الشرك، ولكن النصارى عبدوه من دون الله وهو بريء من عبادتهم له، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] فعيسى عليه السلام يحذر عن الشرك ويأمر بعبادة الله لا عبادة نفسه، وهذا محمد ﷺ إمام الموحدين يتبرأ ويحذر أمته من الشرك ووسائله صيانة وحماية لجناب التوحيد: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[2].

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: «فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكاباً لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة، وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يُدْعَى ولا يُسْتَغاث به، ولا يُنْذَر له، ولا يُطَاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم الغيب إلا ما علّمه الله، أن ذلك هضمًا لجنابه، وغضًّا من قَدْره، فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما

---

(١) سورة المائدة [٧٢].

(٢) رواه مسلم في صحيحه باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٧)، برقم (٥٣٢).

ادعت النصارى في عيسى أو قريبًا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب))(١).

ومما قاله ﷺ تحذيرًا وإنذارًا لأمته أن تقع فيما وقع فيه من قبلهم من الأمم: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله))(٢).

ولقد بيَّن الله جل وعلا في كتابه العزيز مقالة اليهود والنصارى وأنها من الإفك والكذب وسبب في غضب الله عليهم ومَقْتهم كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٣).

فهنا عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتبرأ أمام الله جل وعلا أنه لم يأمر أحدًا من الناس بعبادته وإنما أمرهم بعبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/٢٧٢-٢٧٣).

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (٣/١٢٧١)، رقم (٣٢٦١).

(٣) سورة التوبة [٣٠].

بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1] فعيسى عليه السلام بريء من شرك المشركين به من دون الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وإن كان الميت وليا لله لا إثم عليه مِنْ فِعْل مَنْ أشرك به كما لا إثم على المسيح عليه الصلاة والسلام من فعل من أشرك به))[2].

فالأنبياء بَرَّأهم الله سبحانه وتعالى وبيَّن في كتابه العزيز أنهم ممن سبقت لهم من الله الحسنى، وإنما يكون العابد والمعبود في النار إذا كان من عُبِدَ راضياً بذلك مثل الشيطان والطواغيت، كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم: ((يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبُدُ شيئاً فليتّبعه، فيتّبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتّبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت))[3].

قال ابن حجر رحمه الله: ((وفيه إشارة إلى أن كلّ مَن كان يَعبد الشيطان ونحوه ممن يرضى بذلك أو الجماد والحيوان داخلون في ذلك، وأما من كان يَعْبد من لا يرضى بذلك كالملائكة والمسيح فلا))[4].

ومما يدل على أن الأنبياء والملائكة ممن سبقت لهم من الله الحسنى ما

---

(١) سورة المائدة [١١٦-١١٧].

(٢) الإخنائية (ص/٢٨٥).

(٣) سبق تخريجه (ص/١٨٢).

(٤) فتح الباري (١٣/٥٤٦).

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((آية لا يسأل الناس عنها لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها، فقيل له: وما هي؟ فقال: لما نزلت: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[1] شق ذلك على قريش أو على أهل مكة وقالوا يشتم آلهتنا، فجاء ابن الزبعري فقال: مالكم قالوا: يشتم آلهتنا قال: وما قال قالوا: قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ قال: ادعوه لي، فلما دُعِي النبي ﷺ قال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة؟ أم لكلّ مَن عُبِد من دون الله؟ فقال: لا لكلّ مَن عُبِد من دون الله، فقال ابن الزبعري خُصِمْتَ وربِّ هذه البنية ـ يعني الكعبة ـ ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عُزيرًا عبد صالح، وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عُزيرًا. قال: فضج أهل مكة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[2]))[3].

قال ابن القيم رحمه الله: ((وهذا الإيراد الذي أورده ابن الزبعري لا يرد على الآية، فإنه سبحانه قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ولم

---

(١) سورة الأنبياء [٩٨].

(٢) سورة الأنبياء [١٠١].

(٣) جامع البيان (١٧/٩٥-٩٨).

يقل: (ومن تعبدون)، و(ما) لما لا يعقل فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير، وإنما ذلك للأحجار ونحوها التي لا تعقل، وأيضاً فالسورة مكية، والخطاب فيها لعبّاد الأصنام، فإنه قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ فلفظة ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ ولفظة (ما) تبطل سؤاله، وهو رجل فصيح من العرب لا يخفى عليه ذلك، ولكن إيراده إنما كان من جهة القياس والعموم المعنوي الذي يعم الحكم فيه بعموم علته، أي إن كان كونه معبودًا يوجب أن يكون حَصَبَ جهنم، فهذا المعنى موجود في الملائكة وعُزير والمسيح، فأجيب بالفارق وذلك من وجوه:

أحدها: أن الملائكة والمسيح وعُزَيرًا ممن سبقت لهم من الله الحسنى، فهم سعداء لم يفعلوا ما يستوجبون به النار، فلا يعذَّبون بعبادة غيرهم مع بغضهم ومعاداتهم لهم، فالتسوية بينهم وبين الأصنام أقبح من التسوية بين البيع والربا والميْت والمذكَّى، وهذا شأن أهل الباطل، وإنما يسوُّون بين ما فرَّق الشرع والعقل والفطرة بينه، ويفرِّقون بين ما سوى الله ورسوله بينه.

الفرق الثاني: أن الأوثان حجارة غير مكلَّفة ولا ناطقة، فإذا حُصِبت بها جهنم إهانة لها ولعابديها لم يكن في ذلك من لا يستحق العذاب، بخلاف الملائكة والمسيح وعُزَير فإنهم أحياء ناطقون، فلو حُصِبت بهم النار كان ذلك إيلاما وتعذيبا لهم.

الفرق الثالث: أن من عبد هؤلاء بزعمه فإنه لم يعبدهم في الحقيقة، فإنهم لم يَدْعُوا إلى عبادتهم، وإنما عَبَد المشركون الشياطين وتوهموا أن العبادة

لهؤلاء، فإنهم عبدوا بزعمهم من ادعى أنه معبود مع الله وأنه معه إله، وقد برأ الله سبحانه ملائكته والمسيح وعُزَيرًا من ذلك، وإنما ادعى ذلك الشياطين وهم بزعمهم يعتقدون أنهم يرضون بأن يكونوا معبودين مع الله، ولا يرضى بذلك إلا الشياطين، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

فما عُبِدَ غير الله إلا الشيطان.

وهذه الأجوبة منتزعة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ فتأمل الآية تجدها تلوح في صفحات ألفاظها وبالله التوفيق»[٤].

---

(١) سورة سبأ [٤٠-٤١].

(٢) سورة يس [٦٠].

(٣) سورة الأنبياء [٢٦-٢٩].

(٤) شفاء العليل (١/٨٤).

وبهذا يتضح براءة الأنبياء والملائكة مما ادعاه في حقهم المبطلون؛ لأن يوم القيامة كل ما عُبِد من دون الله يتبرأ ممن عبده كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾(١).

---

(١) سورة الفرقان [١٧-١٩].

المبحث الثاني: اجتناب شرائع الطاغوت، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بشرائع الطاغوت وأنها مسائل الجاهلية.

المطلب الثاني: اجتناب مسائل الجاهلية التي تتعلق بالطاغوت.

المطلب الأول: المراد بشرائع الطاغوت وأنها مسائل الجاهلية

لقد بعث الله نبينا محمدًا ﷺ بالتوحيد والكفر بالطاغوت، واجتنابه واجتناب شرائعه وشرع له الدين القويم الذي فيه مصلحة البلاد والعباد، وما ينفعهم ولا يضرهم في دينهم ودنياهم، فشرع الله هو الشرع المطهَّر وشرع الطاغوت هو الشرع المدنَّس، فدين الأنبياء والمرسلين عبادة ربِّ العالمين والكفر بالطاغوت اللعين كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] فالكفر بالطاغوت وشرائعه التي هي مسائل الجاهلية هو دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، والله -جلّ جلاله- حكيم عليم لم يترك البشر هَمَلاً؛ لأنه يعلم سبحانه أن عقولهم ضعيفة وحاجتهم للرسل متعينة لإقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وتأمل حكمته تبارك وتعالى في إرسال الرسل في الأمم واحدًا بعد واحد، كلّما مات واحد خلفه آخر، لحاجتها إلى تتابع الرسل والأنبياء، لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق، فلما انتهت النبوة إلى محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه، أرسله إلى أكمل الأمم عقولاً ومعارف، وأصحها أذهاناً وأغزرها علوما، وبعثه بأكمل

---

(١) سورة النحل [٣٦].

(٢) سورة الإسراء [١٥].

شريعة ظهرت منذ قامت الدنيا إلى حين مبعثه، فأغنى الله الأمَّة بكمال رسولها وكمال شريعته وكمال عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتي بعده، أقام له من أمَّته وَرَثة يحفظون شريعته ووكَّلهم بها حتى يؤدّوها إلى نظرائهم في قلوب أشباههم، فلم يحتاجوا إلى رسول آخر، ولا نبي ولا محدَث»[(١)].

فكلَّما ذهب رسول خَلَفَه آخر حتى ختموا بمحمد ﷺ فهو آخر الأنبياء ولا نبي بعده، وجعل ورثته العلماء يدعون بدعوته ويجددون للناس دينهم إذا اندرس؛ لأن الشيطان وهو رأس الطواغيت حريص على تحريف شرع الله والجهل به بطرق متعددة وخطوات متتابعة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [(٢)] فهو يريد إحلال مسائل الجاهلية بالتدرج مع الناس حتى يصبح مألوفاً عندهم وغير مستنكر، كما حصل مع قوم نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تدرج بهم خطوة خطوة حتى جعلهم عَبَدة للطاغوت فأصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا عندهم، فأعظَمُ المعروف التوحيد وأعظم المنكَر الشرك، فالطاغوت شرائعه كثيرة جدًّا ومتنوعة وتختلف باختلاف الأزمان والأماكن ولكنها تجتمع في شيء واحد ألا وهو مخالفتها لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ففي جانب العبادات شَرَع لهم الشرك بالله وعبادة غيره من الأصنام والأوثان وغيرها من الطواغيت وما يلحق بذلك من الذبح والنذر لغير الله والحلف بهذه الطواغيت وتعظيمها

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٥٥).

(٢) سورة البقرة [١٦٨].

من دون الله، وغير ذلك من أمور العبادات، وفي جانب المعاملات شرع الربا والبيع المحرم وأكل المال الحرام، وشرع لهم عند نزول المصائب النياحة وشق الجيوب وضرب الصدور وشرع لهم الاستقسام بالأزلام والاستسقاء بالأنواء وقتل الموؤدة وغير ذلك من المسائل الطاغوتية الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومع ذلك تجد أن هناك من آمن بها وأصبح عابدًا للطاغوت، سواء كان من أهل الكتاب أم مِن غيرهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾(١)، وقال تعالى مبيناً حال من عبد الطاغوت باتباع شرائعه وأن حالهم شر حال وأضل عن سواء السبيل: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(٢) فالطاغوت له عبدة آمنوا به وعبدوه من دون الله كما بين الله حالهم في الآيات السابقة، فالطاغوت وأتباعه من دعاة الباطل يدعون ولا يزالون إلى مسائل الجاهلية وإحياء ما اندرس منها، فالإسلام يُنْقَض عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف أمور الجاهلية الطاغوتية، فوجب التنبيه عليها ودراستها لأجل أن نتجنبها ونحذر منها، ولقد سار أهل

---

(١) سورة النساء [٥١].

(٢) سورة المائدة [٦٠].

العلم على هذا المنهج من بيان مسائل الجاهلية والحذر منها وذكروا خطرها وشرها، ولهم قدوة في ذلك كما جاء عن الصحابي الجليل صاحب سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ﵁ عندما كان الناس يسألون عن الخير وهو يسأل عن الشر، مخافة أن يقع فيه، فكتبوا الرسائل والكتب في ذلك ومن أنفس ما كتب كتاب مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب ﵀ حيث ذكر مسائل الجاهلية التي جاء الرسول ﷺ بمخالفتها فهو ذكر جملة كثيرة من مسائل الجاهلية على سبيل المثال؛ لأنه لا يستطيع أحد حصرها لكثرتها وتنوعها، ومما ذكره ﵀ في مقدمة رسالته مسائل الجاهلية: «فأهم ما فيها وأشدها خطرًا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1]»[2].

ثم شَرَع ﵀ في بيان مسائل الجاهلية فذكرها مسألة مسألة، وكل مسألة مدعمة بالدليل من الكتاب أو السنة، قال ﵀: «دعاء الأولياء والصالحين: المسألة الأولى: إنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله، لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه، كما قال

---

(١) سورة العنكبوت [٥٢].

(٢) مسائل الجاهلية شرح الألوسي(ص/١٠)، وانظر شرح مسائل الجاهلية، الفوزان(ص/٧)، والمسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية (١/٨١-٨٢)، تحقيق الدكتور/يوسف السعيد.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾(٢).

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله، الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وهذه هي المسألة التي تفرق الناس من أجلها بين مؤمن وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣)»(٤).

قال العلامة صالح الفوزان –حفظه الله –: «وبدأ الشيخ بهذه المسألة؛ لأنها أخطر مسائل الجاهلية، ولأنها هي المسألة التي بدأ الرسول ﷺ في إنكارها، ودعوة الناس إلى تركها، فالرسول أول ما بدأ كغيره من الرسل بالأمر بإخلاص العبادة لله ﷻ، وترك عبادة ما سواه، هذا فاتحة دعوة

---

(١) سورة الزمر [٣].

(٢) سورة يونس [١٨].

(٣) سورة الأنفال [٣٩].

(٤) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص/١٨).

الرسل؛ لأن هذا هو الأساس الذي يبنى عليه غيره، فإذا فسد الأساس فلا فائدة من الأمور الأخرى ... فإذا كان الأصل فاسداً والتوحيد معدوماً، فلا فائدة من الأعمال الأخرى؛ لأن الشرك يفسدها ويبطلها ... فهذه أعظم مسائل الجاهلية، وهي عبادة الأولياء والصالحين، من الأموات والغائبين والاستغاثة بهم، والاستعاذة بهم، وطلب الحوائج منهم»[1].

وقال عن المسألة الثانية من مسائل الجاهلية: «تفرّق أهل الجاهلية في عباداتهم ودينهم.

والمسألة الثالثة: اعتبارهم مخالفة ولي الأمر فضيلةً وطاعتَه والانقيادَ له مذلةً ومهانةً فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلَّظ في ذلك وأبدى وأعاد.

وهذه المسائل الثلاث هي التي جُمع بينها فيما صح عنه في الصحيح أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُنَاصحوا مَنْ ولاَّه الله أمركم»[2]. ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال في هذه الثلاث أو بعضها»[3].

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص/١٩-٢٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (٣/١٠٨٠)، رقم (١٧١٥).

(٣) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص/٤٧).

ومن مسائل الجاهلية الإيمان بالجِبت والطاغوت والتحاكم إلى الطاغوت؛ ومنها أيضاً الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء، والنياحة على الميت، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أربع في أمتي من أمور الجاهلية لا يتركونهن؛ الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت»(١).

فمسائل الجاهلية ليست كلها مخرجة من الملة؛ فمنها ما هو كُفْر أكبر، ومنها ما هو دون ذلك؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن من أمته أناساً فيهم خصال من خصال الجاهلية ومع ذلك جعلهم من أمته ولم يخرجهم من الإسلام، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

قال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: «فهذه الأربع من أمور الجاهلية، هي باقية في الناس، فيجب التوبة منها، ودل الحديث على أنه ليس كل من فيه شيء من الجاهلية يكون كافرًا، فأمور الجاهلية منها ما هو كُفْر، ومنها ما هو دون ذلك»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب: التشديد في النياحة (٢/٥٣٦)، رقم (٩٣٤).

(٢) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص/٢٤٤).

المطلب الثاني: اجتناب مسائل الجاهلية التي تتعلق بالطاغوت

إن عقيدة التوحيد التي بعث بها نبينا محمد ﷺ تتضمن إفراد الله بالعبادة، والكفر بكل طاغوت اتخذه أهل، الجاهلية إلها لهم من دون الله فأمرهم ﷺ وحذَّرهم ونهاهم عن أمور الجاهلية، وحثهم على اجتنابها سواء كانت مخرجة أم غير مخرجة من الملة، وهذه حقيقة الكفر بالطاغوت التي هي اجتناب ما كان عليه أهل الجاهلية في كل شيء خالفوا فيه دين محمد ﷺ فبعثته ﷺ كانت هي الفيصل بين الظلمات والنور والحق والباطل والجاهلية والإسلام، فلا جاهلية عامة بعد بعثة الرسول ﷺ ولكن قد توجد جاهلية في مكان دون مكان أو شخص دون شخص. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولفظ الجاهلية، قد يكون اسمًا للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسما لذي الحال»[(١)].

وقال أيضاً: «وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد مبعث الرسول ﷺ فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم، فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٤٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٠-٢٣١).

فالجاهلية العامة زالت بعد البعثة، ومما يؤيد ذلك ما قاله العلامة صالح الفوازن -حفظه الله-: «فالحاصل: أن أمور الجاهلية كلها مذمومة، ونُهِينا عن التشّبه بأهل الجاهلية في كل الأمور، والجاهلية انتهت ببعثة النبي ﷺ، فبعد بعثته زالت الجاهلية العامة، وجاء العلم والإيمان، ونزل القرآن والسنة، وانتشر العلم وزال الجهل، وما دام القرآن موجودًا، والسنة النبوية موجودة وكلام أهل العلم موجودًا، فإنه لا جاهلية حينئذ، أعني الجاهلية العامة، أما أنه يبقى بعض الجاهلية في بعض الناس، أو بعض القبائل، أو بعض البلدان، فالجاهلية الجزئية تكون موجودة .... ولهذا لا يجوز أن يقال: الناس في جاهلية، أو العالم في جاهلية؛ لأن هذا جحود لوجود الرسالة، وجحود للقرآن والسنة، هذا الإطلاق لا يجوز، أما أن يقال: في بعض الناس جاهلية، أو في بعض الأشخاص جاهلية، أو هناك خصال من خصال الجاهلية، فهذا موجود، ففيه فرق بين ما كان قبل البعثة وما بعد البعثة»[1].

فالناس قبل البعثة كانوا في جاهلية وضلال فمنَّ الله عليهم بمبعث سيد الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

فهذه المنّة من الله باقية إلى يوم القيامة حيث زالت بهذه المنّة الجاهلية

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للفوزان (ص/١٤-١٥).

(٢) سورة آل عمران [١٦٤].

العامة، ولقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ببيان حال الجاهلية وأهلها، فالجاهلية تطلق على الحال وعلى صاحب الحال، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال، وهو الغالب في الكتاب والسنة، وقد يكون اسماً لذي الحال»[١].

فالنصوص التي تحذّر من حال الجاهلية هي أيضاً تحذر من أهلها ولقد وردت نصوص كثيرة لا حصر لها تدل صراحة وبالتضمن والالتزام على مجانبة ما كان عليه أهل الجاهلية من الكفر الأكبر والأصغر، فمن هذه الأدلة أمر الله سبحانه وتعالى لجميع رسله باجتناب الطاغوت وشرائعه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[٣].

وهذا إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه السلام يسأل ربه أن يجنبه وذريته عبادة الطاغوت وشرائعه التي أضل بها كثيرٌ من الناس، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٢٧/١).

(٢) سورة النحل [٣٦].

(٣) سورة الزمر [١٧].

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١].

وأمر الله ﷻ عباده باجتناب الطواغيت بعد ذكره لتعظيم حرماته وامتنانه على عباده ببعض نعمه التي أنعمها عليهم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [٢].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «والمعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان: أي عبادتها والرجس القذر الذي تعافه النفوس، وفي هذه الآية الكريمة الأمر باجتناب عبادة الأوثان، ويدخل في حكمها ومعناها عبادة كل معبود من دون الله كائنا من كان، وهذا الأمر باجتناب عبادة غير الله المذكور هنا جاء مبينًا في آيات كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [٣] وبيَّن تعالى أن ذلك شرط في صحة إيمانه بالله في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [٤].

---

(١) سورة إبراهيم [٣٥-٣٦].

(٢) سورة الحج [٣٠].

(٣) سورة النحل [٣٦].

(٤) سورة البقرة [٢٥٦].

وأثْنَى الله على مجتنبي عبادة الطاغوت المنيبين لله، وبين أن لهم البشرى، وهي ما يسرهم عند ربهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[1].

وقد سأل إبراهيم ربه أن يرزقه اجتناب الطاغوت، في قوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[2] والأصنام تدخل في الطاغوت دخولاً أولياً»[3].

وأثنى الله جل وعلا على الفتية الذين اعتزلوا الطواغيت وعابديها فبسبب هذا الاعتزال نالوا رحمة ربهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[4].

وهذا الخليل عليه السلام لما اعتزل الطواغيت وعابديها كان ثمرة ذلك أن جعل الله من ذريته الأنبياء قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا

---

(١) سورة الزمر [١٧].

(٢) سورة إبراهيم [٣٥].

(٣) أضواء البيان (٥/٤٧٢).

(٤) سورة الكهف [١٦].

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[(١)].

وهذا يوسف عليه الصلاة والسلام يصرح بأنه اجتنب شرائع الطاغوت وملة الكفر وأهله كما قال تعالى: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[(٢)].

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام يبيّن أن مَن كفر بالطاغوت حَرُم ماله ودمه.

ويدخل في الكفر بالطاغوت اجتناب شرائعه والكفر بها قال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَد من دون الله حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله» [(٣)].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إذاً فلا بد من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.. قوله: «وكفر بما يعبد من دون الله» أي: كفر بالأصنام، وأنكر أن تكون عبادتها حقاً، فلا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله، ولا أعبد صنمًا، بل لا بد أن يقول: الأصنام التي تعبد من دون الله أكفر بها وبعبادتها، فاللات مثلا لا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله ولا أعبد اللات، ولكن لا بد أن يكفر بها، ويقول: إذ عبادتها ليست بحق، وإلا كان مقرًّا بالكفر، فمن رضي دين النصارى دينًا يدينون الله به فهو كافر؛ لأنه إذا ساوى غير دين الإسلام مع الإسلام فقد كذب قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ

---

(١) سورة مريم [٤٨-٥٠].

(٢) سورة يوسف [٣٧].

(٣) سبق تخريجه (ص/٩).

﴿غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [(١)] وبهذا يكون كافرًا، وبهذا نعرف الخطر العظيم الذي أصاب المسلمين اليوم باختلاطهم مع النصارى، والنصارى يدعون إلى دينهم صبحًا ومساء، والمسلمون لا يتحركون، بل بعض المسلمين الذين ما عرفوا الإسلام حقيقة يلينون لهؤلاء: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [(٢)]، وهذا من المحنة التي أصابت المسلمين الآن، وآل بهم إلى هذا الذل الذي صاروا إليه الآن» [(٣)].

ولقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ باتباع شريعة ربه ونهاه عن اتباع أهل الجاهلية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم جعل محمدًا ﷺ على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته، وأهواؤهم هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هَدْيِهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك، فهم يهوونه، وموافقتهم فيه، اتباع لما يهوونه» [(٥)].

---

(١) سورة آل عمران [٨٥].

(٢) سورة القلم [٩].

(٣) القول المفيد (١/١٥٧-١٥٨).

(٤) سورة الجاثية [١٨].

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٨٥).

ولقد جاءت النصوص صريحة واضحة في إبطال مسائل الجاهلية التي شرعها لهم الطاغوت فما توجد شرعة للطاغوت وإلا وهناك نص يبطلها فالحق يُزْهِق الباطل، وهذه بعض مسائل الطاغوت أذكرها مع بيان ما يبطلها من الكتاب والسنة فمنها:

أن أهل الجاهلية يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله وهذه من أعظم مسائل الجاهلية فجاءت النصوص بإبطالها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4] »[5].

ومن مسائل الطاغوت التي أبطلها الشرع أنهم أهل اختلاف وتفرق في دينهم ودنياهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[6].

فأمر سبحانه بمخالفتهم وعدم التفرق في الدين والدنيا كما قال تعالى:

---

(١) سورة الأنعام [١٦٢].

(٢) سورة الزمر [٢].

(٣) سورة غافر [١٤].

(٤) البينة [٥].

(٥) مسائل الجاهلية (١/١٠٠)، ط، المؤيد.

(٦) سورة الروم [٣٢].

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾(٢) ونهانا عن مشابهتهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٣) ونهانا عن التفرق في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(٤) (٥).

فهذه النصوص تدل دلالة واضحة على مخالفة أهل الجاهلية وعدم التشبّه بهم سواء في دينهم أم دنياهم.

وهناك أمور من الجاهلية موجودة إلى يومنا هذا ولكنها غير مخرجة من الملة على مذهب أهل السنة والجماعة، مثل الطعن في الأنساب والنياحة على الميت، والفخر بالأحساب وغيرها، فهذه جملة من مسائل الجاهلية التي أمرنا الله باجتنابها تحقيقاً للتوحيد والكفر بكل طاغوت.

---

(١) سورة الشورى [١٣].

(٢) سورة الأنعام [١٥٩].

(٣) سورة آل عمران [١٠٥].

(٤) سورة آل عمران [١٠٣].

(٥) انظر: مسائل الجاهلية للفوزان (ص/٣٢-٣٣).

الفصل الثاني: وجوب التحذير من الطواغيت ومقاومتها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التصدي للطواغيت وإزالتها.

المبحث الثاني: وجوب التحذير من الطواغيت.

المبحث الأول: التصدي للطواغيت وإزالتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأدلة على أهمية مقاومة الطواغيت وإزالتها.

المطلب الثاني: العبر من هدي الأنبياء والعلماء في التصدي للطواغيت.

المطلب الأول: الأدلة على أهمية مقاومة الطواغيت وإزالتها

إن الله ﷻ وتعالى بعث رسله وأنزل كتبه وخلق الإنس والجن لأجل أمر عظيم إلا وهو عبادة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [١] ولا تتم هذه العبادة إلا بإزالة ما يضادها من الشرك وأسبابه ووسائله، فإفراد الله بالعبادة لا بد معه من الكفر بالطاغوت لأنه شرط في صحة الإيمان كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [٢].

فالإيمان بالله لا يقبل إذا لم يقارنه الكفر بكل طاغوت، ومن الكفر بالطاغوت مقاومته بالقول والعمل وإزالته باليد عند القدرة.

فالأدلة على مقاومة الطواغيت وإزالتها كثيرة جدًّا فكل دليل على إفراد الله بالعبادة والنهي عن ضدها من الشرك والبراءة منه ومن أهله وعدم موالاة الطواغيت فهو دليل على أهمية مقاومة الطواغيت وإزالتها حيث ما من نبي بعثه الله إلا وقد حارب الطواغيت وقاومها، فالتوحيد لا يقوم إلا بالكفر بالطاغوت، فكلمة التوحيد تقوم على إفراد الله بالعبادة والكفر بكل طاغوت، وتتضمن البراءة منها ومن أهلها ومقاومتها وإزالتها باليد عند القدرة، فهذه الأمور كلها من لوازم كلمة التوحيد وقبل ذكر الأدلة على

---

(١) سورة الذاريات [٥٦].

(٢) سورة البقرة [٢٥٦].

مقاومة الطواغيت لا بد من الإشارة إلى حالة الجزيرة العربية قبل مبعث نبينا عليه الصلاة والسلام فقد كانت الطواغيت في كل مكان من نواحيها بل كانت محيطة بالكعبة المشرفة ولكل قبيلة طاغوت تعبده من دون الله.

قال ابن إسحاق[(١)] رحمه الله: «وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة[(٢)] وحُجَّاب وتُهْدِى لها كما تُهْدِى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها، وهي مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده، وكانت لقريش وبني كنانة العزَّى[(٣)] بنخلة[(٤)] وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم...وكانت اللاَّت[(٥)] لثقيف بالطائف، وكانت سدنتها وحجابها بني متعب من ثقيف...وكانت مناة[(٦)] للأوس والخزرج، ومن دان

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار: أبو بكر المطلبي، المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ وقيل بعدها. [التقريب (ص/٤٦٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/٣٣-٥٥)].

(٢) السدنة: خدم الكعبة.

(٣) العزى: سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة. [مختار الصحاح (ص/١٨٠)].

(٤) نخلة: موضع قريب من مكة بينها وبين الطائف.

(٥) اللات: اللات اسْمُ صَنَم كان لِثَقيف بالطَّائف. [النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢٠)].

(٦) مناة: هو صنم كان لهُذَيْل وخُزاعَة بين مكة والمدينة، يَعبُدونها من دون اللَّه، من =

بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد[١]... وكان ذو الخلصة[٢] لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة[٣]، وكان يقال له الكعبة اليمانية ولبيت مكة الكعبة الشامية...وكان قلس لطيء ومن يليها بجبلي طيء[٤] بين أجا وسلمى[٥]... وكان دام بيتا لحمير وأهل اليمن...وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب...وكان ذو الكعبات[٦] لبكر وتغلب ابني وائل»[٧].

فهذه أحوال العرب قبل مبعث محمد ﷺ لكل قوم طاغوت يخصهم

= قولك مَنَوْتُ الشيء، وقيل: مناة اسم صَنَم كان لأَهل الجاهلية. [لسان العرب (١٥/٢٩٧)].

(١) قديد: ماءٌ بالحجاز، وهو مصغر وورد ذكره في الحديث. قال ابن الأَثير: هو موضع بين مكة والمدينة. [النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢)، ولسان العرب (٣/٣٤٦)].

(٢) ذو الخلصة: هو بَيْتٌ كان فيه صَنَم لَدوْس وخَثْعم وبَجيلةَ وغَيْرهم، وقيل ذُو الخَلَصة الكعْبة اليمانِيَّة التي كانت باليَمن فأنفَذَ إليها رسول الله ﷺ جَرِيرَ بن عبدالله يخربها، وقيل ذُو الخَلصة اسْم الصَّنم نَفْسِه وفيه نَظَر. [(٢/٦٢)].

(٣) تبالة: هو بفتح التاء وتخفيف الباء: بلَد باليمن معروف. [النهاية في غريب الحديث (١/١٨٠)].

(٤) طَيِّءٌ: قَبيلة، بوزن فَيْعِلٍ، والهمزة فيها أَصلية، والنسبة إِليها طائِيٌّ. [لسان العرب (١٥/٢١)].

(٥) أجا وسلمى: اسما جبلين.

(٦) ذو الكعبات: هو بيت لربيعة يطوفون به. [لسان العرب (١/٧١٨)].

(٧) البداية والنهاية (٢/١٧٨-١٨٠).

يعبدونه من دون الله فلما بعث الله إمام الموحدين ﷺ دكَّ عروش الطواغيت البعيد منها والقريب فلم يبق منها واحدٌ حتى أصبح لا يعبد في الجزيرة إلا الله الذي لا إله إلا هو.

قال ابن كثير رحمه الله: ((والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت لما جاء الإسلام جهز رسول الله ﷺ إلى كل بيت من هذه سرايا تخرّبه وإلى تلك الأصنام من كسرها حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وعبد الله وحده لا شريك له))(١).

فالأدلة على مقاومة الطواغيت كثيرة في الكتاب والسنة فمنها ما ذكره الله جل وعلا عن إمام الحنفاء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عندما قاوم الطواغيت وحطمها بقوله وفعله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾

---

(١) البداية والنهاية (٢/١٨٠).

(٢) سورة الأنبياء [٧٤].

(٣) سورة الشعراء [٧٠-٧٧].

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[١].

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «فرموا إبراهيم بالظلم الذي هم أولى به حيث كَسَّرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده، وإنما الظلم من اتخذها آلهة، وقد رأى ما يفعل بها»[٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾[٣].

ومن الأدلة قوله تعالى عن نبينا محمد ﷺ لما تصدَّى لكفار قريش ولطواغيتهم: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٤].

قال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد

---

(١) سورة الأنبياء [٥١-٥٨].

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص/٥٢٦).

(٣) سورة الصافات [٩١-٩٣].

(٤) سورة الزمر [١٤-١٥].

لمشركي قومك: اللهَ أعبد مخلصاً، مفردا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكًا، ولكني أفرده بالألوهية، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم»[(١)].

ومن الأدلة على مقاومة الطواغيت قوله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت»[(٢)].

فنهيه عن الحلف بالطاغوت دليل على أهمية مقاومتها ومن الأدلة قوله ﷺ: «أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[(٣)].

ففي هذا الحديث بيان من النبي ﷺ أن الله أمره بالتصدي للطواغيت والاستمرار على مقاومتهم وقتالهم حتى يوحدوا الله جل وعلا ومما يدل على أهمية التصدي للطواغيت وإزالتها ما أخبر به النبي ﷺ أنه بعث من أجل ذلك عندما سأله عمرو بن عبسة رضي الله عنه بقوله: «فقلت له: ما أنت؟ فقال: أنا نبي فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني

---

(١) جامع البيان (٢٣/٢٠٤).

(٢) سبق تخريجه (ص/١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة .. (١/١١-١٢).

بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحدوا الله لا يشرك به شيء..»[١].

وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ بعث لأجل تحطيم الطواغيت وتكسيرها وإفراد الله بالعبادة، ومن الأدلة أيضاً عدم راحة النبي ﷺ وهو يعلم بوجود طاغوت من طواغيت الجاهلية وذلك عندما قال لجرير بن عبد الله ﷺ: « ألا تريحني من ذي الخلصة[٢]؟ فنفرت في مائة وخمسين راكباً فَكَسَرْناه وقتلْنا من وجدنا عنده، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فدعا لنا ولأحمس».وفي رواية « فبرَّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات»[٣]. وفي رواية: «أن النبي ﷺ قال له: يا جرير إنه لم يبق من طواغيت الجاهلية إلا بيت ذي الخلصة»[٤].

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: (ألا تريحني) المراد بالراحة راحة القلب، ما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالى..وفي الحديث مشروعية إزالة ما يفتتن به الناس من بناء وغيره سواء كان إنساناً أو حيواناً أو جماداً، وفيه استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم، والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح»[٥].

ومما يدل على أهمية مقاومة الطواغيت- دعاء النبي ﷺ لهم فوق ثلاث

---

(١) سبق تخريجه (ص/١٧٩).

(٢) ذو الخلصة: صنم تعبده دوس في الجاهلية، فتح الباري (٨/٨٩).

(٣) سبق تخريجه (ص/١٨٧).

(٤) صحيح ابن حبان (١٦/١٧٧).

(٥) فتح الباري (٨/٩٠-٩٢).

مما يوضح منزلة الكفر بالطاغوت عند النبي ﷺ وما يحصل له من راحة وسرور عند إزالة معاقل الطواغيت وتحطيمها وعظم الأمر الذي بُعِث له جرير ﷺ، ومما يدل على مقاومة الطواغيت وإزالتها باليد عند القدرة ما فعله النبي ﷺ عندما مكنه الله في الأرض وفتح مكة حطم الطواغيت التي حول الكعبة، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها، ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تدفع عن نفسها شيئًا»(٢).

وممن وصف فعل النبي ﷺ حين حطم الطواغيت التي حول الكعبة الصحابي فضالة بن عمير بن الملوح(٣) بقوله:

لو قد رأيت محمدًا وقبيله   بالفتح يوم تَكَسَّر الأصنامُ

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح (٨/ ٢٠)، رقم (٤٢٨٧).

(٢) فتح الباري (٨/ ٢٢).

(٣) فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أدرك الجاهلية، روي أن النبي ﷺ مرَّ به يوم الفتح وهو عازم على الفتك به، فقال له: ما كنت تحدث به نفسك قال: لا شيء كنت أذكر الله تعالى، فضحك رسول الله ﷺ وقال استغفر الله لك ثم وضع يده على صدره قال فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما أحدٌ على ظهر الأرض أحب إليّ منه. [الإصابة (٥/ ٣٧٢)].

لرأيت دينَ الله أضْحَى بيِّناً والشرك يَغْشَى وجهَه الإظلامُ[١]

وبعد ما حطم ﷺ الطواغيت التي حول الكعبة وطهر البيت العتيق من رجس الأوثان بادر بالطواغيت الكبار فبعث سراياه لإزالتها.

قال ابن القيم رحمه الله: «وبث رسول الله ﷺ سراياه إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة، فكسرت كلها منها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ونادى مناديه بمكة «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره» فبعث خالد بن الوليد إلى العزى لخمس بقين من شهر رمضان ليهدمها، فخرج إليها في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها، فهدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً ؟ قال: لا، قال: «فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها. فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزَّ لها باثنتين، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «نَعَم تلك العزى، وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبداً» وكانت بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بني شيبان.

ثم بعث عمرو بن العاص إلى سواع، وهو صنم لهذيل ليهدمه، قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، فقال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تُمنع. قلت: حتى

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٤١٧).

الآن أنت على الباطل، ويحك فهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئًا، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ثم بعث سعد بن زيد الأشهلي[١] إلى مناة، قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء، ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصانك، فضربها سعد فقتلها، وأقبل إلى الصنم، ومعه أصحابه فهدمه، وكسَّروه، ولم يجدوا في خزانته شيئًا»[٢].

وبعث عليه الصلاة والسلام المغيرة بن شعبة[٣] رضي الله عنه إلى اللات فهدمها، قال ابن القيم: «فلما قدموا، عمدوا إلى اللات ليهدموها، واستنكفت ثقيف كلها، الرجال والنساء والصبيان، حتى خرج العواتق من الحجال لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة يظنون أنها ممتنعة... فوثب المغيرة بن شعبة، فقال:

---

(١) سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ذُكِر فيمن شهد بدرًا وقيل شهد العقبة، وله ذكر في السيرة وأنه الذي هدم المنار الذي كان بالمشلل، وأنه الذي بعثه النبي ﷺ بسبايا من بني قريظة فاشترى بها من نجد خيلا وسلاحاً [الإصابة (٦١/٣)].

(٢) زاد المعاد (٤١٤/٣-٤١٥)، وانظر: طبقات ابن سعد (١٤٥/٢-١٤٧).

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر، شهد الحديبية، وأسلم زمن الخندق، شهد اليمامة واليرموك والقادسية وكان عاقلا أديبا فطنا لبيبا داهيا، توفي سنة خمسين. [انظر: خلاصة تذهيب التهذيب (٣٨٥/١)].

قبَّحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي لِكَاعُ حجارة ومَدَر، فأقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم ضَرَب الباب فَكَسَره، ثم علا سورها، وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجرًا حجرًا حتى سوَّوها بالأرض، وجعل صاحب المفتاح يقول: ليغضبن الأساس، فليخسفن بهم، فلما سمع ذلك المغيرة، قال لخالد: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حليها ولباسها، فبهتت ثقيف»[١].

ولما تمكن ﷺ من هدم الطواغيت الكبار أرسل السرايا لهدم الطواغيت في نواحي الجزيرة العربية، ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: «بعث رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب في مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض إلى الفُلس، وهو صنم طيئ ليهدمه، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموه»[٢]. ومن الطواغيت التي بعث لها رسول الله ﷺ لتهدم صنم يقال له ذوالكفين، ذكر ابن القيم رحمه الله: «أن رسول الله ﷺ بعث الطفيل[٣] بن عمرو إلى ذي

(١) زاد المعاد (٣/٤٩٩).

(٢) زاد المعاد (٣/٥١٧). وانظر: طبقات ابن سعد (٢/١٦٤).

(٣) الطفيل بن عمرو الدوسي صاحب النبي ﷺ كان سيدا مطاعا من أشراف العرب، وكان الطفيل يلقب ذا النور أسلم قبل الهجرة بمكة، قتل الطفيل يوم اليمامة. [سير أعلام النبلاء (١/٣٤٤)].

الكفين: صنم عمرو[١] بن حُممة الدوسي، يهدمه»[٢].

فهذه بعض الأدلة التي تدل على مقاومة الطواغيت بالقول والفعل ولم يزل حال النبي ﷺ على مقاومتها والتصدي لها حتى وهو في سكرات الموت، تصدَّى لها وحذَّر من فعل اليهود والنصارى عندما جعلوا قبور أنبيائهم مساجد، ونهى أن يجعل قبره وثناً يُعبد كل هذا وهو في سكرات الموت عليه الصلاة والسلام مما يدل على أهمية مقاومة الطواغيت والتصدي لها.

---

(١) عمرو بن حممة الدوسي وفد على النبي ﷺ وقيل إنه مات في الجاهلية، وكان معمراً، يقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة، وكان أحد حكماء العرب في الجاهلية، [الإصابة (٦٢٥/٤)].

(٢) زاد المعاد (٤٩٥/٣)، وانظر: طبقات ابن سعد (١٥٨/٢).

المطلب الثاني: العبر من هدي الأنبياء والعلماء في التصدي للطواغيت.

إن أفضل الخلق هم الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- فهم صفوة الخلق، وأمناء الله على وحيه، نَصَحوا لأممهم وبلَّغوا رسالات ربهم، فهم هداة مهتدون، وقد أمر الله ﷻ نبينا محمدًا ﷺ بالاقتداء بهم وأمته مأمورة باتباعه عليه الصلاة والسلام وقد اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمدًا ﷺ (أولئك): يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان، وهم الأشباه (الذين هدى الله): أي هم أهل الهدى لا غيرهم (فبهداهم اقتده): أي اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمرًا للرسول ﷺ فأمته تَبَعٌ له فيما يشرعه ويأمرهم به» (٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي امش -أيها الرسول الكريم- خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار واتبع ملتهم، وقد امتثل ﷺ فاهتدى بهدى الرسل قبله، وجمع كلَّ كمال فيهم، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين-» (٣).

فالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- نصحوا لأقوامهم سرًّا وجهرًا جماعات وأفرادًا، لأنهم أرحم الخلق، ومن أعظم النصح الأمر بعبادة الله وتوحيده والنهي عن الشرك، وعبادة الطواغيت، فهذا رسول الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

(١) سورة الأنعام [٨٣-٩٠].

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٦١/٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص/٢٦٤).

﴿تَعۡلَمُونَ﴾[(١)] وهذا رسول الله هود عليه الصلاة والسلام يدعو قومه ويصبر على أذاهم: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[(٢)] وهذا رسول الله صالح عليه الصلاة والسلام يدعو قومه ويحذرهم عاقبة الإعراض عن دين الله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[(٣)] وهذا رسول الله شعيب ﷺ يدعو قومه ويبين نصحه لهم فلما أعرضوا لم يكترث بهم: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾[(٤)].

ففي هذه الآيات بيان نصح الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لأقوامهم وحرصهم على دعوتهم للتوحيد والنهي عن الشرك، وهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو حقيقة دين الأنبياء والمرسلين، قال أبو العالية رحمه الله: «كل آية ذكرها الله في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام، والنهي عن المنكر فهو عبادة الأوثان والشيطان»[(٥)].

---

(١) سورة الأعراف [٦٢].

(٢) سورة الأعراف [٦٧-٦٨].

(٣) سورة الأعراف [٧٩].

(٤) سورة الأعراف [٩٣].

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٠).

فأعظم المعروف هو التوحيد وأعظم المنكر هو الشرك بالله، وهذا ما دعا إليه الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وتصدَّوا له بالقول، والفعل والاعتقاد، ولقد أمر الله هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي دعا إليه نبينا محمد ﷺ ممتثلاً أمر الله بالاقتداء بالأنبياء من قبله في التصدي للطواغيت ومقاومتها وإزالتها عند القدرة، ولقد فضل الله نبينا محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء كما فضَّل أمته على سائر الأمم كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

قال ابن جرير رحمه الله: ((يعني تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه (وتنهون عن المنكر) يعني تنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه))(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُو﴾(٣).

قال ابن جرير رحمه الله: ((وينهون عن المنكر يعني وينهون عن الكفر بالله،

---

(١) سورة آل عمران [١١٠].

(٢) جامع البيان (٥/٦٧٦).

(٣) سورة آل عمران [١٠٤].

والتكذيب بمحمد ﷺ، وبما جاء به من عند الله، بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة»[(١)].

وقال ابن كثير رحمه الله: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»[(٢)].

ويقول العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن في أهمية مقاومة الطواغيت وأن هذا هو التأسي بالأنبياء وأخذ العبرة من دعوتهم: «وأحق الناس بهذا الوصف وأولاهم به من دعا إلى توحيد الله، وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة، وقرر أن دعاء عبد القادر وأمثاله هو الشرك الذي يحول بين العبد وبين الإسلام والإيمان، وأن أهله ممن عَدَل بالله، وسوَّى برب العالمين سواه، بل قد وصلوا في عبادتهم للمشايخ والأولياء إلى غاية ما وصل إليها مشركو العرب، كما يعرف ذلك من عرف الإسلام، وما كانت عليه الجاهلية قبل ظهوره، فمَقْت هؤلاء المشركين وعَيْبهم وذَمُّهم وتكفيرهم والبراءة منهم حقيقة الدين والوسيلة العظمى إلى رب العالمين، ولا طيب لحياة مسلم وعيشه إلا بجهاد هؤلاء ومراغمتهم وتكفيرهم والتقرب إلى الله بذلك واحتسابه لديه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[(٣)]»[(٤)].

---

(١) جامع البيان (٥/٦٦١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٩١).

(٣) سورة الشعراء [٨٨-٨٩].

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/٢٢٤).

فالعبر في هدي الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- في مقاومة الطواغيت كثيرة جدًا، ومن العبر التي تؤخذ من هدي نبينا ﷺ عندما قاوم الطواغيت وأزالها ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في قصة وفد ثقيف بقوله: «وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوه شهرًا واحدًا بعد قدومهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروِّعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها، وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم، فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه»»[(١)].

فهذا حال المصطفى ﷺ مع إزالة الطواغيت ومقاومتها بعد ما أمكنه الله منها، فلم يساوم لحظة واحدة في إبقائها بل إن سبب التمكين له هو إزالة هذه المعبودات من دون الله، وإظهار التوحيد، فبالتوحيد وإزالة الشرك تصلح الأرض ومن عليها.

ومن العبر في هذه ما ذكره ابن القيم رحمه الله: «ومنها: أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على ،هدمها وإبطالها يومًا واحدًا فإنها

---

(١) زاد المعاد (٣/٤٩٩-٥٠٠).

شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اُتِّخِذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم، والتبرك، والنذر، والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركا عندها وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم....

ومنها: جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجوز للإمام، بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها كلها، ويصرفها على الجند والمقاتلة، ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي ﷺ أموال اللات، وأعطاها لأبي سفيان يتألَّفه بها، وقَضَى منها دين عروة والأسود، وكذلك يجب عليه أن يهدم هذه المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً»[1].

ومنها: هدم مواضع الشرك التي تُتخذ بيوتاً للطواغيت، وهدمها أحبُّ إلى الله ورسوله، وأنفع للإسلام والمسلمين من هدم الحانات والمواخير، وهذا حال المشاهد المبنية على القبور التي تُعبد من دون الله، ويشرك بأربابها مع

---

(١) زاد المعاد (٣/٥٠٦-٥٠٧).

الله، لا يحل إبقاؤها في الإسلام، ويجب هدمها، ولا يصلح وقفها، ولا الوقف عليها، وللإمام أن يُقْطِعْها وأوقافها لجند الإسلام، ويستعين بها على مصالح المسلمين، وكذلك ما فيها من الآلات، والمتاع، والنذور التي تساق إليها، يضاهي بها الهدايا التي تساق إلى البيت الحرام، للإمام أخذها كلها، وصرفها في مصالح المسلمين، كما أخذ النبي ﷺ أموال بيوت هذه الطواغيت، وصرفها في مصالح الإسلام، وكان يفعل عندها ما يفعل عند هذه المشاهد، سواء من النذور لها، والتبرك بها، والتمسح بها، وتقبيلها واستلامها، هذا كان شرك القوم بها، ولم يكونوا يعتقدون أنها خَلَقَتْ السمواتِ والأرض، بل كان شركهم بها كشرك أهل الشرك من أرباب المشاهد بعينه.

ومنها: استحباب اتخاذ المساجد مكان بيوت الطواغيت، فيعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً في الأمكنة التي كان يُشْرك به فيها، وهكذا الواجب في مثل هذه المشاهد أن تهدم، وتُجعل مساجد إن احتاج إليها المسلمون، وإلا أَقْطَعها الإمام هي وأوقافها للمقاتلة وغيرهم»[1].

ومما تقدم في هدي الأنبياء ونصحهم لأقوامهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر واجتهادهم في مقاومة الطواغيت وإزالتها نأخذ العبر الآتية:

١- عدم ترك الطواغيت ولو لحظة واحدة، وإزالتها بعد القدرة عليها والمبادرة في ذلك.

---

(١) زاد المعاد (٣/٦٠١-٦٠٢).

٢- بيان حقيقة الكفر بالطاغوت؛ لأن مِن الكُفْر بالطاغوت: بغضُهُ والبراءة منه وإزالته عند القدرة وهذا ما فعله النبي ﷺ لما مكّنه الله من الطواغيت.

٣- إن تحطيم الطواغيت ومباشرة ذلك باليد ينزع هيبتها من صدور عابديها ونكاية في إذلالها وبيان أنها لا تنفع ولا تضر.

٤- إن مباشرة هدم الصحابة للطواغيت بأنفسهم اقتداء منهم برسول الله ﷺ دليل على أن إزالة الطواغيت وتحطيمها ليس محصورًا على فئة معينة، بل كل موحد يستطيع ذلك؛ لأن الطواغيت لا تغني عن نفسها شيئاً فضلاً عن غيرها، ولا تستطيع إلحاق الضرر بأي شخص كان.

٥- إن ما فعله النبي ﷺ بالطواغيت دليل على عدم استحقاقها للعبادة من دون الله.

٦- إن كل معبود من دون الله مهما عظمت منزلته عند أتباعه ولو طال عليها الزمن فعبادتهم له لا تصح بوجه من الوجوه.

٧- إن في إزالة الطواغيت تحقيقًا لمعنى لا إله إلا الله بالاعتقاد والقول والفعل.

٨- إن العاقبة تكون لحزب الله الموحدين مهما طال زمن الباطل.

٩- إن في تحطيم الطواغيت وإزالتها تحقيقَ نصرِ الله لعباده الموحّدين بإعلاء التوحيد حسيًا ومعنويًا، وإذلال الشرك وأهله.

١٠- إهانة الطواغيت وإذلالها عند إزالتها باليد واللسان كما فعل النبي ﷺ وهو يحطم الأصنام يردد قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ

ﭐلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٢].

وكما فعل خالد بن الوليد ﷺ عندما حطَّم العزى بقوله:

يا عُزَّى لا غُفْرَانَكِ إني رأيت اللهَ قَدْ أَهَانَكِ

وكما فعل الطفيل بن عمرو ﷺ عندما حطَّم صنم ذي الكفين بقوله:

يا ذا الكفين لستُ من عبادكا ميلادُنا أقدمُ من ميلادكا

إني حششت النار في فؤادِكا[٣]

وهذا فيه إهانة للطواغيت بالقول والفعل، وهذا أبلغ ما يكون من الإهانة والإذلال.

١١- إبطال عبادة الطواغيت بمحاجة عابديها بالعقل وإثبات أنها لا تغني عن نفسها شيئاً فهي لا تستحق العبادة.

فهذه بعض العبر من هدي الأنبياء في مقاومة الطواغيت وإزالتها فمن ابتغى الإصلاح في غير هديهم كان فساده أكثر من صلاحه.

---

(١) سورة الإسراء [٨١].

(٢) سورة سبأ [٤٩]. وانظر: مسلم مع النووي، كتاب: المغازي، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة (١٢/٣٤٦)، رقم (٤٦٠١).

(٣) زاد المعاد (٣/٤٩٥).

المبحث الثاني: وجوب التحذير من الطواغيت، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: هدي الأنبياء في التحذير من الطواغيت.

المطلب الثاني: جهود علماء السنة في مقاومة الطواغيت والتحذير منها في القديم والحديث.

المطلب الأول: هدي الأنبياء في التحذير من الطواغيت

لقد اصطفى الله رسله وخصهم دون سائر البشر برسالاته، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فدعوا إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة ونهوا عن الشرك وحذروا منه ومن عبادة الطواغيت، بل سَدُّوا كلَّ طريق أو ذريعة تفضي إلى الشرك بالله فالرسل من أولهم إلى آخرهم أنذروا أقوامهم وحذروهم من الطواغيت كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [(١)] وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾[(٣)].

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «ويذكر تعالى زبدة ما أرسل به المرسلين، أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد حصلت له البشارة. والمنذَرُ والمنذِرُ به، والأعمال التي من عملها حقت عليه النذارة» وقال أيضاً: «أي لم نرسل

---

(١) سورة النساء [١٦٥].

(٢) سورة الأنعام [٤٨].

(٣) سورة الكهف [٥٦].

الرسل عبثًا، ولا ليتخذهم الناس أربابًا، ولا ليدعوا إلى أنفسهم، بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شرّ، ويبشرونهم على امتثال ذلك بالثواب العاجل والآجل، وينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والآجل، فقامت بذلك حجة اللهِ على العباد..»[(١)].

ومما يدلّ على أهمية التحذير من الطواغيت وأن الإنذار منها والتحذير جاءت به جميع الرسل أن الله خص بذكر كل نبي لوحده بالإنذار والتحذير من الشرك، كما قال تعالى عن نبيه نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[(٢)] وقال تعالى عن هود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[(٣)] وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص/٢٥٧. ٤٨٠).

(٢) سورة هود [٢٥].

(٣) سورة الأحقاف [٢١].

(٤) سورة سبأ [٢٨].

ﱡﭐ ٱلسَّعِيرِ ﱠ[١] وأخبر سبحانه أنه أوحى إلى نبيِّه هذا القرآن لأجل أن ينذر به قومه من الطواغيت كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾[٣].

فالأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- أنذروا أقوامهم من الشرك وعبادة الطواغيت وأمروهم بإفراد الله بالعبادة المتضمنة البراءة من كل معبود سوى الله، والتحذير من الطواغيت، وكان هَدْيُهم في ذلك أكملَ هدي وأتمه، فحذَّروا من الطواغيت بأقوالهم وأفعالهم واعتقادهم، وبالحجة الدامغة، وبالبيان الواضح، وبالأدلة العقلية والنقلية، وسَدُّوا كل طريق وذريعة توصل إلى الشرك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وإنما بُعِثَت الرسل بِمَحْقِ الشرك من الأرض، ومَحْقِ أهله وقطع أسبابه، وهدم بيوته، ومحاربة أهله»[٤].

فهديهم -صلوات الله وسلامه عليهم- أكملُ هَدْي، فهذا إبراهيم الخليل يحاج الطواغيت ويلجمها بالحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

(١) سورة الشورى [٧].

(٢) سورة الأنعام [١٩].

(٣) سورة الأنبياء [٤٥].

(٤) مفتاح دار السعادة (١٩٤/٣).

ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جدًّا، وهي أن شرَّ العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها فتضَّمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية، لا في حال حياته، ولا بعد موته؛ فإن له رَبًّا قادرًا قاهرًا متصرفًا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يُتَّخَذ الصنم على صورته ويُعْبَد من دونه وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس، وهي مربوبة مدبرة مسخرة لا تصرف لها في نفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها، فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يُعبد من دون الله»[٢].

ومن صور تحذير إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام من الطواغيت التي كان قومه يعبدونها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ

(١) سورة البقرة [٢٥٨].

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/٢١٠-٢١١).

أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[4] فهذه الآيات تدل على تحذير إمام الحنفاء من الطواغيت بصور متعددة، فتارة بالحجج العقلية، وتارة بالتقريع لها والتوبيخ، وتارة بالتصريح بعداوتها، وتارة بتحطيمها إلى غير ذلك من صور التحذير من كلِّ معبود من دون الله.

وهذا إمام المتقين وسيد الأنبياء والمرسلين وقدوة الناس أجمعين نبينا محمد ﷺ يحذر من الطواغيت منذ بُعِث إلى أن توفَّاه الله فلم يدع لحظة إلا حذَّر فيها من الطواغيت في غزواته وفي سفره وحضره وصحته ومرضه، لأن التحذير من الطواغيت هو من النفي في لا إله إلا الله، فالطواغيت وكل ما

---

(١) سورة الشعراء [٧٠-٧٧].

(٢) سورة الأنبياء [٥١-٥٤].

(٣) سورة الصافات [٨٦].

(٤) سورة الممتحنة [٤].

يُعْبَد من دون الله يلزم التحذير منها فهديه ﷺ أكمل هدي كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [(١)].

فمن صور تحذيره -صلى الله عليه وسلم- من الطواغيت: عن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ﷺ حيث أتى حنيناً مرَّ بشجرة يعلق المشركون عليها أمتعتهم وأسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: «الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ لتركبنَّ سَنَنَ الذين من قبلكم» [(٢)]. فلم يدع ﷺ التحذير من الطاغوت مع أن القوم كانوا حديثي عهدٍ بكفر، كما جاء في بعض الروايات [(٣)] ومع ذلك حذَّرهم من الطواغيت ومن مشابهة عبادها رغم أن مقصدهم كان حسناً، ولم يؤخر البيان ﷺ عن وقته بحجة تأليف القلوب على الإسلام بل صدع بالحق، مما يدلّ على مكانة التحذير من الطواغيت عند النبي ﷺ.

ومن صور تحذيره من الطواغيت بيانه لمصيرها في الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتَّبع من كان يعبد الشَّمْسَ الشمسَ، ويتَّبع من

---

(١) سورة الأحزاب [٢١].

(٢) سبق تخريجه (ص/١١٩).

(٣) انظر: السنة لابن أبي عاصم رقم (٧٦)، والسنة للمروزي رقم (٤٠).

كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتَّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت،...»[١].

وعن أبي سعيد الخدري[٢] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحابُ الصَّلِيب مع صَلِيبهم، وأصحابُ الأوثان مع أوثانهم، وأصحابُ كلِّ آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر»[٣].

قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه إشارة إلى أن كلّ من كان يعبد الشيطان ونحوه ممن يرضى بذلك أو الجماد والحيوان داخلون في ذلك، وأما مَنْ كان يَعْبد مَنْ لا يرضى بذلك كالملائكة والمسيح فلا»[٤].

ومن صُوَر تحذيره ﷺ عن الطواغيت نَهْيُه عن الحلف بها، فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»[٥]. وفي رواية: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت»[٦].

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التوحيد، باب قول الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] (٥١٧/١٣)، رقم (٧٤٣٧).

(٢) سعد بن مالك بن سنان الخدري أبو سعيد، بايع تحت الشجرة وشهد ما بعد أحد، وكان من علماء الصحابة مات سنة أربع وسبعين. [خلاصة تذهيب التهذيب (١٣٥/١)].

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٥١٩/١٣)، رقم (٧٤٣٩).

(٤) فتح الباري (٥٤٦/١١).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله (١٠٢٧/٣)، رقم (١٦٤٨).

(٦) المسند (٦٢/٥).

قال الإمام النووي رحمه الله: «قال العلماء في الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى، فلا يضاهى به غيره، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أحلف بالله مائة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فأبر»[(١)]. ففي النهي عن الحلف بالطواغيت تحذير منها ومن تعظيمها لأن الحلف بغير الله شرك.

ومن صور تحذيره من الطواغيت عليه الصلاة والسلام تحذيره واستفْصَاله عن المكان الذي يُذْبَح فيه لله إذا كان فيه طاغوت من طواغيت الجاهلية فإنه يَمْنَع فعل العبادة فيه، حتى ولو زال ذلك الطاغوت، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نَذَر رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد» قالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم، قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ:أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم »[(٢)]. وفي لفظ: «أبها وثنٌ أم طاغية، فقال: لا، قال: أوف بنذرك»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «[أوف بنذرك] هذا يقتضي أن

(١) شرح مسلم للنووي (١١/١٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأيمان والنذور، باب: ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٣/٣٩٤)، رقم (٣٣١٣).

(٣) المسند (٦/٣٦٦).

كون البقعة مكاناً لعيدهم مانع من الذبح بها، وإنْ نَذَر، كما أن كونها موضعَ أوثانهم كذلك، وإلا لما انتظم الكلام ولا حسن الاستفصال... فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم، وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذورًا فكيف نفس عيدهم؟ هذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شركهم بعبادة الأوثان كان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثان»[1].

قال العلامة صالح الفوزان –حفظه الله–: «فيه دليل على أن الصنم ولو زال وأن الوثن ولو زال من المكان أن هذا المكان يُتْرَك ولا يُذْبَح فيه؛ لأنه قال: (هل كان فيها) يعني في الزمن الماضي؛ فدل على أن مكان الوثن يجب أن يُهْجَر قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[2] الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها وترك المكان الذي كانت فيه»[3].

ومن صور تحذيره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الطواغيت إزالتها وطمس معالمها فعن أبي الهياج الأسدي[4] قال: قال لي علي رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٤٣).

(٢) سورة المدثر [٥].

(٣) إعانة المستفيد (١/٢٤٦).

(٤) هو: حيان بن حصين الأسدي أبو الهياج الكوفي تابعي ثقة، روى عن علي وعمار وعنه أبناه جرير ومنصور وأبو وائل والشعبي ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عبد البر كان كاتب عمار –رضي الله عنه– [تهذيب التهذيب (٣/٥٩)، خلاصة تذهيب التهذيب ج١/ص٩٦].

رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين: من شجرة، أو عمود، أو وثن، أو قبر، أو خشبة، أو عين، ونحو ذلك، والواجب هدم ذلك كله، ومحو أثره كما أمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض»[٢].

ومن صور تحذيره ﷺ من الطواغيت وهو في سكرات الموت تحذيره من فعل عبدة الطاغوت الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نُزل[٣] برسول الله ﷺ طفق[٤] يطرح خميصة[٥] له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يُحذِّر ما صنعوا»[٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبور (٥٥٥/٢)، رقم (٩٦٩).

(٢) إغاثة اللهفان (٢٣٧/١).

(٣) أي: نزل به ملك الموت.

(٤) طفق: جعل.

(٥) خميصة: كساء له أعلام.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب: بدون ترجمة (١٥٧/١-١٥٨)، رقم (٤٣٥-٤٣٦).

بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شد الرحال إليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا والإشراك بها، وحَرَّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سدًّا للذريعة»[١].

فهذا هَدْيُ رسول الله ﷺ في التحذير من الطواغيت مما يدل على عظم الأمر حيث إنه سدَّ كل ذريعة توصل إلى الشرك بالله، حماية لجناب التوحيد، وصيانة لحماه من الطواغيت وتحقيقًا للكفر بكل طاغوت عُبِد من دون الله.

---

(١) إعلام الموقعين (٣/١٥١).

المطلب الثاني: جهود علماء السنة في مقاومة الطواغيت والتحذير منها في القديم والحديث

لا إله إلا الله كلمة التوحيد والعروة الوثقى، مَنْ تَمَسَّك بها نجا ومن ترك العمل بها خاب وخسر، بعث الله بها جميع الأنبياء والمرسلين، وكان آخُرهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ فدعى إلى إفراد الله بالعبادة ونفي الطواغيت ومقاومتها وإزالتها، فكان على ذلك حتى توفاه الله . صلوات الله وسلامه عليه . فسار الصحابة -رضوان الله عليهم- على نهج نبيهم وسنته، فكانوا هداة مهتدين، وحذَّروا من الطواغيت وقاوموها وأزالوها، وتتابع علماء أهل السنة والجماعة من بعدهم على ذلك؛ لأنهم ورثة الأنبياء يسيرون على هدي نبيهم والصحابة من بعده فتصدوا لكل معبود من دون الله وكشفوا ضلاله وهتكوا ستره بالكتاب والسنة، وحطموا كيانه باللسان والسنان على مرّ العصور والأزمان، فعلماء أهل السنة والجماعة قاوموا الطواغيت بنوعيها الحسِّي والمعنوي، فالحسِّي يدخل فيه العاقل وغير العاقل، فلم تقتصر جهودهم في مقاومتها على نوع معين منها، بل أجهزوا عليها جميعًا بسيف الكتاب والسنة.

ومن جهودهم في مقاومة الطواغيت الحسِّية التي لا تعقل كالأصنام، والأشجار والأنصار والقبور وغيرها من الطواغيت: قَطْعُ عمر ﷺ للشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلّون تحتها، فخاف

عليهم الفتنة [١].

قال معرور بن سويد الأسدي[٢] رحمه الله: «خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلّى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبًا، فقال: أين يذهب هؤلاء قيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعًا، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلّ، ومن لا فليمض ولا يعتمدها»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا كان هذا فعل عمر رضي الله عنه بالشجرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن وبايع تحتها الصحابة رسول الله ﷺ ،فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان، التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها؟»[٤].

وهذا عثمان رضي الله عنه يحطم الطواغيت التي كانت في صنعاء قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله، إما جهلاً وإما عنادًا لأهل التوحيد، ولم يضرّهم ذلك شيئاً، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين.

---

(١) البدع والنهي عنها (ص/٨٨).

(٢) معرور بن سويد الأسدي من أهل الكوفة كنيته أبو أمية يروى عن عمر وأبى ذر روى عنه الأعمش وإسماعيل بن رجاء. أتى عليه عشرون ومائة سنة وهو أسود الرأس واللحية. [الثقات (٤٥٧/٥) برقم (٥٧٠٢)].

(٣) البدع والنهي عنها (ص/٨٧).

(٤) إغاثة اللهفان (٢٣٧/١).

وأما خواصّهم فإنهم اتخذوها على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسدنة، وحجَّابًا، وحجًّا وقرباناً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً؛ فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كان به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس، وجعله بيت نار.

ومنه بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء، بناه بعض المشركين على اسم الزهرة، فخربه عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه-»[1].

ومن العلماء الذين حذَّروا من الطواغيت الإمام أبو بكر الطرطوشي[2] رحمه الله حيث قال: «انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة، أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قِبَلِها، ويضربون بها المسامير والخِرَق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها»[3]. ذكر هذا الكلام بعد حديث ذات أنواط محذِّرًا منها ومن أمثالها، ومن العلماء الذين قاوموا الطواغيت وحذروا منها وسدوا كل طريق يوصل إلى عبادة الطواغيت الإمام أبو محمد عبد الرحمن المعروف بأبي شامة[4] حيث قال: «ومن هذا القسم أيضاً ما قد عمَّ

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٢٣٨).

(٢) هو الإمام العلامة شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، مشهور بالدين والزهد والعلم والعبادة، ونشر العلم، توفي عام ٥٢٠هـ [انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩٠)].

(٣) الحوادث والبدع (ص/٣٣).

(٤) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي شهاب الدين، المعروف بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، كان شيخ الإقراء في زمانه وحافظ العلماء، ثقة =

به الابتلاء: من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعُمُد، وسَرْج مواضع مخصوصة من كل بلد، يحكى لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهِر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله، وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعْظُم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من بين عيون، وشجر وحائط، وحجر، وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعُوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلَّق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر، في نفس قارعة الطريق، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها»[(١)].

ومن العلماء الذين قاوموا الطواغيت وتصدوا لها وأزالوها الشيخ أبو إسحاق الجبيناني[(٢)] أحد الصالحين ببلاد أفريقية، حيث حكي عنه صاحبُه الصالح، أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب[(٣)]: أنه كان إلى جانبه عين، تسمى: عين العافية، كانت العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، من تعذر عليها نكاح، أو ولد، قالت: امضوا بي إلى العافية، فتعرف بها الفتنة، قال أبو عبد الله: فأنا في السَّحَر ذات ليلة، إذ سمعت

= حافظ، مجتهد توفي سنة ٦٦٥هـ [انظر: العبر (٣/٣١٣)، وشذرات الذهب (٥/٣١٨)].

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص/١٠١).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) لم أجد له ترجمة.

أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها، وأذَّن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني قد هدمتها لك، فلا ترفع لها رأساً؛ قال: فما رُفِع لها رأس إلى الآن» [١].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قاوم الطواغيت بجميع أنواعها ودكَّ عروشها وأزالها بيده، قال الإمام ابن القيم عن شيخه: «وقد كان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فيسَّر الله سبحانه كَسْرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلَّق، والنصب الذي كان بمسجد النارنج عند المصلي يعبده الجهال، والنصب الذي كان تحت الطاحون، الذي عند مقابر النصارى، ينتابه الناس للتبرك به، وكان صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له ويتبركون به، وقطع الله سبحانه النصب الذي كان عند الرحبة يُسْرِج عنده، ويتبرَّك به المشركون وكان عمودًا طويلاً على رأسه حجر كالكُرَة، وعند مسجد الدَّرب الحجر نُصُب قد بُنِي عليه مسجد صغير، يعبده المشركون يَسَّر الله كسره» [٢].

وممن قاوم الطواغيت وتصدى لها الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال: «فَهَدْم القباب والبناء والمساجد التي بُنِيت عليها أولى أحرى؛ لأنه لَعَن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليها، فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لَعَن رسول الله ﷺ فاعلَه ونهى عنه والله عز وجل يقيم لدينه وسنة رسوله

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص/١٠٣-١٠٤).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٣٩-٢٤٠).

من ينصرهما، ويذب عنهما فهو أشد غيرة وأسرع تغييراً.

وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، وطفيه، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ»[١].

وهذا الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجدد القرن الثاني عشر، ناصر الدين، ومُحارِب الطواغيت والملحدين، رفع الله به راية التوحيد، وقمع به الشرك وأهله، فأزال الله به الطواغيت من الجزيرة العربية، فمن جهوده رحمه الله في مقاومة الطواغيت وإزالتها ما ذكر في سيرته رحمه الله: «فأعلن بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهل العُيَيْنة، وكان فيها أشجار تُعَظَّم ويُعَلَّق عليها، فبعث إليها من يقطعها فقُطِعت، وفي البلد شجرة هي أعظمهنَّ عندهم، ذكر لي أن الشيخ خرج إليها بنفسه فقطعها... وهدم القبة التي على قبر زيد بن الخطاب[٢] رضي الله عنه»[٣].

ومن جهوده أيضاً: «أنه أنكر ما أحدثته العوام، والطغام، من اعتقاد البركة، والصلاح في أناس من الفجار والطواغيت، الذين يترشحون لتأله العباد بهم، وصَرْف قلوبهم إليهم باسم الولاية والصلاح، وأن لهم كرامات

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٣٨).

(٢) زيد بن الخطاب العدوي أخو عمر بن الخطاب، أسلم قبله، وشهد بدرا والمشاهد مع النبي ﷺ، وكان معه راية المسلمين يوم اليمامة، فقاتل حتى قتل، ولما جاء نعيه إلى عمر بكى وقال أسلم قبلي وقتل قبلي. [انظر: خلاصة تذهيب التهذيب (١/١٢٨)].

(٣) عنوان المجد (١/٣٨-٣٩)، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص/١١٤-١١٦)، د. حسين خلف.

ومقامات، ونحو هذا من الجهالات»[(١)].

ومن جهوده أيضاً أنه كان يحذِّر من الطواغيت في مجلسه فكان يقول رَحِمَهُ اللهُ: «إن الدعوة كلها لله، لا يجوز صرف شيء منها إلى سواه، وربما ذكروا بمجلسه إشارة الطواغيت، أوشيئاً من كرامات الصالحين، الذين كانوا يدعونهم، ويستغيثون بهم، ويلجؤون إليهم في المهمات؛ فكان ينهى عن ذلك ويزجر»[(٢)].

ومن أثر جهوده ومقاومته للطواغيت ما ذكره أهل العلم. رحمهم الله. عن أثر دعوته: «فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها، من القباب والمشاهد، والمزارات، والمغارات، وقَطْع الأشجار التي يتبرك بها العامة، وبعث السعاة لمحو آثار البدع الجاهلية، من الأوثان، والتعاليق والشركيات»[(٣)].

ومن العلماء الذين قاوموا الطواغيت باللسان والسنان، الإمام العالم المجاهد عبد العزيز بن محمد بن سعود[(٤)] -رحم الله الجميع- فقد نصر الله به وبسلفه وخلفه التوحيد فحطم الطواغيت وكان من أعظمها طاغوت ذي

---

(١) الدرر السنية (١/٤٦١).

(٢) الدرر السنية (١/٣٧٦-٣٧٧).

(٣) الدرر السنية (١/٤٦٠).

(٤) هو الإمام عبد العزيز بن الإمام محمد بن سعود ولد عام ١١٣٣هـ، تتلمذ على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، واشتهر عنه تمسكه بالدين والحزم والشجاعة والعدل، قتل -رحمه الله- سنة ١٢١٨هـ. [عنوان المجد في تاريخ نجد (١/٢٦٤-٢٦٦)].

الخلصة الذي أمر النبي ﷺ جريرًا ﷺ بهدمه فسار على نهج رسول الله ﷺ في إعلاء كلمة التوحيد وإزالة الطواغيت وتحطيمها قال ابن بشر رحمه الله: «تبالة هي البلد الذي هدم المسلمون فيها ذا الخلصة زمن عبد العزيز بن محمد بن سعود، وهو الصنم الذي بعث إليه النبي ﷺ جرير بن عبد الله فهدمه، فلما طال الزمان أعادوه وعبدوه»[(١)].

وهذا العلامة عبد الله بن الإمام محمد عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى- ممن أسهم في إزالة الطواغيت عندما دخلت كتائب التوحيد البلد الحرام عام ١٢١٨هـ في عهد الدولة السعودية الأولى حيث قال: «أزلنا جميع ما كان يُعْبَد، بالتعظيم والاعتقاد فيه، ويرجى النفع والنصر بسببه، من جميع البناء على القبور، وغيرها، حتى لم يبق في تلك البقعة المطهرة طاغوت يُعْبَد، فالحمد لله على ذلك»[(٢)].

وقال أيضاً: «وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة، وقبة المولد، وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الأولياء، حسمًا لتلك المادة، وتنفيرًا عن الإشراك بالله ما أمكن، لعظم شأنه، فإنه لا يُغْفَر، وهو أقبح من نسبة الولد لله تعالى»[(٣)].

وممن تصدى للطواغيت وقاومها العلامة أبا بطين رحمه الله حيث قال: «فإذا كان في بلد وثن يُعْبَد من دون الله قوتلوا لأجل هذا الوثن أي لإزالته

---

(١) عنوان المجد (١/٣٧٢-٣٧٣).

(٢) الدرر السنية (١/٢٢٥).

(٣) الدرر السنية (١/٢٣٣).

وهَدْمه وتَرْك الشرك حتى يكون الدين كله لله»[١].

فهذه جهود بعض أهل العلم -رحمهم الله- في مقاومة الطواغيت الحسِّية ولقد تصدَّى أهل العلم -رحمهم الله- للطواغيت المعنوية التي يهدم بها الدين فكسروها طاغوتاً طاغوتاً التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين، وانتهكوا بها حرمة القرآن، ومحوا بها رسوم الإيمان وهي:

الأول: قولهم: أن كلام الله وكلام رسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يحصل منها يقين.

الثاني: قولهم: أن آيات الصفات وأحاديث الصفات مجازات لا حقيقة لها.

الثالث: قولهم: أن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة التي رواها العدول وتلقتها الأمة بالقبول، لا تفيد العلم، وغايتها أن تفيد الظن.

الرابع: قولهم: إذا تعارض العقل ونصوص الوحي، أخذنا بالعقل ولم نلتفت إلى الوحي.

فهذه الطواغيت الأربع، هي التي فعلت بالإسلام ما فعلت، وهي التي محت رسومه، وأزالت معالمه، وهدمت قواعده، وأسقطت حرمة النصوص من القلوب، ونهجت طريق الطعن فيها لكل زنديق وملحد، فلا يحتج عليه المحتج بحجة من كتاب الله أو سنة رسوله، إلا لجأ إلى طاغوت من هذه الطواغيت واعتصم به، واتخذه جنة يصد به عن سبيل الله، والله تعالى بحوله

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥٠٢/٥).

وقوته ومنه وفضله، قد كسر هذه الطواغيت طاغوتاً طاغوتاً، على ألسنة خلفاء رسله وورثة أنبيائه، فلم يزل أنصار الله ورسوله يصيحون بأهلها من أقطار الأرض ويرجموهم بشهب الوحي وأدلة المعقول، ونحن نفرد الكلام عليها طاغوتاً طاغوتاً»(١).

ومن الطواغيت المعنوية التي تصدى لها العلماء طاغوت القانون الوضعي، فقد تصدوا له وبيَّنوا ضرره وخطره، وحذروا منه؛ لأنه محادة لحكم من له الحكم سبحانه وتعالى؛ فمنهم العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله: «إن من الكفر المستبين، تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسانٍ عربيٍّ مبين، في الحكم به بين العالمين، والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾(٢)»(٣).

ومن الطواغيت المعنوية طاغوت العادات والأعراف القَبَليَّة التي يحكم بها بين أفراد القبيلة فقد تصدى له أهل العلم -رحمهم الله- وكسروه بأدلة الكتاب والسنة، ومنهم الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله في رد له على من طالب بإحياء العادات والأعراف القَبَلِيَّة حيث قال في رده: «فرأيت من

---

(١) الصواعق المرسلة (١/٦٣٢-٦٣٣).

(٢) سورة النساء [٥٩].

(٣) فتاوى ابن إبراهيم (١٢/٢٨٤).

الواجب الرد على هذا المقال، وبيان ما فيه من الخطر العظيم والفساد الكبير؛ وذلك لأن في إحياء العادات القَبَلِيَّة، والأعراف الجاهليَّة ما يدعو إلى ترك التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفي ذلك المخالفة لشرع الله المطهر... فيجب على جميع المسلمين أن يتحاكموا إلى كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام- في كل شيء، لا إلى العادات والأعراف القَبَلِيَّة، ولا إلى القوانين الوضعية، قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [(١)]... وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [(٢)] فلا إيمان لمن لم يحكم الله ورسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه، وفي كل الحقوق، فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله فقد تحاكم إلى الطاغوت.

وبهذا يعلم أنه لا يجوز إحياء قوانين القبائل وأعرافهم، وأنظمتهم التي يتحاكمون إليها بدلاً من الشرع المطهر الذي شرعه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، بل يجب دفنها وإماتتها والإعراض عنها، والاكتفاء بالتحاكم إلى شرع الله ﷻ)) [(٣)].

---

(١) سورة الشورى [١٠].

(٢) سورة النساء [٦٥].

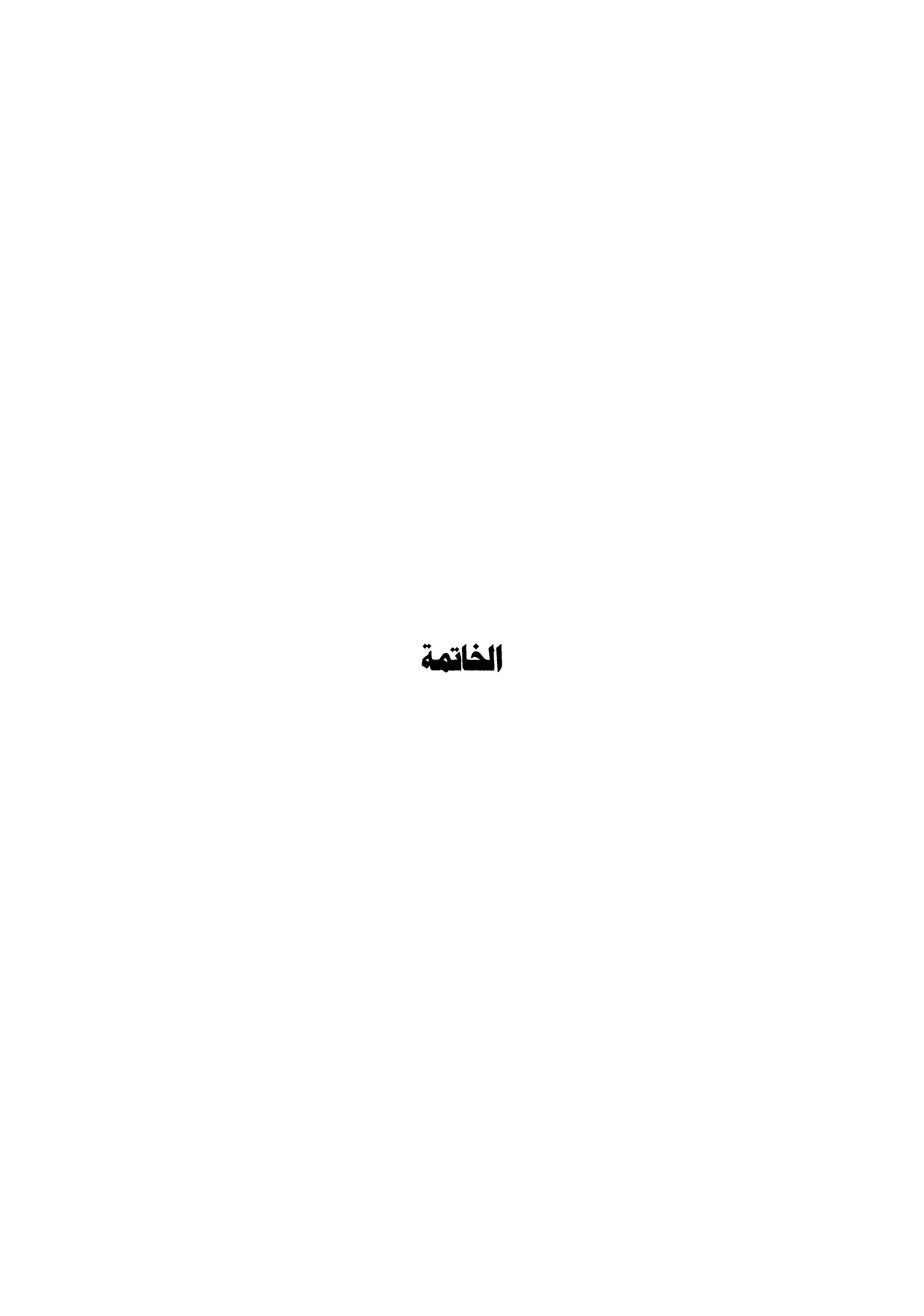
(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٨/٢٧٢-٢٧٤).

ومن الطواغيت المعنوية التي تصدى لها أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ طاغوت القومية العربية فبيَّن أنها دعوة جاهلية هَدَفُها هَدْم الإسلام حيث قال: «فاعلم أن هذه الدعوة، أعني الدعوة إلى القومية العربية أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول وأنواع من الخيال وأساليب من الخداع، فاعتنقها كثيرٌ من العرب من أعداء الإسلام واغترَّ بها كثير من الأغمار ومن قلَّدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان. ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد للإسلام وأهله»[1].

فهذه بعض جهود علماء أهل السنة والجماعة في القديم والحديث في مقاومة الطواغيت والتحذير منها؛ لأن هذا من لوازم الكفر بالطاغوت الذي لا يقبل الإيمان إلا به، ومن حكمة الله جل وعلا أنه ما خرج طاغوت في أي زمان ومكان، إلا وتَصَدَّى له علماء أهل السنة؛ فيحطمون كيانه، ويكسرون بنيانه، باللسان والسنان، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

---

(١) نقد القومية العربية (ص/٨).



الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام أشكر الله الذي وفقني وأعانني على إكمال هذا البحث الذي توصلت من خلاله إلى نتائج من أهمها ما يلي:

١- أن الكفر بالطاغوت أحد ركني التوحيد وحقيقة لا إله إلا الله والنفي فيها.

٢- أن الكفر بالطاغوت شرط في صحة الإسلام، فمن قام بأركان الإسلام الخمسة ولم يكفر بالطاغوت فلا صحة لإسلامه، ولا عبرة بما يقوم به من الأعمال.

٣- لا يكون العبد مستمسكاً بلا إله إلا الله إلا إذا كفر بالطاغوت وآمن بالله.

٤- أن أول ما فرض الله على العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

٥- أن تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله في بعض النصوص يدل على أهميته، ويستفاد منه التخلية قبل التحلية، فقبل إحلال التوحيد التطهير من الشرك وأدرانه.

٦- عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول واعتقاد وعمل، وكذلك الكفر بالطاغوت يكون بالقول والاعتقاد والعمل.

٧- أن فرضية الكفر بالطاغوت بالقول والاعتقاد لا تسقط عن العبد إلا بعذر شرعي، وأما بالفعل فعلى حسب القدرة وعدم الفتنة.

٨- أن الغاية المنشودة من الكفر بالطاغوت هي القيام لله بجانب

العبودية فيه من نَفْيِ كلِّ معبود سوى الله.

٩- أن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله لا يقبل أحدهما إلا بالآخر.

١٠- أن الجهل بالكفر بالطاغوت وعدم معرفة حقيقته الشرعية سبب في كثير من الفتن.

١١- أن القدوة لنا في كيفية الكفر بالطواغيت والبراءة منها ومن أهلها هو نبينا محمد ﷺ.

١٢- أن الكفر المشروع هو الكفر بالطاغوت، والكفر الممنوع هو الكفر بالله،فالأول محبوب عند الله والثاني مكروه عند الله ولا يرضاه لعباده.

١٣- أن العبد يسمى طاغوتاً إذا تجاوز حده وادعى حق الخالق.

١٤- أن كيفية الكفر بالطاغوت تكون باعتقاد بطلان عبادته، وبعداوته وكراهته، وبغضه وبغض أهله وتقبيحه باللسان وإزالته باليد عند القدرة.

١٥- أن الإيمان منه ما هو محبوب عند الله، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكل ما جاء عن رسول ﷺ، ومنه ما هو مكروه عند الله كالإيمان بالطاغوت المتضمِّن تصديقه واتباعه.

١٦- أن العبادة المنهي عنها هي عبادة الطاغوت والمأمور بها هي عبادة الله المتضمنة نفي عبادة الطاغوت.

١٧- أن المراد بنفي الطواغيت هو تركها والرغبة عنها والبراءة والكفر بها وبمن عبدها واعتزالها وعابديها وبغضها وعداوتها.

١٨- أن إفراد الطواغيت التي دلت النصوص على أجناسها من

حيث الإطلاق كثيرة لا حصر لها مما يدل على أنه اسم جنس.

١٩- أن الطواغيت تنقسم قسمين:

القسم الأول: طواغيت حسيَّة وهي أيضاً تنقسم قسمين:

أ- طواغيت تعقل: كأمثال فرعون ومن عُبِد وهو رَاضٍ أو دعا إلى عبادة نفسه وغيرهم.

ب . طواغيت لا تعقل: كالأصنام والأوثان والأحجار والأشجار وغيرها، من الجمادات التي عُبِدت من دون الله.

القسم الثاني: طواغيت معنوية:

مثل تقديم العقل على النقل وأن نصوص الكتاب مجازات لا حقيقة لها ولا تفيد العلم؛ وكالقوانين الوضعية والآراء والأفكار الهدامة، وغيرها مما يعارض به الكتاب والسنة.

٢٠- أن الطاغوت أنواعه ثلاثة طاغوت عبادة وطاغوت طاعة، وطاغوت متابعة، فجميع الطواغيت الحسية والمعنوية لا تخرج عن هذه الأنواع الثلاثة.

٢١- أن من عبد الأنبياء والملائكة والصالحين إنما هو عابد للشيطان؛ لأنه الذي أمره بذلك.

٢٢- براءة الأنبياء والملائكة والصالحين من الطواغيت من الرضى بعبادتهم من دون الله.

٢٣- أن الكفر بالطاغوت لا يكون إلا بالبراءة منه، وبغضه وعداوته ومفارقته واعتزاله وإزالته والتصدي له والتحذير منه وممن عبده.

٢٤- أن الأنبياء -صلوات الله عليهم- تصدَّوا للطواغيت وحذروا منها وممَّن عبدها، وكفروا بها وأزالوها، مما يدلّ على منزلة الكفر بالطاغوت من الشرائع كلها.

وفي الختام أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك الحق المبين فله الحمد أولاً وآخرًا وله الحمد على نِعَمه التي لا تعدُّ ولا تُحصى، وأسأله الهداية والسداد والعفو والمغفرة، كما أسأله أن يبارك في هذا العمل وينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	٠٠١	٥٤
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٠٠٢	٣٧٣
﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾	٠٠٥	٣٧٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٠٦	٣١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾	٠٢١	١٣٥، ٢٨٣
﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾	٠٢٢	٩٠
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾	٠٢٢	١٣٥
﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾	٢٣	٣٧٤
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾	٣٤	٤٨
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾	٠٨٩	٢٧
﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾	١٠٢	١٠٥
﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾	١٠٢	٣٨١
﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾	١٦٣	٩٧، ١٥٩،

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	١١٥	٣٢٥
﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾	١٤٩	٢٧٦
﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ ﴾	١٥٠	٣١٠
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١١٦
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾	١٥٩	٤٣٩
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ﴾	١٦٢	٤٣٨
﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٦٤	٢٥٤
سورة الأعراف		
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	٠٠٢	٣٣٩
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٠٥٤	٢٦٠، ٣١١
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾	٠٥٩	٤٠٧
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾	٠٦٢	٤٥٥
﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾	٠٦٥	٤٠٨
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾	٠٦٧	٤٥٦
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾	٠٦٨	٤٥٦
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾	٠٧٣	٤٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾	٠٣٥	١٤٣، ٤٣٣
﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾	٠٣٥	٤٣٥
﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	٠٣٦	١٤٣، ٤٣٣
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾	٠٣٦	٨، ١٠، ١٩٧، ٢٠٤، ٤٢٤، ٤٣٣
﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٠٣٦	٨٨
﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٠٤٣	٣٣٩
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾	٠٥١	٢٨٦
﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾	١١٢	٥٢
﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾	١١٦	٣٠٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾	١١٦	٢٦٦
مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١١٧	٣٠٩
﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	١٢٣	٤٠٩
سورة الإسراء		
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	٠١٥	٤٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾	٠٣١	١٤٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾	٠٦٢	٢٧١
سورة النور		
﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾	٠٤٩	٣٥٩
سورة الفرقان		
﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٠١٧	٢٤٠، ٣٠٤، ٤٢٢
﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾	٠١٨	٣٠٤، ٤٢٢
﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾	٠١٩	٤٢٢
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾	٠٦٣	٢٤١
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾	٠٦٨	١٨٥
سورة الشعراء		
﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٠٢٣	٢٩٤
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	٠٦٩	١٤٦
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾	٠٧٠	٤٤٥، ٤٦٨
﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾	٠٧١	١٤٦، ٤٤٥، ٤٦٨

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الجن		
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾	٠٢٦	٢٢٥، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٦٤
﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾	٠٢٧	٣٦٤، ٣٧٤
سورة المدثر		
﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾	٠٠٥	١٩١، ٤٧٣
سورة النازعات		
﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	٠٢٣	٢٩٤
﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	٠٢٤	٢٧٠، ٢٨٧
﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾	٠٢٥	٢٨٧
سورة البيينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	٠٠٥	١٠٤، ٤٣٨
سورة الكافرون		
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٠٠١	٤١١
﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾	٠٠٢	٤١١
﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾	٠٠٣	٤١١
﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾	٠٠٤	٤١١

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

العَلم	الصفحة

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الأماكن

ثبت المصادر والمراجع

١- أبجد العلوم، صديق حسن خان، دار الكتب العلمية بيروت.

٢- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٣- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن العربي، تحقيق: علي البيجاوي، مطبعة الحلبي مصر.

٤- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور/ صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٥- الإخنائية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح بن فوزان الفوزان، الرئاسة العامة للبحوث العلمية، الرياض، ١٤١٢هـ.

٧- أركان الإسلام، الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إعداد: د.محمد بن لقمان السلفي، دار الداعي للنشر والتوزيع.

٨- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ.

٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالبر، تحقيق: علي البيجاوي، دارا لجيل بيروت، ١٤١٢هـ.

١٠- الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة، باكستان، ١٤٠٩هـ.

١١- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ ابن حجر، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مطبقة المدني ١٣٨٦هـ.

١٣- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٤- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

١٥- أعلام السنة المنشورة، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: أحمد علوش، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٨هـ.

١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، لبنان.

١٧- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

١٨- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي

الدين أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور/ ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

١٩- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض اليحصبي، تحقيق الدكتور: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر ١٤١٩هـ.

٢٠- الإمام الزاهد ابن عثيمين، ناصر الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ.

٢١- إنباه الرواة على أنباء الرواة، جمال الدين أبو الحسن القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٢٢- البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق جماعة من الباحثين، دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ.

٢٣- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع يسري السيد، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ.

٢٤- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد الرياض، ١٤١٥هـ.

٢٥- البداية والنهاية، للحافظ إسماعيل بن كثير، دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٤.

٢٦- البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٧- البدع والنهي عنها، أبو عبدالله محمد بن وضاح، تحقيق: محمد

دهمان، دار البصائر دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
٢٨- بغية الوعاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ.
٢٩- البيان، لأبي البركات ابن الأنباري، طه عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٤٠٠هـ.
٣٠- بيان تلبيس الجهمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تصحيح محمد بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩١هـ.
٣١- تاج العروس، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٤هـ.
٣٢- التاج المكلل، صديق حسن خان، دار السلام، الرياض، ١٤١٦هـ.
٣٣- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤- تأسيس التقديس، لعبدالله أبا بطين، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٤٤هـ.
٣٥- تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، عبدالهادي العجلي، تحقيق: حسن العواجي، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٩هـ.
٣٦- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧- تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥.

٣٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض السبتي، تحقيق/ محمد الطنجي، وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٩- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عبدالرحمن السديس، دار الهجرة الرياض، ١٤١٢هـ.

٤٠- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، اعتنى بإخراجه: عبد المحسن بن حمد العباد.

٤١- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٢- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق، عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة النبوية ١٤٠٦هـ.

٤٣- تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

٤٤- تفسير ابن أبي زمنين، محمد بن أبي زمنين، تحقيق: حسين عكاشة ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة ١٤٢٣هـ.

٤٥- تفسير أبو السعود، أبو السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث الإسلامي.

٤٦- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق:

سامي السلامة، دار طيبة الرياض، ١٤١٨هـ.

٤٧- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.

٤٨- تفسير غريب القرآن، عبدالله بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، الكتب العلمية ، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٩- تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال، دار العاصمة الرياض، ١٤١٦هـ.

٥٠- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٥١- تهذيب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦هـ.

٥٢- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٣٨٤هـ.

٥٣- التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، سليمان ابن عبدالله، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٥٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان ابن عبدالله، المكتب الإسلامي ، بيروت.

٥٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تصحيح سعد الصميل، ابن الجوزي الدمام،

١٤٢٢هـ.

٥٦- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

٥٧- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور/ عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ١٤٢٢هـ.

٥٨- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

٥٩- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ.

٦٠- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: محمد الحفناوي، محمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٦١- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تصحيح زين العابدين الموسوي، دار صادر بيروت.

٦٢- جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة الرياض، ١٤٢٢هـ.

٦٣- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، شمس الدين بن قيّم الجوزية، تصحيح: علي المدني، مطبعة المدني القاهرة.

٦٤- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين

السيوطي، إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٣٨٧هـ.

٦٥- الحسنة والسيئة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تقديم الدكتور/ محمد جميل غازي، دار المدني.

٦٦- الحوادث والبدع، محمد بن الوليد أبو بكر الطرطوشي، تحقيق/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٠هـ.

٦٧- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد الشيباني، الدار السلفية بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٨- خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، عام ١٤٠٠، الطبعة الرابعة.

٦٩- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٧٠- الداء والدواء، شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧١- الدر المصون، أحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٤٠٦هـ.

٧٢- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم،

الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.

٧٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الجيل بيروت.

٧٥- دليل أرباب الفلاح، حافظ الحكمي، تحقيق: خالد الردادي، مكتبة الغرباء ، المدينة النبوية، ١٤١٤هـ.

٧٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، القاضي بن فرحون، تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي، دار التراث القاهرة.

٧٧- الدين الخالص، صديق حسن خان، مطبعة المدني مصر.

٧٨- الذيل على طبقات الحنابلة، زين الدين بن رجب الحنبلي، دار المعرفة بيروت.

٧٩- الرد على البكري، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق/ محمد علي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ.

٨٠- الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، ١٣٩٧هـ.

٨١- الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية ﷺ، العلامة محمد ابن علي الشوكاني، تحقيق: خالد بن عبد اللطيف السبع، دار النفائس، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٨٢- روح المعاني، لشهاب الدين الألوسي، صححه علي عطية، الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ.

٨٣- روضة الأفكار، حسين بن غنام، دار الشروق، بيروت ١٤١٥هـ.

٨٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين ابن القيم الجوزية، شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٨٥- زاد المهاجر إلى ربه (الرسالة التبوكية)، العلامة شمي الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: أبو عبد الرحمن عقيل بن محمد اليماني، راجعه: فضيلة العلامة المحدث أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة دار القدس، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١١.

٨٦- زبدة التفسير من فتح القدير، سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤوون الإسلامية ، الكويت ١٤٠٦هـ.

٨٧- سبيل النجاة والفكاك، حمد بن عتيق، تحقيق: الوليد الفريان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٨٨- سبيل الهدى والرشاد، محمد الخميس، مكتبة الصحابة الإمارات.

٨٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٩٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٢٢هـ.

٩١- سلسلة شرح الرسائل، الإمام محمد بن عبد الوهاب شرح الشيخ صالح الفوزان، اعتنى بإخراجه عبد السلام بن عبد الله السليمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٩٢- السنة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الله البصيري ، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٩٣- السنة لابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت.

٩٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تعليق عزت الدعاس، وعادل السيد، دار ابن حزم بيروت، ١٤١٨هـ.

٩٥- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٨هـ.

٩٦- السنن الكبرى وبهامشه الجوهر النقي لابن التركماني، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر.

٩٧- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة بيروت، ١٤١١هـ.

٩٨- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله الذهبي، تحقيق: جماعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٩٩- السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف،

دارا لجيل بيروت، ١٤١١هـ.

١٠٠- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الكتاب العربي ، بيروت.

١٠١- شرح الأصول الثلاثة، محمد بن صالح العثيمين، أعدها فهد السليمان، دار الثريا الرياض، ١٤١٤هـ.

١٠٢- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٠٣- شرح الكرماني على صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

١٠٤- شرح صحيح البخاري، علي بن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٠٥- شرح قصيدة ابن القيم، أحمد بن عيسى النجدي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

١٠٦- شرح مسائل الجاهلية، صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة الرياض، ١٤٢١هـ.

١٠٧- شرح مسائل الجاهلية، محمود شكري الألوسي، تحقيق: علي خلوف، دار المؤتمن الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

١٠٨- شفاء العليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق/ مصطفى الشلبي، مكتبة السوداي، جدة، ١٤١٢هـ.

١٠٩- الصارم المسلول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن محمد ابن تيمية، تحقيق/ محمد الحلواني، ومحمد شودري، دار الرمادي، الدمام ١٤١٧هـ.

١١٠- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

١١١- صحيح ابن حبان ومعه الإحسان لابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ.

١١٢- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٩هـ.

١١٣- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية، ١٤٠٠.

١١٤- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور علي محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٨هـ.

١١٥- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢١هـ.

١١٦- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد السخاوي، مكتبة الحياة بيروت.

١١٧- طبقات ابن سعد، محمد بن سعد، دار صادر بيروت.

١١٨- طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ الطبعة الثانية.

١١٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

١٢٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيو بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: وهبة الزحيلي، خرج أحاديثه وعلق عليه: أسامة حسن عبد المجيد، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٢١- العالم العابد عبد الرحمن بن قاسم، إعداد عبدالملك القاسم، الطبعة الأولى ، دار القاسم للنشر، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١٢٢- العبودية، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: علي حسن، مكتبة العلم، جدة، ١٤١٦هـ.

١٢٣- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن عبدالهادي، تحقيق: طلعت الحلواني، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

١٢٤- عقيدة التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، دارا لعاصمة الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٢٥- علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله البسام، النهضة الحديثة مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ.

١٢٦- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، منشورات دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

١٢٧- العين، للخليل الفراهيدي، تحقيق: الدكتور/ مهدي المخذومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال بغداد.

١٢٨- عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تحقيق: حسين محمد بوا، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٢٩- غاية المقصود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب العظيم أبادي، دار الطحاوي الرياض، ١٤١٤هـ.

١٣٠- غاية النهاية، لمحمد بن الجزري،مكتبة المتنبئ القاهرة.

١٣١- فتاوى أركان الإسلام، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا ، الرياض، ١٤٢١.

١٣٢- فتاوى الأئمة النجدية، جمع مدحت الفراج، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣٣- فتاوى السبكي، علي عبد الكافي السبكي، مكتبة القدس القاهرة، ١٣٥٦هـ.

١٣٤- فتاوى اللجنة الدائمة، إعداد أحمد الدويش، دار العاصمة، ١٤١١هـ.

١٣٥- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة

بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

١٣٦- فتاوى ورسائل لسماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، إعداد: وليد بن منسي، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار السلام الرياض، ١٤٢١هـ.

١٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن رجب الحنبلي، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، ١٤١٧هـ.

١٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن بن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض ، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

١٤٠- فتح البيان، صديق حسن خان، تصحيح عبد الله الأنصاري، المكتبة العمرية.

١٤١- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، ١٤١٣هـ.

١٤٢- فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن، مؤسسة قرطبة، مصر.

١٤٣- فتنة التكفير، للعلامة المحدث الألباني، إعداد: علي حسن أبولوز، دار ابن خزيمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٤٤- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تقي الدين

أبوالعباس أحمد ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى، دارا لفضيلة، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٤٥- فقه العبادات، فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، إعداد وتقديم: أ.د. عبد الله بن محمد الطيار، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٤٦- الفوائد، محمد بن أبي بك ر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن عثمان الخست، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

١٤٧- القاموس المحيط، محمد الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٤٨- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبدالرحمن بن حسن، تصحيح وتعليق : إسماعيل الأنصاري، الرئاسة العامة للبحوث العلمية.

١٤٩- قصة المسيح الدجال، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، ١٤٢١هـ.

١٥٠- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال، سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٥١- القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن سعدي، دار ابن الجوزي، الدمام ١٤١٣هـ.

١٥٢- القول السديد، محمد بن ناصر السعدي، اعتناء المرتضى أحمد، مجموعة التحف والنفائس الدولية، الرياض، ١٤١٦هـ.

١٥٣- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد العثيمين، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ.

١٥٤- كتاب التوحيد، محمد بن عبدالوهاب، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ.

١٥٥- كتاب التوحيد، د. صالح بن فوزان الفوزان، مكتب الأثير- الرياض.

١٥٦- كتاب الصلة، لخلف بن بشكوال، تحقيق: عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

١٥٧- كفاية الإنسان من القصائد الغر الحسان، جمع محمد أحمد سيد، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٥٨- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٥٩- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت.

١٦٠- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة.

١٦١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتاب بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

١٦٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، طبعة بمجمع الملك فهد ١٤١٦هـ.

١٦٣- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع: فهد ناصر السليمان، دار الثقافة مكة المكرمة ١٤١٢هـ.

١٦٤- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.

١٦٥- مجموعة التوحيد (المجموعة النجدية)، لمجموعة من العلماء، الأمانة العامة للاحتفاء بتأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

١٦٦- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، جمع عبدالسلام بن برجس، الناشر دار العاصمة، ١٤٠٩هـ الطبعة الثانية.

١٦٧- مجموعة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، جمع مركز صالح بن صالح الثقافي، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة ١٤١٢هـ.

١٦٨- محاسن التأويل، محمد القاسمي، تحقيق/ محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٦٩- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، عثمان الموصلي، تحقيق: علي النجدي، دار سزكين ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١٧٠- المحرر الوجيز، عبدالحق بن عطية، تحقيق/ المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٣٩٥هـ.

١٧١- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الستار فراج، مكتبة الباز، مكة المكرمة ١٣٧٧هـ.

١٧٢- محمود شكري الألوسي، محمد البيطار، مركز المخطوطات والتراث بالكويت، ١٤١٦هـ.

١٧٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٧٤- مختصر الصواعق المرسلة، لمحمد الموصلي، مطبعة الإمام مصر.

١٧٥- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكرابن قيم الجوزية، الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى.

١٧٦- المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية، للدكتور: إبراهيم البريكان، دار السنة، الخبر، الطبعة الخامسة، ١٤١٨هـ.

١٧٧- المزهر في علوم اللغة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، وعلي البيجاوي، دارا لتراث القاهرة، الطبعة الثالثة.

١٧٨- المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، محمد ابن عبدالوهاب، تحقيق: الدكتور/ يوسف محمد السعيد، دار المؤيد، الرياض، ١٤١٦هـ.

١٧٩- المسند، أحمد بن حنبل، تحقيق وتخريج شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٨هـ.

١٨٠- مصباح الظلام، عبداللطيف آل الشيخ، تحقيق: عبد العزيز الزير آل حمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٨١- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان،

١٩٨٧م.

١٨٢- مصنف بن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٨٣- معارج القبول، حافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

١٨٤- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين البغوي، إعداد خالد العك ، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٨٥- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، د.محمد خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٨٦- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

١٨٧- المعجم الأوسط، سليمان الطبراني، تحقيق: طارق عوض، دار الحرمين القاهرة، ١٤١٦هـ.

١٨٨- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.

١٨٩- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ.

١٩٠- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

١٩١- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٩٢- مفتاح دار السعادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٩٣- مفتاح دار السعادة، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن بن علي بن عبد الحميد ، مراجعة: الشيخ بكر أبو زيد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٩٤- المفردات، الراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان، دار القلم دمشق، ١٤١٢هـ.

١٩٥- المفهم، أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: جماعة من الباحثين، دار ابن كثير، دمشق ١٤١٧هـ.

١٩٦- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبدالرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٩٧- منهاج السنة النبوية، تقيّ الدين أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار أحد.

١٩٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، تصحيح خليل شيحا، دار المعرفة بيروت، ١٤١٥هـ.

١٩٩- منهج ودراسات في آيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٠٠- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: سمير الماضي، رمادي للنشر ، الدمام ١٤١٦هـ.

٢٠١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٢٠٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري، دار صادر بيروت.

٢٠٣- نقد القومية العربية، عبدالعزيز بن باز، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ.

٢٠٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، أحمد بن محمد ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.

٢٠٥- هداية الحيارى، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور محمد الحاج، دار القلم دمشق.

٢٠٦- هداية الطريق من رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق، جمع إسماعيل بن سعد بن عتيق، دار الهداية.

٢٠٧- هدي الساري مقدمة فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، دار السلام الرياض، ١٤٢١هـ.

٢٠٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٨هـ.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله

مطابع الجامعة الإسلامية